

صحيح الأخبار
عما في بلاد العرب من الآثار
الجزء الثاني
تأليف
الشيخ/ محمد بن عبد الله بن بليهد

صحيح الأخبار

عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ

٩

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ

النابغــــة الذبيانى

واسمه زياد بن مُعَاوية ، ينتهى نسبه إلى ذُبْيَان بن رَيْث بن غَطَفَان بن قَيْس عَيْلان وكنيته أبو أُمامة . توفى سنة ١٨ قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا مطلع المعلقة :

١ — يادَارمَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ

العلياء — العلياء تطلق على كل أرض مرتفعة ، وليست موضعا معينا ، كقول زهير :

* تحملن بالعلياء من فوق جرثم *

السند — السند[1] : قال فى معجم البلدان : هو ماقابلك من الجبل ، وعلا من السفح ، ولا يزال أهل نجد يطلقون على كل مرتفع سنداء ، ولست أعلم موضعا يقال له اليوم العلياء ، ولا موضعا يقال له اليوم : السند ، إلا موضعا واحدا يقال له « سنيد » على صيغة التصغير ، وهو الطريق الذى يسلك من عُشَيرة إلى نجد الذى فيــه خيام أهل المركز اليوم ، وهو ثنية الحريرة الواقعة على ضفة وادى العقيق الجنوبية النافذة من ماء عُشَيرة . يقال لتلك الثنية سُنَيد إلى هذا العهد .

* * *

٢ — وقال النابغة يصف راحلته :

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ

مَخْفُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرِدِ

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

الجليل — الجليل : هو فى اللغة الثمام ، ويطلق هذا الاسم على وادٍ من أودية الطائف يقال له « جليل » وهو الذى عناه النابغة ، وهو واقع جنوبى الطائف ، يبعد عنه مسافة أقل من نصف يوم ، وهو معلوم عند عامة العرب بهذا الاسم فى الجاهلية والإسلام ، ويحتمل أن النابغة أراد بالجليل الجبل

(١) قال البكرى : قد حدده الأحوص فى قوله :

غشيت الدار بالسند * دوين الشعب فى أحد (ج ٣ ص ٧٦١) مصنف

الذى فى الشام ، وذلك أنه حين غضب عليه النعمان بن المنذر اللَّخْمِى التجأ إلى ملوك غَسَّان وكانوا مقيمين بالشام وفى سواحل جبل يقال له « الجليل » ممتد إلى قرب حمص ، وقد كان معاوية ابن أبى سفيان يحبس فى موضع من هذا الجبل مَنْ يظفر به ممن اتهم بالاشتراك فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومنهم محمد بن أبى حذيفة ، وكريب بن أبرهة ، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس التجيبى ، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان ، قال ياقوت[1] : وعبد الرحمن بن عديس التجيبى هو الذى يقول لما خرج من مصر مع الثُّوار الذين كانوا يريدون قتل عثمان ، وهو من رؤسائهم ، قال وهو فى طريقه :

أقبلن من بلبيس والصَّعِيدِ مستحقبات حلَقَ الحديد
يطلبن حق الله فى الوليد وعند عثمان وفى سعيد

الوليد : هو الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أرْوَى ، وسعيد : هو سعيد بن العاص الذى استعمله معاوية بن أبى سفيان فى خلافته على المدينة ، قال ابن الفقيه : وكان منزل نوح عليه السلام فى جبل الجليل بالقرب من حمص فى قرية تدعى سحر ، وذكروا أن هذا الجبل الذى يسمى الجليل دعا له عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ألا لا يَعْدُو سبعُه ، ولا يجدب زرعه ، وهو جبل يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، فما كان بفلسطين منه يقال له « جبل الحمل » وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وما كان بدمشق فهو لبنان ، وما كان منه بحمص فهو سنير ، وقد قال أبو قيس بن الأسلت فى ذلك[2] :

فلولا ربُّنَا كنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفٌ ديننا عن كل جيل

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقى : واصل بنُ جميل أبو بكر السلامانى ، من بنى سلامان ، الجليلى ، من جبل الجليل من أعمال صيدا و بيروت من ساحل دمشق ، حدث عن مجاهد ومكحول

(١) انظر معجم البلدان ٣/١٣١ وليس فيه الرجز .
ذكره ابن جرير فى تاريخه ج ٥ ص ١١٥ وهذا الرجز :

أقبلنا من بلبيس والصعيد خوصا كأمثال القسى قود
مستحقبات حلق الحديد يطلبن حق الله فى الوليد
وعند عثمان وفى سعيد يا رب فارجعنا بما نريد (المصنف)

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٢ .

وعطاء وطاوس والحسن البصرى ، روى عنه الأوزاعى وعمر بن موسى بن وجيه الوجيهى ، وقال يحيى بن معين : واصل بن جميل مستقيم الحديث ، ولما هرب الأوزاعى من عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده ، وكان الأوزاعى يحمد ضيافته ويقول : ماتهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتى عنده . وكان خبأنى فى هُرْى العدس ؛ فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت العدس فطبخت ثم جاءتنى ، فكان لايتكلف ، فتهنأت بضيافته . واستشهد صاحب معجم البلدان على وادى الجليل الذى بالطائف ببيت النابغة هذا . وقال أيضاً فى معجم البلدان[1] : وذو الجليل : وادٍ بقرب أجأ . والجليل الذى نعرفه بهذا الاسم إلى هذا اليوم هو الوادى القريبُ من الطائف ويعد من أوديته .

وجرة

وأما وجرة فقد مضى الكلام عليها فى شعر زهير . وقد أوضحناها هناك . يقسمها اليوم طريقُ المهد السالكُ من عشيرة إلى المهد نصفين : من عشيرة حتى يقرب المهد كلها يطلق عليها وَجْرة . وهى ركبة الشمالية . وقد أوردنا الشواهد الواردة فى ذكرها . ومن ذلك قول أعرابى :

وفى الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غَزَال أحمُّ المقلتين ربيب

فلا تحسبى أن الغريب الذى نأى ... ولكن من تنأين عنه غريب

* * *

٣ — وقال النابغة :

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِى النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... وَلَا أُحَاشِى مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلٰهُ لَهُ : ... قُمْ فِى الْبَرِيَّةِ وَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

تدمر

أما مدينة تَدْمُر فإنى أحببت أن أذكر عبارة صاحب معجم البلدان برمتها ، قال : مدينة[2] قديمة مشهورة فى برِّية الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام ، قال بطليموس : مدينة تدمر طولُها إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،داخلها فى الإقليم الرابع ، بيت حياتها السماك الأعزل، تسع درجات من الجدى ، بيت ملكها مثلُها من الحَمَل ، عاقبتها مثلها من الميزان ، وقال صاحب الزيج : طول تدمر ٦٣ درجة وربع ، وعرضها ٣٤ درجة وثلثان ، قال : سميت بتَدْمُر بنت حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ،وهى من عجائب الأبنية موضوعة على العُمُد الرخام ، زعم قوم أنها مما بَنَتْه الجنُّ لسليمان عليه السلام ، وذكر الشاهد على

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٢ .

(٢) انظر معجم ياقوت ٢ / ٣٦٩

ذلك، وهو بيت النابغة هذا ، وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأ كثر مما بيننا و بين سليمان ، ولـكن الناس إذا رأوا بناء عجيبا جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان و إلى الجن ، وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القَسْرى قال : كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية حين هدم حائط تدمر ، وكانوا خالفوا عليه ، فقتلهم ، وفرق الخيل عليهم تدوسُهم وهم قتلى ، فطارت لحومهم وعظامهم فى سَنَابك الخيل ، وهدم حائط المدينة ، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم ، فـكشَفُوا عنه صخرة فإذا بيت مُجَصَّص كأن اليد رفعت عنه تلك الساعة ، و إذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها ، وعليها سبعون حلة ، و إذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها ، قال : فذرعت قدمها ، فإذا هى ذراع من غير الأصابع ، و إذا فى بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب : باسمك اللهم ، أنا تدمر بنت حسان ، أدخَلَ الله الذلَّ على من يدخل بيتى هذا ، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان ، ولم يأخذ مما كان عليها من الحلى شيئا ، قال : فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياما حتى أقبل عبدُ الله بن على فقتل مروان ، وفرق جيشه واستباحه ، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته ، وكان من جملة التصاوير التى بتدمر صورة جاريتين من حجارة من بقية صُوَر كانت هناك ، فمر بها أوس بن ثعلبة التيمى صاحب قصر أوس الذى فى البصرة ، فنظر إلى الصورتين ، فاستحسنهما ، فقال :

فتاتَىْ أهـل تدمر خبِّرانى ... ألمَّا تسأما طولَ القيام
قيامكما على غـير الحشايا ... على جبل أصَمَّ من الرخام
فـكم قد مر من عدد الليـالى ... لعصركما ، وعام بعـد عام
وإنـكما على مر الليـالى ... لَأَبقى من فروع ابنَىْ شمام
فإن أهلك فرُبَّ مُسَوَّمـات ... ضوامر تحت فتيان كرام
فرائصها من الإقدام نزع ... وفى أرساغها قطع الخـدام
هبطن بهنَّ مجهولا مخوفا ... قليل المـاء مصفر الجمـام
فلما أن رَوِيَن صَدَرْنَ عنه ... وجئن فروع كاسية العظام

قال المدائنى : فقدم أوس بن ثعلبة على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات ، فقال يزيد : لله درُّ أهل العراق ، هاتان الصورتان فيكم ياأهل الشام لم يذ كرهما أحد منكم ، فمر بهما هذا العراقى مرة فقال ما قال ، و يروى عن الحسن بن أبى سرح عن أبيه قال : دخلت مع أبى دُلَف إلى الشام ، فلما دخلنا تدمر وقف على هاتين الصورتين ، فأخبرته بخبر أوس بن ثعلبة ، وأنشدته شعره فيهما ؛ فأطرق قليلا ثم أنشد :

ما صورتان بتدمر قد راعتنـــا   أهل الحِجْي وجماعةَ العشاق
غَبَرا على طول الزمان ومَرِّهِ   لم يسأما من ألفـةٍ وعناق
فليرمِينَّ الدهْرُ من نـكباته   شخصيهما منه بسهم فـــراق
ولَيُبْلِيَنَّهما الزمانُ بكَرَّةٍ   وتعاقب الإظلام والإشراق
كى يعلم العلمـــاء أنْ لا خالِدٌ   غـــير الإله الواحدِ الخلاق

وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أتدمر صـــورتاك هما لقلبى   غرام ليس يشبهه غـــرام
أفـكر فيكما فيطير نومى   إذا أخذت مضاجعَها النيامُ
أقول من التعجُّب : أى شىء   أقامهما فقد طال القيـــام ؟
أمُلِّكتا قيام الدهر طبعا   فذلك ليس يملكه الأنامُ
كأنهما مَعاً قِرْنَان قامـــا   ألَجَّهما لَدَى قاض خصـــام
يمر الدهر يوم بعـــد يوم   ويمضى عامه يتلوه عـــام
ومكثهما يزيدها جمـــالا   جمال الدر زينَّهُ النظـــام
وما تعدوهما بكتـاب دهر   سجيته اصْطِلام واختـرام

وقال أبو الحسن العجلى فيهما :

أرى بتدمُرَ تمثالين زانهمـــا   تأنق الصانع المستغرق الفَطِن
هما اللتان يرون العين حسنهما   يستعطفان قلوبَ الخلق بالفتن

وفتحت تدمر صلحا . وذلك أن خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ! ـ مر بهم فى طريقه من العراق إلى الشام ، فتحصنوا منه ، فأحاط بهم من كل وجه ، فلم يقدر عليهم ، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال : يا أهل تدمر ، والله لو كنتم فى السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم ، ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهى هذا ، ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم . فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه له ورضى به . وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . ولكن خرابها كثير لطول تداول السنين بهـا . وهى واقعة بين دمشق وحلب ، بينها وبين حلب مسافة خمسة أيام .

* * *

٤ — وقال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْأَبْكَارَ زَيَّنَهَا ... سَعْدَانُ تُوضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللِّبَدُ[1]

وَالسَّاحِبَاتِ ذُيُولَ الْمِرْطِ فَنَّقَهَا ... بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغِزْلَانِ بِالْجَرَدِ

توضح

توضح : موضع معروف بنبات السَّعْدان . وهو واقع بين جبل الهضب وجبل الحمل . وقد مضى الكلام عليه فى معلقة امرئ القيس . والعرب تستمرئ نبات السعدان لرعى الإبل . وفى المثل « ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان » وهو نبات معروف عند عامة أهل نجد .

الجرد

أما الجرد فهو عند أهل نجد القطعة من الرمال الصغار يكون منظرها أسود سهلة المُرتقَى ، ولا أعلم موضعا معينا يقال له الجرد ، إلا موضعا جنوبى سامودة ، والموضع المذكور يقطعه السالك من الطائف إلى تربة ، يقال له الجرد ، وأما قول النابغة « كالغزلان بالجرد » فهو يقصد الجرد بالمعنى الأول إذا رأيتها ظننت أنها حزون ، وهى نوع من الرمال على ما ذكرنا .

* * *

٥ — وقال النابغة :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ ... إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ وَيُتْبِعُهُ ... مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هٰذَا الْحَمَامَ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ ... سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

فَلَا لَعَمْرُ الَّذِى مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرَ تَمْسَحُهُ ... رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغِيلِ وَالسَّعَدِ

الثمد

الثمد : يطلق على كل ماء قليل على ظهر الأرض يَرِدُه القطا . وهناك ماءة معينة معروفة يقال لها « الثميد » بالتصغير ، وهو الماء الذى تستقى منه بلد بريدة وتستعذ به على جميع المياه الواقعة قريبا منها .

أما « جانبانيق » فليسا موضعا معلوما . بل أراد جانبى جبلين رفيعين سالك الحمام من بينهما . والنيق : الجبل الشاهق .

---

(١) فى هذا البيت ـ على هذه الرواية ـ الإقواء ، وكان النابغة يقوى فى شعره ، ويروى :

* فى الأوبار ذى اللبد *

الـكعبة تـكفى شهرتها عن ذكرها .

الغيل

أما الغيل فثمة موضع بهذا الاسم واقع فى جبل العارض فى جنوبى الأفلاج . وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا . وهناك موضع كان يسمى الغيل فى الزمن القديم فى بطن وادى يلملم الذى يصب فى تهامة من أعلى وادى المحرم ، ويتجه مغربا حتى يصب فى البحر . وفى بطن هذا الوادى ماءة السعدية المعروفة بهذا الاسم فى هذا العهد . وهذا الوادى هو ميقات أهل اليمن . وهو الذى يقول فيه أبو دهبل الجمحى :

خرجت بها من بطن مكة بعد ما أصاح المنادى للصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحى حتى جاوزَتْ بى يَلَمْلَمَا

قال فى معم البلدان (1) : وفيه مسجد لمعاذ بن جبل . فأما أنا فوردت تلك الماءة ماءة السعدية وهى الميقات ، فلم أر فيها مسجدا . والغيل الذى يقع فى صدر يلملم فى قول ذؤيب بن بوية بن لأى :

لعمرى لقد أبكت قريم وأوجعوا بجزعة بطن الغيل من كان باكيا

وجزعة باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد بين ماءة السعدية وجبال وادى المحرم .

سعد

والمواضع التى يطلق عليها سعد ـ بسكون العين ـ كثيرة . قال ياقوت (2) : والسُّعْد : ماءة وقرية ونخل غربى اليمامة . قال أبو زياد : سعد ماءة وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربى بقرقرى، وقد ذكره الشعراء ؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرى وقد فارق أهله وافترض فى الجند :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بسُعْدٍ ولما تَخْلُ من أهلها سُعْدُ
وهل أقبلَنَّ النجدَ أعناق أينُق وقد سار مُسْيًا ثم صَبَّحها النجد
وهل أخبطن القوم والريحُ طَلَّة فروعَ ألاء حفهُ عَقَد جعد
وكنت أرى نجدا وريًّا من الهوى فما من هوائى اليوم ريًّا ولا نجدُ
فدعنىَ من ريًّا ونجد كليهما ولـكننى غادٍ إذا ماغدا الجند

وقال جرير :

ألا حى الديار بسُعْدَ إنِّى أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك يا سليمى بدارة صُلْصُل شَحَطوا مَزَارا
أراد الظاعنون ليحزنونى فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

وسَعْد أيضا : موضع قريب من المدينة ، كانت غزوة ذات الرقاع التى غزاها رسول الله صلى الله

---

(1) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١٤ . (2) انظر معجم البلدان ٥ / ٨٣ .

عليه وسلم قريبا منه ، وهناك موضع يقال له « سعد » على طريق السالك من فَيْدَ إلى المدينة ، قال فيه نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة　　عوائد أيام كما كُنَّ بالسعد
تمنيت أنَّا من أولئك ، والمنى　　على عهد عادٍ لا نُعيد ولا نبدى

ودير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وحمام سعد : فى طريق حاج الكوفة ، ومسجد سعد على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمغيثة فى طريق حاج الكوفة ، فيه بركة ، أما القرعاء فهى موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد من قرى الجِوَاء ، يقال لها القرعى ، وهذا المسجد ينسب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، قال ابن الكلبى : وكان لمالك وملكان ابنى كنانة بساحل جدة و بتلك النواحى صنم يقال له سعد ، وكان صخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نفرت منه ، فذهبت فى كل وجه وتفرقت عنه ، فأسف صاحب الإبل ، فتناول حجرا ، فرماه به وقال : لابارك الله فيك إلٰها ! أنفرت على إبلى ، ثم انصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد[1] ليَجْمَعَ شملنا　　فشتَّتنا سعدٌ فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتَنُوفَة　　من الأرض لايدعى لغى ولا رشد

فأما الموضعان اللذان ذكرهما النابغة بقوله « بين الغيل والسعد » فالغيل ماء إذا كثرت السيول يصب من الجبل الذى يدعى اليوم جبل الرخم ، وهو مُتَاخِم للجبل المسمى اليوم « جبل النور »

وأما السعد ــ بفتح العين ــ فهو ماءة تصب من جبل أبى قُبيْس ، معروفة عند جميع العرب بهذا الاسم ، ولكن هذا الماء انقطع إلا أن يكون هو الذى يُسَميه أهل مكة فى هذا العهد المصافى فهو باقٍ يحجز الماء ، وأقرب مايكون لهذا التحديد هو موضع المصافى اليوم .

* * *

٦ ــ وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ　　وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وهو يمدح فيها الحارث الأعرج الغسانى لما التجأ إليه حين هرب من النعمان بن المنذر ، إلى أن قال :

---

(١) وفى معجم البكرى ج ٣ ص ٧٣٨ : وهناك موضع يقال له « سعد » غير هذا ، واقع فى بلاد غطفان ، وهو الذى يقول فيه كعب بن زهير :

جعل السعد والقنان يمينا　　والمروراة شامة وحفيرا　　(المصنف)

حَلَفْتُ يَميناً غَيْرَ ذِى مَثْنَوِيَّةٍ   وَلاَ عِلْمَ إِلاَّ حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَئِنْ كَانَ لِلقَبْرَيْنِ قبرٍ بِجِلَّقٍ   وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ الَّتي عِنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ   لَيَلْتَمِسَنْ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمُحَارِبِ
وَثِقْتُ لَهُ بِالنّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ   كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ   عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ

إلى أن قال :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

جلق

جلق : قيل فى كتب المعاجم إنها اسم لكورة الغوطة ، وقيل : بل هى دمشق نفسها ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه فى جاهليته :

لِلّهِ دَرّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ   يَوْمًا بِجِلَّقَ فِي الزّمَانِ الْأَوَّلِ

وهى مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

صيداء

صيداء : قال فى معجم البلدان [1] : تطلق على كل أرض تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض ، قال الشماخ :

حذاها من الصيداء نعلا طراقها   حوامى الكراع المؤيدات العشاوز

وهى اسم لمدينة عظيمة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق ، شرقى صور ، بينهما ستة فراسخ ، قالوا : إنها سميت بصَيْدَاء لأن أول من اختطَّها صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

حارب

حارب [2] موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر ، من ديار قُضَاعة ، واستدل صاحب معجم البلدان على هذا الموضع ببيت النابغة ، ولا أعلم أهو باقٍ بهذا الاسم أم قد تغير .

الحارث الجفنى الذى ذكره النابغة هو الحارث الأعرج الغسانى ، وعلى ذكر البيت الأخير الذى يقول فيه « ولا عيب إلخ » نقول : ذكروا أن عروة بن الزبير وفَدَ على عبد الملك بن مروان وقد كُفَّ بصر عروة ، فقال له عبد الملك : أتعرف سيف أخيك عبد الله بن الزبير إن أتيناك به ؟ قال : نعم ، فجاءوه بعشرين سيفا ووضِعَتْ بين يديه ، فقال عبد الملك : أخرج سيف أخيك منها ، فاندفع يتتبعها بيديه ، فوجد سيف أخيه ، فعرفه بمس يديه ، ثم مده إلى عبد الملك بن مروان وقال :

---

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٤٠٣ .   (٢) معجم البلدان ٣ / ١٩٨ .

هذا سيف أخى ، فقال له : وما يدريك وقد كف بصرك ؟ قال : استدللت عليه ببيت النابغة حين قال :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

فأعجب عبد الملك به ، فقال : صدقت هذا سيف أخيك .

* * *

٧ — وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

إِنِّى كأَنِّى لدَى النُّعْمانِ خَبَّرَهُ بَعْضُ الأَوُدِّ حَدِيثًا غيْرَ مَكْذُوبِ

إلى أن قال :

تأْتِى الْجِيَادُ مِنَ الْجَوْلَانِ قَائِظَةً مِنْ بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزْجِى وَمَجْنُوبِ
حَتّى اسْتَغَاثَتْ بِأَهْلِ الْمِلْحِ مَا طَعِمَتْ فِى مَنْزِلٍ طَعْمَ نومٍ غَيْرَ تأْوِيبِ
يَنْضَحْنَ نَضْحَ الْمَزادِ الْوُفْرِ أَتأَقَهَا شَدُّ الرُّوَاةِ بِماءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

إلى أن قال :

وَمَا بِحِصْنٍ نُعَاسٌ إِذْ تُؤَرِّقُهُ أَصْوَاتُ حَيٍّ عَلَى الْأَمْرَارِ مَحْرُوبِ

الجولان

الجولان : قرية من نواحى الشام من أعمال حوران ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومنهم من قال : إنه موضع فيه مزارع فى وسط جبل ، وقال النابغة فى غير هذه القصيدة :

بكى حارثُ الْجَوْلانِ من فَقْدِ ربه وحورانُ منه مُوحِشٌ مُتَضائل

وجبل الجولان يقال له « حارث » قال حسان بن ثابت :

هبلَتْ أمهم وقد هبلتهم يوم راحوا لحارث الجولان

وقال الراعى :

كذا حارث الجولان يبرق دونه دساكر فى أطرافهن بروج

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه من قصيدة له طويلة مطلعها « منع النوم إلخ » . وهى فى السيرة :

إن خالى خطيبُ جابية الجو لانِ عندَ النعمان حين يَقُومْ

وقال حسان أيضا فى قصيدة له ذكرها صاحب السيرة فى ذكر خير البرية :

منعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطنا على أنفِ راضٍ من معدٍّ وراغمِ
منعناه لما حَلَّ بين بيوتنا بأسيافنا من كل باغ وظالم

ببيتٍ حريدٍ أصلُه وثراؤه بجابية الجولان بين الأعاجم
هَلِ المجد إلا السؤدد العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ الملوك واحتمالُ العظائم

وقال الجواس بن القعطل الكلبي يتهدد عبد الملك بن مروان ، ويذكر مواقف قومه معه يوم مرج راهط لما هزمت كلب جيشَ ابن الزبير وقتل رئيسه الضحاك بن قيس ، ورئيس أهل الشام مروان ابن الحكم ، ورئيس كلب حسان بن بحدل خال يزيد بن معاوية ، وأقوى داع لنصرة كلب لبنى أمية هذه المصاهرة ، وهى تزوج معاوية بن أبى سفيان ميسونَ بنت بحدل أخت حسان المذكور ، وهى التى تقول لما اختارت البادية على قصور الشام :

لبيت تخفق الأرواحُ فيه أحبُّ إلى من قصر منيف

وقصتها طويلة ، قال الجواس :

أعبد المليك ما شكرتَ بلاءنا فَكُلْ فى رخاء الأمن ما أنت آكلُ
بجابية الجولان لولا ابنُ بحدل هلكتَ ، ولم ينطق لقومك قائلُ
وكنت إذا أشرفت فى رأس رامة تضاءلت ، إن الخائفَ المتضائلُ
فلما علوتَ الشام فى رأس باذخ من العز لا يسطيعه المتناولُ
نضحت لنا سَجْلَ العداوة معرضا كأنك عما يُحْدِثُ الدهرُ غافلُ
فلو طاوعونى يوم بطنان أسلمت لقيس فروج منكم ومقاتل

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام ، وأرواح الكفار فى برهوت من أرض حضرموت .

وأكثر شعراء غطفان ذكر المَلْح وذكر المروراة ، قال النابغة * حتى استقامت بأهل الملح * وقال فى هذه القصيدة « أصوات حى على الأمرار محروب » وقال زهير[1] بن أبى سُلْمى وهو — مع كونه مزنى النسب — يعد من شعراء غطفان :

تَرَبَّصْ فإن تَقْوِ المروراة منهمُ وداراتها لم تقومنهم إذا نَخْلُ

المروراة والأملاح التى أكثر شعراء غطفان من ذكرها واقعةٌ فى بلاد غطفان ، ولكن فى بلاد العرب ثلاثة مواضع من الأرض لا يستطيع أحد أن يشرب من مائها ولا أن يطبخ بها زادا ، ولكن الله اللطيف بعباده جعل للناس بين تلك الأملاح معاذبَ يستعذب أهلُ الأملاح منها ، فيهم

(١) قد ذكرنا فى صفحة ١٤ من الجزء الأول : أن زهيرا من قيس عيلان لأنه ناشىء فى بلاد غطفان ، ونسبه فى مزينة وهم من بنى عمرو بن أد ، من الياس بن مضر . (المصنف)

من يركب جمله بمزادة فيستقى ثم يعود إلى أهله ، وفيهم من يبيت ليلة على الماء العذب ، أما المياهُ المرة فى بلاد بنى عبد الله بن غطفان فهى واقعةفى أعلاها ، وتنقسم سيول تلك الناحية إلى قسمين ؛ فما كان يصبُّ إلى جهة الشرق فهو وادى الرمة ، وما كان يصب منها إلى جهة الغرب فهو يصب فى الشعبة التى تصب فى وادى الحمض ، وسنذكر المياه التى حضرتنا أسماؤها ، بعضُها لا تسيغه الإبل ، تكظم عليه ثم تمجه ، قال شاعر غطفانى فى ماءة المرير وقد أوردنا هذا الشاهد :

هـــذا المرير فاشربيه أوذَرِى إن المريرَ قطعة من أخضر ـ أى من بَحْر

وطرف تلك المياه الجنوبى : ماءة الحضارة الواقعة بين الدفينة وعفيف ، وسنذكر المتصل بها منها إلى طرف المروراة الشمالى ، وشحاذه ، والغثمة ، والسرنحيه ، وثرب ، وفج ، وفجيج ، والسليلة ، والبدنة ، والمرير ، والمرة ، وطلال ، والهميج ، وأبو مغير ، والماوية ، و بلغة ، و بعض تلك المياه إذا خرج من الدلوجمد ؛ فالسالك من الدفينة إلى عفيف يترك طرفها الجنوبىَّ على شماله ، والسالك من النقرة إلى المدينة يترك طرفَها الشمالى على شماله ، وهذهِ كان يقال لها فى الجاهلية « مروراة غطفان » وفى الإسلام همج بنى عبد الله بن غطفان .

والقطعة الثانية : واقعة فى عالية نجد الجنوبية ، معظمها للمقطة جماعةِ ابن حميد ، يقال لها فى هذا العهد « همج المقطة » والواقع منها فى جهتها الجنوبية : حفاير خالد ، والهمجة ، والأروسة ، ومحضب ، والكبدى ، والبديعة ، والهتيميّة ، ومامون ، ودسمان ، ولقطان ، ولقيطين ، والأيسرى ، والبقرة ، وعبّاب ، والعوجا ، والحفيرة ، وللميسنة ، وسم ساعة ، والطفية ، والرجمة ، والرمرمية ، وأحسن تلك المياه الهتيمية والبقرة .

والقطعة الثالثة يقال لها «همج الدبول» وسيولها تصبُّ فى الركاء ، يحدها من الشرق جبل العارض الواقع فى طرف اليمامة الجنوبى ، وأعلاها قريب جبل الحصاة ، وهى فى القطعة الجنوبية الشرقية من نجد ، وهى : بقيران ، ولجع ، والوهوهى ، وعمْق ، والسيح ، والخبراء ، وحنيظلة ، والهوة ، والحيانية وقنا ، وقنى ، وجفن ضب ، وماوان ، والمنجور ، وحميان ، والجويفاء ، وهذه غير جويفاء الطريق

هذه الأمواه الثلاثة من نجد ماؤها مر ، ولكنها من أصلح الأرض للإبل ، والقطعة الأولى لبنى عبد الله بن غطفان ، والثانية لبنى عامر بن صعصعة ، وقد يكون بعض البطون من عتيبة التى تسكنها الآن من بقايا بنى عامر بن صعصعة ، والقطعة الثالثة — وهى الجنوبية — تشترك فيها قحطان والدواس .

و إذ ذكرنا الأملاح من المياه فإنا نحب أن نكمل البحث بذكر معادن ملح الطعام وغيره ،

وسنبتدىء من شمالى المملكة فنقول : قريات الملح المشهورة ، والسعدان وهو فى بلاد غطفان ، فى مفيض سيل وادى المحانى مما يلى حاذة ، على طرف الحرة فى أرض سبخة ، ومجيرمة بين الليث وجدة ، وملح جيزان الواقع فى القطعة الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، وملح مران وهو واقع فى صبخا مران ، وملح فى طريق رنية ، فى طريق القاصد لها من نجد . بين العرق وجبل الصاقب ، وملح الخبراء الواقعة فى القطعة الجنوبية من نجد ، وملح الأفلاج فى فيضة شعيب الهدار ، وملح القصب فى شرقى بلدان الوشم ، وملح العوشزية الواقعة شرقى عنيزة ، وملح الشقة فى غربى القصيم من قرى الجواء ، وملح الخاصرة قريب جبل العلم الواقع جنوبى جبل شهلان على مسافة يوم ونصف ، و بعض تلك المواضع يُحْمَل ملحُهَا على الإبل بحبال من غير شى يمسكه ، كأنه قطع من الحجارة وهو ملح الشقة وملح العوشزية الذى فى جهة القصيم ، وملح الخاصرة، والملح الذى يكون قريب الصاقب فى القطعة الجنوبية من نجد .

وفى عالية نجد معادن ملح البارود : ملح القهر، وهو فى الجنوب بين اليمن ونجد ، وملح الشبكة فى شرف نجد بين بلد عروى و بلد الشعرى ، وهو من أحسن تلك المعادن ، وملح واسط فى بلد الدوادمى ، وملح خفا قريب ماءة القاعية يمر به القاصد إلى مكة من الرياض ، إذا ترك القاعية وراء ظهره فالتفت يمينا رأى هضبة هناك حمراء ، وملح شبيرمة بين بلد نفى وكبشان ، وملح الركاء بين دخنة وسواج ، وهو غير وادى الركاء المشهور فى جنوبى نجد ، وملح الجريف قريب بلد الرس وملح العقابة فى حمرة عرض ابنى شمام ، وملح وضاخ ، وملح القرى قرى الحرة .

هذا الذى حضرنى اسمه من جميع الأملاح الواقعة فى نجد ، وهذه الأسماء هى أسماؤها فى هذا العهد ، ولما ورد ذكر الأملاح فى قصيدتى زهير والنابغة لم أحب إهمالها[1]

* * *

٨ — وقال النابغة

ظَلَّتْ أَقَاطِينُ أَنْعَـــامٍ مُؤَبَّلَةٍ   لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزَّوْرَاءِ مَنْصُوبِ

فَإِذْ وُقِيتِ بِحَمْدِ اللهِ شِرَّتَهَا   فَانْجِى فَزَارَ إِلَى الأَطْوَادِ فَاللُّوبِ

وَلاَ تُلاَقِى كَمَا لاَقَتْ بَنُو أَسَدٍ   فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهُ بِشُؤْبُوبِ

---

(١) قال المصنف : لما ذكرت الأملاح الواقعة فى بلاد العرب خطر لى أن أذكر المياه العذبة التى كأنها من ماء المزن ، ثم خشيت الإطالة ، غير أنى أذكر أن معظم مياه بلاد العرب عذبة : فجبل اليمامة من طرفه الجنوبى إلى طرفه الشمالى أغلب مياهه عذبة ، وجميع جبال نجد أغلب المياه الواقعة فيها عذبة ، والذى دعانا إلى ذكر الأملاح مرورها فى شعر النابغة ، وهى من شروط كتابنا هذا .

الزوراء

الزوراء : فى بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وكذلك فى غير بلاد العرب ، فأما الزوراءالتى عناها النابغة فهى دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة ، كان يتنزه فيها فى بعض الأوقات ، قال النابغة أيضا :

وأنت ربيعٌ ينعشُ الناسَ سَيْبُه وسيفٌ أُعيرته المنيةُ قاطعُ
وتُسْقَى إذا ما شئت غير مُصَرَّد بزوراء فى أكنافها المسك كارع

وقول النابغة * لدى صليب على الزوراء منصوب * قال فى معجم[1] البلدان رواية عن الأصمعى : الزوراء هى رصافة هشام بن عبد الملك ، وكانت فيما سبق للنعمان ، وفيها كان يكون ، وإليها كانت تنتهى غنائمه ، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانيا ، وكان يسكنها بنو حنيفة ، وكانت أدنى بلاد الشام للشيح والقيصوم .

الأطواد واللوب

الأطواد واللوب . تطلق على الجبال والحِرَار ، يقال للجبل « طَوْد » وللحرة « لَأَبَة » وليسا بموضعين معينين .

* * *

٩ — وقال النابغة :

فإنْ تَـكُنِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسْيٍ أَصَابُوا مِنْ لُقَيِّكَ مَا أَصَابُوا
فَمَا إنْ كَانَ مِنْ نَسَبٍ بَعِيدٍ وَلٰـكِنْ أَدْرَكُوكَ وَهُمْ غِضَابُ
وَلَمْ نَرَ مِثْلَ جَمْعِ بَنِى عَدِيٍّ غَدَاةَ الْحِسْى إِذْ حَمِىَ الضِّرَابُ

الحسى

الحِسْى : أكثرت شعراء غطفان من ذكره ، وقد مضى الكلام عليه فى أشعار زهير ، وهو موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال له اليوم « حسى علياء » وكانت به وقعة عظيمة فى الجاهلية كانت لبنى بَغِيض على بنى عامر بن صَعْصَعَة ، قتل فيها حَنْظلة بن الطُّفَيل أخو عامر بن الطفيل ، وفى هذه الوقعة يقول النابغة يخاطب عامر بن الطفيل :

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلا فإن مَظِنة الجهل السِّبَابُ[2]
فـكن كأبيك أو كأبى بَرَاء تُوَافِقْكَ الحكومةُ والصَّوابُ
فإنك سوف تحكم أو تناهى إذا ما شِبْتَ أو شاب الغرابُ
ولا تذهب بقولك طاميات من الخُيَلاء ليس لهنَّ باب

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣

(٢) ويروى * فإن مطية الجهل الشباب *

١٠ — وقال النابغة :

أَرَسْمًا جَدِيدًا مِنْ سُعَادَ تجنَّبُ عَفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدادِ مِنْهَا فَيثْقُبُ
عَفَا آيَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا وَأَسْحَمُ دَانٍ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ

إلى أن قال :

رَعَى الرَّوْضَ حَتَّى نَشَّت الغُدْرُ وَالتَوَتْ بِدِخْلَانِهَا قِيمَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ (١)

روضةالأجداد روضة الأجداد : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تبعد عن بلد قصيبة مسافة يوم ونصف مما يلي جنوبيها الغربي ، قال مرداس بن حشيش التغلبي (٢) :

إن الديار بروضة الأجداد عَفَّتْ سَوَارٍ رسمَهَا وغواد
من كل سارية وغادٍ مُدْجِنٍ حَنِقِ البوارق مُونق الرواد

وكانت روضة الأجداد المذكورة تتربَّع فيها بطونٌ من بنى عبس وبطونٌ من بنى أسد . وهى واقعة بين القبيلتين : بين غطفان وبنى أسد . وهى الفاصل بينهما . قال صاحب معجم البلدان (٣) : قال الهيثم بن عدى : خرج عروة الصعاليك العبسى وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها ، فعشروا ، وهم يرون أنهم إذا خافوا وباء مدينةٍ وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كما تعشر الحمير ، والتعشير : نُهَاق الحمير ؛ فيرون أنه يصرف عنهم وباءها . قال : فعشروا خوفا من وباء خيبر ، وأبى عروة أن يعشر ، وهذا التعشير ذكرته لهم يهودُ خيبر تهكما بالعرب ؛ فقال عروة :

وقالوا احْبُ وانْهَقْ لا تضرك خيبر وذلك من دين اليهود وَلُوعُ
لعمرى لئن عَشَّرْتُ من خشية الردى نُهَاقَ الحمير إننى لَجَزُوعُ
فلا وألَتْ تلك النفوسُ ولا أتت على روضة الأجداد وَهْيَ جميعُ
فكيف وقد ذكَّيْتُ واشتدَّ جانبى سُلَيْمَى وعندى سامعٌ ومُطِيعُ
لسانٌ وسيفٌ صارمٌ وحَفِيظة ورأى لآراء الرجال صَرُوعُ
تُخَوِّفُنى ريبَ المنون وقد مضى لنا سَلَفٌ قَيْسٌ مَعًا وربيع

يشير إلى قيس بن زهير رئيس عبس ، والربيع بن زياد العبسى . قال : فدخلوا وامتاروا ورجعوا فلما بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

يثقب يثقب : أكثرت الشعراء من ذكره ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد .

---

(١) فى الديوان « والتوت بدجلانها » (٢ ، ٣) معجم البلدان ٤ / ٣٠٩ .

شرج أما شرج (١) فكل وادٍ يصب منه الماء يقال له شرج . والشراج : مجارى المياه من الحِرَار إلى السهل ، واحدها شرج . فأما شرج الذى عناه النابغة فهو موضع بعينه شرقى بلاد غطفان قريب الأجفر ، داخل فى بلاد بنى أسد ، يسمى شرجا فى هذا العهد أيضا ، وبهذا الموضع ماء عذب ، قال الراجز :

أَنْهَلْتُ من شَرْجٍ فَمن يعِلُّ ... يا شرجُ لافاء عليك الظِّلُّ

* فى قَعْرِ شرجٍ حَجَرٌ يَصِلُّ *

وقالت امرأة من كلب :

سقى اللهُ المنازلَ بين شرجٍ ... وبين نواظرٍ دِيَماً رِهَامَا

وأوساط الشقيق شقيق عبس ... سقى رَبِّى أجارعَهَا الْغَمامَا

فلو كنا نُطَاعُ إذا أَمَرْنَا ... أَطَالْنَا فى ديارِهمُ الْمُقَامَا

ونواظر التى قرنتها بشرج : أكثبة مرتكمة لاتزال إلى هذا العهد تعرف بهذا الاسم ، وهى واقعة بين النباج وزرود يقال لها نواظر . وأما شقيق عبس التى قرنتها بهما فإنها موجودة إلى هذا العهد ويقال لها اليوم « الشقق » وهى فى بلاد غطفان من قرى الجواء ، مفردها شقة ، وقال حسين ابن مطير الأسدى :

عرفْتُ منازلاً بشِعاب شَرْجٍ ... فَحيَّيْتُ المنازلَ والشِّعابا

منازل هَيَّجَتْ للقلب شوقا ... وللعينين دمعا واكتئابا

أيهب وأيهب : أكثرت ذكره الشعراء من بنى أسد ومن غطفان ، ولا أشك أنه واقع فى بلادهم ، وأنا لا أعرفه .

* * *

١١ — وقال النابغة :

فَرَاحَ يُرِيدُ الْعَيْنَ عَيْنَ مُتَالِعٍ ... يَؤُمُّ بَنَاتِ الْأَخْدَرِيِّ وَيَقْطُبُ

إِذَا هَبَطَا سَهْلاً أَثَارَ عَجَاجَةً ... كَأَنَّ بِهِ مِنْهَا مُلَاءً يُنَصَّبُ

متالع متالع : جبل قريب حمى ضَرية ، وفى جهة الأحساء جبل كان يقال له فى الجاهلية « بتالع » وثمة جبل فى بلاد غطفان يقال له «متالع» ولا أعلم جبلا بهذا الاسم فى هذا العهد . وإليك روايات صاحب المعجم عنه (٢) . قال الأصمعى : مُتَالع جبل بنجد ، وفيه عين يقال لها الخرارة ، وهو الذى

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٥٠ . (٢) معجم البلدان ٧ / ٣٨٠ .

يقول فيه صدقة بن نافع العميلى ، وكان بالجزيرة :

أرقْتُ بحران الجزيرة مَوْهِنًا لبَرْق بَدَا لى ناصبٍ متعالِ
بَدَا مثل تَلْماع الفتاة بكفها ومن دونه نأى وعبر قلال
فبتُّ كأن العين تُــكْحَل فلفلا وبى عس حُمَّى بيِّن وملال[1]
فهل يرجعَنْ عيشٌ مضى لسبيله وأظلالُ سدرٍ تالع وسَيَالُ
وهل ترجعن أيامُنَا بمُتَالع وشرب بأوشال لهن ظلال
وبيض كأمثال المَهَا يستبيننا بقيلٍ وما مَعْ قيلهن فَعَالُ

ومتالع : جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء ، وفى سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها « عين متالع » ولذلك قال ذو الرمة :

نحاها لثأج نَحْوه ثم إنه تَوَخَّى بها العينين عينَيْ متالع

قال الحفصى : وهو جبل وعنده ماء ، وهو لبنى مالك بن سعد ، وقيل : متالع جبل لغنى . وقال الزمخشرى : متالع لبنى عميلة ، قال صدقة بن نافع العميلى :

وهل ترجعن أيامنا بمتالع وشرب بأوشال لهنَّ ظلالُ

وقال السكونى أبو عبد الله : متالع : ماء شرقى الظهران عند الفوارة ، وقال كثير :

بكى سائب لمّا رأى رملَ عالج أتى دونه والهضبَ هضب متالع
بكى إنه سهو الدموع كما بكى عشية جاوزنا نجاد البدائع

* * *

١٢ — وقال النابغة :

فَمَا جَادَلْتُمَا بِقِيَادِ خَيْـلٍ يَصُونُ الْوَرْدُ مِنْهَا وَالْـكُمَيْتُ
إِلَى ذُبْيَانَ حَتَّى صَبَّحَتْهُمْ وَدُونَهُمُ الرَّبَائِـعُ وَالْخُبَيْتُ

الربائع

الربائع : هضبات[2] حُمْر فى بلاد بنى أسد ، منقطعة عن جبل الغيار كأنها منه . ويقال لها اليوم « الروابع » وهى لاتبعد عن جبل التين . وجبل التين يقال له اليوم « تين » تراه إذا كنت قريبَ الجبل المسمى « حبش » رماءة الخوة لاتبعد عن جميع تلك المواضع . وقد أكثر الشعراء من ذكر تلك المواضع . وفى ذكر الربائع المذكورة يقول الراجز :

(١) الأبيات الأربعة الأخيرة مرفوعة القوافى على الإقواء فى البيتين الأولين .
(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٢١ .

وبين خَوَّيْن زقاقٌ واسِـعْ   زقاقُ بين التين والربائع

وقالت امرأة من بنى أسد وقد أوردنا هذه الأبيات شاهدا على غمار ، ولكنا أعدناها هنا لأنها ذكرت فيها الربائع :

لعمركَ لَلغَمْرَان غَمْرا مقلد   فذو نَجَب غُلاَّنُه ودوافعه

وخَوٌّ إذا خو سقته ذِهَابُه   وأمرعَ منه تينهُ وربائعه

أحبُّ إلينا من فراريج قريةٍ   تَزَاقَى ومن حى تنقُّ ضفادعه

والخوة وسميراء منهلان ، وحبشى والربائع وغمار وتين جبال ، وتلك المواضع فى بلاد بنى أسد .

الخبيت

أما الخبيت فهو تصغير الخَبْت ، وأصل الخبت المنخفض من الأرض ، وقال أهل اللغة : إنه يطلق على كل منخفض سواء أكان رملا أم حزنا . والخبوت كثيرة ، ولا أعرف موضعا يقال له « الخبت» فى هذا العهد . وبين مكة والمدينة موضع يقال له « خبت الجيش » وبين مكة والمدينة موضع آخر يقال له « خبت البزوا » وخبت : من قرى زبيد باليمن ، وظنى أن الخبت الذى ذكرهُ النابغة مصغرا قريب الربائع الواقعة فى بلاد بنى أسد ؛ لأنه عطف الخبت عليها

* * *

١٣ — وقال النابغة :

كَأَنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْرًا   سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمْنَ الْقَرَاحَا

قِفَا فَتَبَيَّنَا أَعُرَيْتِنَاتٌ   تَوَخَّى الْحَيُّ أَمْ أَمُّوا لُبَاحَا

كَأَنَّ عَلَى الْحُدُوجِ نِعَاجَ رَمْلٍ   زَهَاهَا الذُّعْرُ أَوْ سَمِعَتْ صِيَاحَا

عريتنات

أما عريتنات فقد مضى الكلام عليها .

لباح

ولباح : لم أسمع لها ذكرا ، ولا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد . قال صاحب المعجم [1] : هو موضع فى قول النابغة ، يريد هذا البيت ، ولم يزد على ذلك . وفى غامد بلد يقال لها « الباحة » تتبع مقاطعة بلد الطفير بين أعلى وادى تربة ووادى بيشة . ولا أعرف غير تلك القرية باسم يقارب هذا الاسم .

* * *

١٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبى ، وقد أغار على بنى ذبيان وأخذ وسَبَى ، وكان فى السبايا عقرب بنة النابغة ، فسألها من أبوها ؟

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٣١٨

فقالت : النابغة الذبياني ، فقال : قد وهبتك لأهلك ، ووهبت هؤلاء السبايا لك . فزوّد السبايا وكساهُنّ ورجعهن إلى بنى ذبيان ؛ فمدحه النابغة بعد ذلك ، وليس من شرط كتابنا هذا إلا ذكر المواضع :

أَهَاجَكَ مِنْ سُعْدَاكَ مَغْنَى الْمَعَاهِدِ ... بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الْأَسَاوِدِ

تَعَاوَرُهَا الْأَرْوَاحُ يَنْسِفْنَ تُرْبَهَا ... وَكُلُّ مُلِثٍّ ذِي أَهَاضِيبَ رَاعِدِ

بِهَا كُلُّ ذَيَّالٍ وَخَنْسَاءَ تَرْعَوِي ... إِلَى كُلِّ رَجَّافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

روضة نعمى

روضة نعمى : قد مضى الكلام على وادى النعيم فى قصائد امرىء القيس . وقد مضى ذكر « الأنيعم » بالتصغير ، وهذه الروضة لا تكون إلا من رياضه ، وهو واقع فى عالية نجد .

ذات الأساود

فأما ذات الأساود فإن ثمة موضعين بهذا الاسم قريب تلك الروضة ، وهى « جبال الأسودة » الواقعة بين جبل ثهلان وكثيب رمحة . ومنهم من يقول « رمحات » وفى جبال الأسودة ماءة يقال لها « ملية » وهى من الآبار القديمة ، ورمحات المذكورة غير رمح الواقعة فى الشمال الشرقى لبلد أشيقر ، وهى التى يقول فيها ناهض بن ثومه [1] وقد ثناها على عادتهم فى ذلك :

فما العهد من أسماء إلا محلّة ... كما خُطَّ فى ظهر الأديم الرواقشُ

برمحين أو بالمُنْحَنَى دبَّ فَوْقَهَا ... سَفَا الريحِ أو جزع من السَّيل خادشُ

المنحنى : هو وادى أشيقر ، ورمحان معروفان بقريب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وينتهى سيل المنحنى إلى روضة رمحين ، أما الموضع الثانى فهو «جبال السوادة» التى تمتدمن قريب ذقانين ، وتندفع إلى جهة الشرق الجنوبى ، وتقف عند جبل صاحة التى مر ذكرها فى أشعار امرئ القيس ؛ والنعيم والأسودة كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد .

* * *

١٥ — وقال النابغة :

يَاعَامِ لَا أَعْرِفْكَ تُفْكِرُ سُنَّةً ... بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا بِالْمَرْصَدِ

لَوْ عَايَنَتْكَ كُمَاتُنَا بِطُوَالَةٍ ... وَالْحُزْوَرِيَّةِ أَوْ بِلَابَةِ ضَرْغَدِ

لَثَوَيْتَ فِى قِدٍّ هُنَالِكَ مُوثَقًا ... فِى الْقَوْمِ أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ

طوالة

طُوَالَة : فى عالية نجد ، وهى جبل يقال له اليوم «الأطولة» واقع بين سجا وحماه و بين الجنوبى من أجبلة النير ، قال الحطيئة [2] :

(١) معجم ياقوت ٤ / ٢٨٥

(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٦٥

وفى كل مُمْسَى ليلةٍ ومُعَرَّس خيالٌ يوافى الركب من أم مَعْبَدِ
فحَيَّاكَ وُدٌّ ، ما هداك لفتيةٍ وخوصٍ بأعلى ذى طُوَالة هُجَّدِ ؟

وقال الشماخ :

كلا يَوْمَىْ طُوَالَةَ وَصْلُ أروى ظَنُون ، آنَ مُطَّرَحُ الظنونِ

وفى طُوَالة يوم من أيام العرب .

الحزورية الحزورية : ماءة تُعَد من أملاح غَطَفان ، ولكن اسمها قد تغير الآن فصار فى هذا العهد « حزرة » إذا سلكت الشعبة مُغَرِبا أتيت على ثرب ، ثم فج ، ثم نجيج ، ثم حزرة ، ثم النعيرية وعندها جبيلات صِغار يقال لها « الحزورية » .

لابة ضرغد أما لابة ضرغد فقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد « ضرغد » موضع به زروع ونخيل وسكان ، وعنده لابة عظيمة ، إذا دخلها الجانى لم يُقْدَر عليه واقع فى بلاد بنى أسد ، وهو الفاصل بينها و بين بلاد طى .

* * *

١٦ — وقال النابغة :

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا يُهْدِى إِلَىَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ
فَحَلَفْتُ يَازُرْعَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّنِى رَجُلٌ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِى
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظَ حِينَ لَقِيتَنِى تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِى
إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ

عكاظ عكاظ : قد أكثر أهل المعاجم وأهل اللغة من ذكره وتحديده ، واختلفوا ، وأحسن كلام ذكره الذين تعرضوا لتحديده كلامُ عالِمٍ يقال له الرداعى، يمانى ، ذكر ذلك فى قصيدة له ذكر فيها المواضع التى يمر بها السالك من صَنْعاء حتى يدخل مكه . وذكر الهمدانى القصيدة فى كتابه صفة جزيرة العرب ، ومن قول الرفاعى فى أرجوزته :

حتى إذا استَسْهَلْنَ من كلاخ وأوقح ذى الحَمْض والسباخ
وأسْهَلَتْ فى البطن من عُكَاظِ وسيرها فى زاجر كظَّاظ
وخلفت قرَّان ذا المَنَاقب وشرباً فى جنح لَيْلٍ واقب

فقران الذى ذكره : ثنايا السيل الصّغير وما حولها ، ولا يزال يقال لها «قران» إلى هذا العهد ، وهناك وادٍ يقال له « قران » إلى هذا العهد أيضاً يقع شمال مطار الحوية وسيلُه يصب فى العقيق .

وهذا من أقوى الدلائل على أن عكاظا فى وادى شرب فى مفيضه ، ومما يدل على ذلك أيضا قولُ الكميت بن زيد الأسدى :

وفى الْحنيفة فاسأل عن مَنَازلهم بالمسجدين ومَلْقَى الرحل من شرب

المسجدين : حَرَم المدينة وحرم مكة ، وملقى الرحل من شرب : سوق عكاظ الذى تُلْقِى فيه العربُ رحالها ، أما موضع عكاظ[1] اليوم فحدوده الشمالية قريب المطار الواقع قريب وادى الحوية ، وحدوده الجنوبية العبلاء ، وعند العبلاء كان اليومُ الثانى من أيام الفِجَار ، وقال خداش بن زهير[2] :

ألم يبلغكم أنا جَدَعْنَا لدى العَبْلاَء خندف فى القياد

ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

وقال خداش[3] أيضاً :

ألم يبلغك بالعَبْلاَء أنَّا ضربنا خندفاً حتى استقادوا

نبَنِّى بالمنازل عز قيس وودُّوا لو تَسِيخُ بنا البلاد

وعكاظ : واقع أسفل وادى شرب ، وقد غلط من قال : إنه السيل الصغير أو داخل الريعان ، والصحيح أن موضعه هو الذى ذكرناه ؛ لأنه موضع يتسع لاجتماع الناس ، وبه آثار ومياه عذبة ، والأرجوزة التى أشرنا إليها فى تحديده قيلت منذ ثمان مائة سنة تقريباً .

* * *

١٧ — وقال النابغة فى هذه الرائية :

وَبَنُو جَذِيمَةَ حَىُّ صِدْقٍ سَادَةٌ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تِعْشَارِ

خبت وتعشار : ما آن لكلب ، وقد مضى الكلام على خبت مصغرا فى الكلام على بيت النابغة الذى يقول فيه :

إلى ذُبْيَان حتّى صَبَّحتهم ودونهمُ الربائع والخبيت

* * *

١٨ — وقال النابغة فى هذه الرائية أيضاً :

حَوْلِى بَنُو دُودَانَ لاَ يَعْصُونَنِى وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِى

---

(١) عكاظ بعد اكتشافنا الأخير يبعد عن المطار عشرة كيلو مترات من جهته الشرقية وسنذكر اكتشافنا له برمته فى آخر هذا الكتاب . (٢) انظر معجم ما استعجم ٩٦١ ومعجم البلدان ٦/١١٣

(٣) انظر معجم البلدان ٦/١١٤

زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حَاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ   وَعَلَى كُنَيْبٍ مالِكُ بْنُ حِمَارِ
وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سكَيْنٍ حُضَّرٌ   وَعَلَى الدُّثَيْنَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

عراعر

عُرَاعر : ماءة فى الهضب ، لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها فى رائية امرىء القيس .

كنيب

كُنَيْب : لم أجد فى بلاد العرب موضعا بهذا الاسم[١] ، وهناك موضعان : أحدهما كتيبة ، بالتاء وآخره هاء ، والآخر : كثيب بالثاء المثلثة ، فأما كتيبة : فحصن من حصون خيبر ، ذكر فى المغازى[٢] وقال : لما قُسمت خيبر كان القَسْم على نَطَاة والشق والكتيبة ، فكانت نطاة والشق فى سهام المسلمين ، وكانت الكتيبة خمسَ الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مَشَوا بين رسول الله و بين أهل فدك بالصلح ، ووقع فى كتاب الأموال لأبى عبيد « كثيبة » بالثاء المثلثة ، والموضع الثانى الذى بالثاء ذكره صاحب معجم البلدان[٣] فقال : الكثيب ـ بلفظ الكثيب من الرمل ـ قريتان فى البحرين ، يقال : الكثيب الأكبر ، والكثيب الأصغر ، والذى عناه الشاعر هو الموضع الواقع فى خيبر .

الرميثة

أما الرميثة فقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، وأوضحنا أن هذا الاسم يطلق على وادى الرميثى الذى يصب من شمال جبل النير و يختلط سيله بسيل وادى غثاة ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الدثينة

الدثينة : يذكرها العرب كثيرا فى أشعارهم ، غير أن منهم من يذكرها بالفاء ، ومنهم من يذكرها بالثاء ، فأما الدفينة المشهورة فهو المنهلُ المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذى يجاوره جبل الخال ، وقد سألت فى هذا العام رجلا من بنى سليم ، فقلت له : هل عندكم ماءة يقال لها الدثينة ؟ قال : نعم هى باقية فى بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى الحد الفاصل فى بلادنا بين الحجاز ونجد ، فصح أن هناك موضعين ؛ فمن ذكره بالفاء فإنما قصد المنهل الواقع على الطريق بين المويه وعفيف ، ومن ذكره بالثاء فإنما يقصد المكان الواقع فى بلاد بنى سليم .

* * *

---

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٧ / ٢٨٧) أن كنيبا ـ بضم الكاف وفتح النون ـ موضع فى ديار فزارة لبنى شمخ منهم ، واستشهد له ببيت النابغة هذا (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٧ .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٩ وعبارته « الكثيب : قرية لبنى محارب بن عمرو بن وديعة من عبد القيس ، بالبحرين »

١٩ — وقال النابغة فى آخر هذه الرائية :

إِنَّ الرُّمَيْثَةَ مَانِعٌ أَرْمَاحُنَا ... مَا كَانَ مِن سَحَمٍ بِهَا وصُفَارِ

السَّحَم والصُّفَار نباتٌ معروف ، وأما الرميثة فهى كما ذكرنا .

قال مصنف هذا الكتاب : لقينى فى بلادنا ذات غسل من الوشم قومٌ من المقطة من جماعة ابن حميد ، ومعهم امرأة يقال لها رُمَيْثَة ، فسألت أهلها : ما السبب لتسميتكم هذه المرأة رميثة ؟ قالوا : ولدت فى وادى الرميثى ، ونحن قاطنون على مائه ، فسميناها باسم ذلك الموضع الذى ولدت فيه ، وقد مضى الكلام على تحديده .

* * *

٢٠ — وقال النابغة :

يَوْمَا حَلِيمَةَ كَانَا مِنْ قَدِيمِهِمِ ... وَعَيْنُ بَاغٍ فَكَانَ الأَمْرُ مَا ائْتَمَرَا

يَاقَوْمِ إِنَّ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرُ تَارِكِكُمْ ... فَلاَ تَكُونُوا الأَدْنَى وَقْعَةٍ جَزَرَا

يوم حليمة

يوم حليمة : يومٌ عظيم من أيام العرب ، وحليمة : هى بنت الحارث الغسانى ، واليوم المذكور بين الغسانيين ملوك الشام ، واللَّحميين ملوكِ الحِيرَة ، قتل فى ذلك اليوم المنذرُ بن المنذر بن امرىء القيس اللَّخْمى .

عين أباغ

عين أباغ : قال أبو الحسين التميمى النسابة : كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ : رجلٍ من العمالقة ، قال أبو نُوَاس [(١)] :

فما نجدت بالماء حتى رأيتها ... مع الشمس فى عينى أباغ تغور

وعين أباغ ليست بعين ماء ، وإنما هى اسم لوادٍ وراء الأنبار ، على طريق الفرات إلى الشام يقال له « عين أباغ »معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢١ — وقال النابغة فى مطلع قصيدة :

بِخَالَةَ أَو مَاءِ الذِّنَابَةِ أَوْ سِوَى ... مَظِنَّةِ كَلْبٍ أَوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ

إلى أن قال :

تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَرِيحَهَا ... كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

---

(١) معجم البلدان ١ / ٦٨ .

أَتَطْمَعُ فِي وَادِي الْقُرَى وَجِنابِهِ وَقَدْ مَنَعُوا مِنْهُ جَمِيعَ الْمَعَاشِرِ

قال مصنف هذا الكتاب : أحب أن أزيل الشك عن قارىء هذه الأبيات ، فأذكر له أن خالة التي ذكرها النابغة والذنابة ليست بخال الدفينة ولاذنابتها المجاورة لها ، بل تلك المواضع واقعة فى مفاوز بلاد كلب ، وهى معروفة بهذه الأسماء إلى اليوم ، ودليل ذلك أنه قرن خالة والذنابة بسوى وقراقر ، وجميع هذه المواضع متصل بعضها ببعض فى بلاد كلب ، قال فى الفتوحات : لما عزم خالد ابن الوليد على التوجه من العراق إلى جهة الشام ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة فى أيام أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ! ـ قيل له : إنها مفاوز لا يجيزها إلا دليل خِرِّيت ، فسأل عن الدليل ، فذكر له رافع الطائى ، فجىء به إليه ، وسأله فقال : أتعرف هذه المفاوز ؟ قال : قطعتها مع أبى وأنا غلام من ثلاثين سنة ، فقال : هل تعرفها ؟ فقال : نعم ، هذه العبارة قصتها طويلة ، فلما مشى بالمسلمين وجعته عيناه ، وهو فى عرض المسافة ، وكان يسأل غلاما له عن العلامات ، وكلما ذكر له علامة قال : اجعلها عن يمينك ، أو اجعلها عن شمالك ، حتى ورد الماء ، فقال الشاعر يمدحه :

خالة والذنابة

لله در رافع قَدِ اهتدى فوز من قراقر إلى سوى

خمسا إذا ماسارها الجبس[1] بكى ما سارها من قبله إنس يرى

وسوى مقصورة ، ومدها عبيد الله بن قيس الرقيات لضرورة الشعر ، فقال :

وَسَوَاء وقريتان وعَيْنُ الـتمر خَرْقٌ يكلُّ فيه البعيرُ

وذنابة ، وخالة ، وسوى ، وقراقر ، كلها فى بلاد كلب ، وقراقر قريب ذى قار .

وادى القرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ عظيمٌ كثير المياه والنخيل ، له ذكر فى المغازى ، وفى كتاب الفتوحات أنه بين تبوك والمدينة ، مر عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك .

وادى القرى

* * *

٢٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبِّ الرِّيَادِ إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَّارِ

مُطَرَّدٍ أُفْرِدَتْ عَنْهُ حَلَائِلُهُ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ أَوْ مِنْ وَحْشِ ذِي قَارِ

وجرة : قد مضى الكلام عليها فى أشعار زهير ، وقد مضى الكلام على « ذى قار » فى

وجرة

(١) « الجبس » ـ بالكسر ـ الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم ، ووقع فى معجم البلدان ٧ / ٤٤ « الجيش » محرفا عما ذكرته ، وقد أوردها على الصواب فى ٥ / ١٥٧

ذكر الوقعة المشهورة بين العرب والعجم .

* * *

٢٣ — وقال النابغة :

كَتَمْتُكَ لَيْلاً بِالْجُمومَيْنِ ساهِرًا ... وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًّا وَظَاهِرًا

أَحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكِى مَا يَرِيبُهَا ... وَوِرْدَ هُمُومٍ لَنْ يَجِدْنَ مَصَادِرًا

الجمومين

الجمومين : أعلم موضعا يُمْسك الماء فى جهة الحجرة ، بين لينة وحدود العراق ، يقال لهذا الموضع « الجمياء » تصغير الجَمَّاء ،وظنى أن هذا الموضع هو الذى عناه الشاعر ، والجُموم : عين جارية عليها زروع وغروس ، وهى فى مر الظهران الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » وأعرف قريب المدينة هضبة يقال لها « الجما » ، والجمّا والجموم باقيان باسميهما إلى هذا العهد . وأم الجماجم : مَنْهل معروف فى جبل مجزّل يُعَدّ من مياه البطين التى يقال لها البطينيات ؛ وهذه المياه هى : أم الجماجم المذكورة ، والدجانى ، والقاعية ، والأرطاوية ، وأم جريف ، وجراب ، جميعُ هذه المناهل يقال لها البطينيات ، فأما منهل الأرطاوية فقد عمر فى هذا الوقت الأخير ، سكنته مطير ورئيسهم الدويش قال فى معجم البلدان [١] : ذو جُمَاجم من مياه العمق على مسيرة يوم منه ، وقال صاحب معجم البلدان فى كلامه على جماء المدينة : [٢] : وفى كتاب أبى الحسن المهلبى : الجماء اسمُ هضبةٍ سوداء قال : وهما جماوان ، يعنى هضبتين عن يمين الطريق للسالك من المدينة إلى مكة ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وكان بأكناف العقيق وبيدهِ ... يحطُّ من الجماء ركناً ململما

وفى كتاب أحمد بن محمد الهمذانى : الجماوات ثلاث بالمدينة ، فمنها « جماء تُضَارع » التى تسيل إلى قصر أم عامر وبئر عروة وما والى ذلك ، وفيها يقول أحيحة بن الُجلاح :

إنىَ والَمشْعَر الحرام وما ... حَجَّتْ قريشٌ له وما نَحَرُوا

لا آخذُ الُخطَّة الدنيَّةَ ما ... دام يُرَى من تضارع حجر

ومنه مكمن الجماء ، وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

عفا مكمن الجماء من أم عامر ... فسَلْع عفا منها فَحَرَّةُ واقم

ثم الجماء الثانية « جماء أم خالد » التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه ، وفى أصلها بيوت لأشعث بن قيس من أهل المدينة ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء

الحبار : من جماء أم خالد ، والجماء الثالثة « جماء العاقر » بينها و بين جماء أم خالد فسحة ، وهى تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها ، و إحدى هذه الجماوات أراد أبو قطيفة بقوله :

الْقصْر فالنَّخْل فالجَمّاء بينهما أشهى إلى القَلْب من أبْوَاب جَيْرُون

إلى البلاط فما حازت قرائنُه دور نَزحْنَ عن الفحشاء والهون

قد يكتم الناسُ أسراراً وأعلمها وليس يدرون طول الدهر مكنونى

* * *

٢٤ — قال النابغة :

فآلَيْتُ لا آتيكَ إنْ كنْتُ مُجْرِماً وَلاَ أبْتَغِي جَاراً سِوَاكَ مُجَاوِرَا

فأَهْلِي فِدَاء لامرىء إنْ أَتَيْتُهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ لمَفَاقِرَا

سَأَكْعَمُ كَلْبِي أنْ يَرِيبَكَ نَبْحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أرْعَى مُسْحُلاَنَ وَحَامِرَا

مسحلان وحامر

مُسْحُلاَن : قد تغير اسمه ، وصار الآن يقال له « السحَّل » وهى أودية معروفة بين قرى جبل وقرى القصيم [١] ، معروفة عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد أكثر الشعراء من ذكر مسحلان وقرنُوه بحامر ، وحامر فى بلاد العرب،وأنا أعرف فى عالية نجد خمسةَ جبالٍ كلُّها يقال لها حامر » والذى قرنوه بمسحلان منها واقع فى شرقى بلاد غَطَفان ، قال النابغة فى غير هذه الرائية [٢]

ليت قَيْسًا كلها قد قطعت مُسْحُلاَناً فحصيداً فتُبَلْ

وحصيد ، وتُبَلُ : فى عالية نجد الشمالية ، وحَصِيد غير حُصَيد الذى يقع بين الكوفة والشام فإن الذى بين الكوفة والشام مصغر بضم الحاء وسكون الياء ، وقد أوقع القعقاع بن عمرو فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب ور بيعة وقعةً منكرةً وقُتِل من الأعاجم فى معركة (روز مهر) و (دوذبة) مُقَدماهم ، وكانت هذه الواقعة فى ذلك الوادى ، فقال القعقاع بن عمرو فى ذلك اليوم [٣] :

ألا أبلغا أسمـاء أن خليلها قضى وَطَرا من روز مهر الأعاجم

غَدَاةَ صبحنا فى حصيد جموعَهُمْ بهِنْدِية تَفْرى فِراخ الجَمَاجِمِ

وهذا الوادى المذكور فى جهة العراق ، وهو ــ كما قلنا ــ فى غير الموضع الذى ذكره النابغة ، و خصيدات ــ بالضم والتصغير ــ جبل فى شعر عدى بين الرقاع [٤] :

(١) صح عندى أنها بين بلد الكهفة وبين ياطب وفيد ، وفيها جبيل يقال له « الحويط » .

(٢) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١وليس فى ديوان النابغة المطبوع .(٣،٤) معجم البلدان ٣ / ٢٨٨

فلما تجاوزن الُحصَيْدات كلها وخَلَّفْن منها كل رَعْن ومَخْرَمِ
تخطَّيْنَ بطن السر حتى جَعَلْنَه يلي الغرب سيل المنتوى المتيمم

وحصيد وتبل اللذان ذكرهما النابغة وقرنهما بمُسْحُلان فى نجد ، قال لبيد بن ربيعة العامرى وقد ذكر تُبلا [1] :

ولقد يعلم صحبي كلُّهم بعَدَانِ السَّيفِ صَبْرِى ونَقَلْ
ولقد أغدو وما يَعْدَمُنِي صَاحِبٌ غيرُ طَوِيلِ المُحْتَبَلْ
كلَّ يوم مَنَعُوا جَاملهم ومرِنَّات كآرامِ تُبَلْ
قَدَّمُوا إذ قال قَيْسٌ قَدِّمُوا واحْفَظُوا المجدَ بأطراف الأسَلْ

ذكر لبيد الآرام وأضافها إلى تُبَل ، وأظن أنه قصد بذلك آرام تبالة فقال تبل لضرورة الشعر

والحطيئة العبسى شاعر مُخَضرم من شعراء غطفان قرن مسحلان إلى حامر فقال :

عَفَا من سليمى مسحلان لحَامِرهْ تَمَشَّى بها ظِلمانه وَجآذِره

ومسحلان وحامر اللذان ذكرهما النابغة فى موضع السحل اليوم الواقع بين قرى القَصيم وقرى الجبل ، وحامر : جبل معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد فى شرقى بلاد غطفان ، والموضعان قريبان بعضهما من بعض ، وقد أكثر القوم من الكلام على مسحلان وحامر ، ومما قالوه أنهما واديان بين العراق والشام ، وقال آخرون : هما واديان فى بلاد كلب ، ولكن من تأمل قول النابغة « وإن كنت أرعى مسحلان وحامرا» تبين له أنه إنما أراد البعد عن النعمان ، والمواضع التى ذكرها الشراح لا تبعد عن النعمان ذلك البعد الذى يومىء إليه قول النابغة ، فدل ذلك على أنه إنما يريد مواضع فى بلاد قومه ، والسحل وحامر باقيان بهذا الاسم إلى هذ العهد .

* * *

٢٥ — وقال النابغة :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِى ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فى كُلِّ أَصْفَارِ
فَقُلْتُ : يا قَوْمِ إنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِعَدْوَةِ الضَّارِى

إلى أن قال :

أَضْطَرَّكَ الحِرْزُ مِنْ لَيْلَى إلَى بَرَدٍ تَخْتَارُهُ مَعْقِلاً عَنْ جُشِّ أَعْيَارِ

إلى أن قال :

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٦٤ . وانظر ديوان لبيد ١٤ ليدن ١٨٩٢

قَدْ كَانَ وَافِدَ أَقْوَامٍ وَجَاءَ بِهِمْ وَانْتَاشَ عَانِيَه مِنْ أَهْلِ ذِي قَارِ

أقر أُقُر : قد مضى الكلام عليه فى قصائد امرىء القيس ، وهو موضع قريب الشربة ، وقد أوردنا هناك الشواهد عليه .

ليلى ليلى : يشير فى هذا البيت إلى « حرة ليلى » وهى واقعة فى بلاد غطفان ، يسلكها حاجُّ البصرة إلى المدينة [1] ، قيل : إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الرماح بن أبرد المرى الذى يعرف بابن ميادة حين استخلف ، فمدحه ، فأمره بالمُقَام عنده فأقام ، ثم اشتاق إلى وطنه ، فقال هذا الشعر ، وهو مما يدل على أنها فى بلاد بنى مرة :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بحَرّة ليلى حيث ربّتنى أهلى
بلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تمائمى وقطعن عنى حين أدركنى عَقْلِى
وهل أسمعَنَّ الدهر أصواتَ هَجْمَةٍ تُطَالع من هجل خصيب إلى هجل
تحنُّ فأبكى كلما ذرَّ شارقٌ وذاك على المُشْتَاق قبل من القبل
فإن كنتَ عن تلك المواطن حابسِى فأفْشِ علىَّ الرزق واجْمَعْ إذًا شملى

فقال الوليد : اشتاق الشيخُ إلى وطنه ، فكتب له إلى مصدق كلب أن يعطيه مائة ناقة دَهْماء جَعْداء ، فأتى المصدق ، فطلب إليه أن يعفيه من وصف الجعودة و يأخذها دُهْما ، فكتب الرماح إلى الوليد :

ألم تعلم بأن الحيَّ كلْباً أرادُوا فى عطيتك ارتدادا

فكتب الوليد إلى المصدق أن يعطيه مائة ناقة دهماء جعداء ، ومائة صهباء ، فأخذ المئتين وذهب بها إلى أهله ، فجعلت تضىء هذه من جانب ، وتظلم هذه من جانب ، حتى أوردها حوض البَرَدَان ، فجعل يرتجل و يقول :

ظلت بحوض البردان تَغْتَسِلْ تشرب منها نَهَلَاتٍ وتُعَلْ

وقال بشر بن أبى خازم :

عَفَتْ من سُلَيمى رامةٌ فكثيبها وشَطَّتْ بها عنك النوى وشعوبها
وَغَيّرَهَا ما غيرّ الناسَ بعدها فباتتْ وحاجاتُ النفوس نَصيبُهَا
معاليةً لاهمَّ إلا مُحَجَّر وحرة ليلى السهل منها فَلُوبُهَا

ولا أعرف موضعا باسم « حرة ليلى » فى هذا العهد .

برد أما بَرَدُ الذى ذكره النابغة فقد أكثر شعراء غطفان من ذكره ، وظنى أنه كان فى موضع

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٠ .

بريدة اليوم ، لأن بريدة بلد حديث ، وقد مضى الكلام عليها وعلى بَعْثها فى أشعار زهير على ذكر القَصيم ، وفيه يقول الفَضْل بن العباس اللِّهْبى [(١)] :

عوجا على ربع سُعْدَى كى نسائله   عُوجَا فما بكما غيٌّ ولا بَعَدُ

إنى إذا حَلَّ أهلى من ديارهم   بَطْنَ العقيق وأمست دارَها بَرَدُ

تجمعنا نِيَّةٌ ، لا الخالّ واصلةٌ   سُعْدَى ، ولا دارُنَا من دارهم صَدَدُ

وقال المغترف المالكى :

سائلوا عن خيلنا ما فَعَلَتْ   ببنى القَيْنِ على جنبى بَرَدْ

وقد ورد هذا الاسم على اختلاف ضبطه : بَرَد ، وبُرْد ، وبَرْد ، وبَرَدَانِ ، وَبَرَدَى ، وبَرُود ، ويومُ البردين من أيام العرب ، وهو يوم الغبيط المشهور ، ظفرت فيه بنو يربوع ببنى شَيْبان ، وفيه يقول مالك بن نُوَيْرة اليَرْبُوعى :

فأقررت عَيْنِى يومَ ظَلوا كأنهم   ببطن الغَبيط خُشْبُ أَثْلٍ مُسَنَّدُ

صَرِيعٌ عليه الطيرُ تنقر عَيْنَه   وآخر مكبولٌ بمالٍ مقيدُ

لَدُنْ غدوةً حتى أتى الليلُ دونهم   ولا تنتهى عن مَلْئها منهمُ يَدُ

وأصبح منهم بعد فل لقاؤنا   بِفَيْفَاءة البردين فَلٌّ مُطَرَّدُ

وقال القَتّال الكلابى :

سمعت،وأصحابى بذى النَّخْل، نازلاً   وقد يَشْعَفُ النفسَ الشعاع حَبِيبُهَا

دُعَاء بذى البردين من أم طارقٍ   فيا عَمْرُو هل تبدو لنا فتُجيبها

قال فى معجم البلدان [(٢)] : البَرَدَان مواضع كثيرة ، فالبَرَدَانُ : اسمُ نهرٍ بالشام ، واستدل ببيت أبى القاسم الزمخشرى :

ألا إن فى قلبى جوًى لايبلُّه   قويقٌ ولا العاصِى ولا البَرَدَانُ

وهذه أنهار بالشام ، وقال : البردان بأعلى نخلة الشامية ، ثم قال عن نصر : البردان جبل مشرف على وادى نخلة قريب مكة ، وقال عن الأصمعى : البردان ماء بنجد لبنى عقيل ، وقال أبو زياد : البردان فى أقصى بلاد عقيل ، وقال أيضا : البردان ماءة لبنى نصر بن معاوية فى الحجاز وقال أيضا : البردان ماء بالسماوة دون الجناب ، والبردان أيضا : ماء للضباب قرب دارة جلجل ، وقال أيضا عن الأصمعى : البردان فى جبال الحمى ، وقال أيضا : البردان من قرى بغداد ، وقال

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١١٦ .   (٢) انظر معجم البلدان ١١٣/٢ وما بعدها

أيضا : البردان موضع أسكَنَ فيه بخت نصر اليهودَ حين سباهم ، وقال أيضا : البردان بالكوفة ، وقال أيضا : البردان نهر بثغر طرطوس ، مجيئه من بلاد الروم ، ويصب فى البحر، والبردان أيضا: نهر يسقى بساتين مرعش ، والبردان أيضا : سَيْح البردان موضع فى اليمامة فيه نخل عن ابن أبى حفصة والبردان : غديران بنجد بينهما حاجز ، فهذه رواية المعجم ، وأسقطنا منها أكثر الشواهد .

والذى أعرفه بهذا الاسم موضع يقال له « البردان » بين ثرمدا ورغبة ، فى شرقى الكثيب الواقع بينهما ، فيه قصر ومزارع ، وأعرف موضعا يقال له « البرود » من قرى السر ، فيه مزارع وقصور ، وماءة يقال لها « الباردة » فى عالية نجد الجنوبية ، وبلد « بريدة » التى مر ذكرها ، وجبل « برد » فى غربى الطائف ، ومنها « البرود » بئر كثيرة الماء ، تقع فى وادى المغمس ، يمر بها السالك من مكة إلى نجد ، والذى عناه الشاعر موضع بريدة اليوم .

جش أعيار

جش أعيار : قال صاحب معجم البلدان[1] : هو من المياه الأملاح فى بلاد فزارة ، مجاور عدنة ، وعدنة قد صار اسمها اليوم « بدنة » وأعرف جبيلات صغار يقال لها « أعيار » والجبيلات فيها ماءة ملحة ، وربما كانت هى « جش أعيار » .

فأما ذو قار ، فقد تقدم الكلام عليه فى مواضع كثيرة .

* * *

٢٦ — وقال النابغة :

فَلَمْ يَكُ نَوْلُكُمْ أَنْ يَقذعُونِى ... وَدُونِى عَازِبٌ وَبِلَادُ حجْرِ

عازب

عازب : جبل فى اليمامة ، وعازب وعارمة متجاوران ، فأما عارمة فهى طرف العرمة الجنوبى ، وعزب واقع غربيها فى جبل اليمامة ، وهو الذى يصب منه وادى نساح ووادى الأوسط ووادى لحا وجميعها قد مضى الكلام عليها عند ذكر اليمامة .

حجر

وحجر : هو حجر اليمامة الموجود اليوم فى الرياض ، ولا يزال بهذا الاسم .

وعازب قد انقطع اسمه .

* * *

٢٧ — وقال النابغة :

لَقَدْ قُلْتُ لِلنُّعْمَانِ حِينَ لَقِيتُهُ ... يُرِيدُ بَنِى حُنٍّ بِبُرْقَةِ صَادِرِ

تَجَنَّبْ بَنِى حُنٍّ فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ ... كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تَلْقَ إِلَّا بِصَابِرِ

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٠٦ .

هُمْ مَنَعُوا وَادِي الْقرى عَنْ عَدُوِّهِمْ ... بِجَمْعٍ مُبِيدٍ لِلْعَدُوِّ الْمُكَاثِرِ
مِنَ الْكَارِعَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْتَقِي ... بِأَعْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ
بُزَاخِيَّةٌ أَلْوَتْ بِلِيفٍ كَأَنَّهُ ... عَفَاءُ قِلَاصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرِ
هُمُ طَرَدُوا عَنْهَا بَلِيًّا فَأَصْبَحَتْ ... بَلِيٌّ بِوَادٍ مِنْ تِهَامَةَ غَائِرِ
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحِجْرِ عَنْوَةً ... أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنْكَحُوا أُمَّ جَابِرِ

برقة صادر

برقة صادر : أكثر أهل المعاجم من ذكرها وذكر صادر ؛ فمنهم من قال : إنها فى الشام ، ومنهم من قال : إنها فى اليمن ، والذى أعرفه بهذا الاسم لم يتغير جبلٌ على طريق المدينة يمر به السالكُ من الحناكية إلى المدينة ، ولا يزال يقال له « صادر » ، وعنده ماءة يقال لها « الصويدرة » يردها السالك لذلك الطريق ، وهى التى عناها النابغة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أما « وادى القرى » قد مضى الكلام عليه .

بزاخة

بزاخة : اختلف أهل المعاجم فى تحديدها ؛ فمنهم من قال : إنها فى بلاد طى ، ومنهم من قال : إنها فى بلاد بنى أسد ، والصحيح أنها فى بلاد بنى أسد ، ولا تبعد عن سميراء ، وقد نسى اسمها اليوم ، ولكن هناك واديا بين جبال سميراء وجبل رمان يقال له « بزاخ » ولا شك أن بزاخة فيه أو قريبة منه ، وإليك رواية صاحب معجم البلدان عنها [(١)] بتمامها ، قال الأصمعى : بزاخة ماء لطى بأرض نجد ، وقال أبو عمرو الشيبانى : ماء لبنى أسد كانت به وقعة عظيمة فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدى ، وكان قد تنبأ بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، واجتمع إليه أسد وغطفان ، فقوى أمره ، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فقدم خالد أمامه عُكَّاشة ابن مِحْصَن الأسدى حليفَ الأنصار ، فلقيه ببُزَاخة ماءٍ لبنى أسد ، فقتل عكاشة ، وكان عيينة ابن حصن مع طليحة فى سبعمائة من بنى فزارة ، وجاء خالد على الأثر ، فلما رأى عيينة أن سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين قال لطليحة : أما ترى ما يصنع جيش أبى الفضل ؟ يعنى خالد ابن الوليد ، فهل جاءك ذو النون بشىء ؟ قال : نعم قد جاءنى وقال لى : إن لك يوما ستلقاه ، ليس لك أوله ، ولكن لك آخره ، ورَحًى كرَحاه ، وحديثاً لا تَنْساه ، فقال : أرى والله أن لك حديثاً لا تنساه ، يا بنى فزارة هذا كذاب ، وولَّى عن عسكره ، فانهزم الناسُ ، وظهر المسلمون ، وأسر عيينة بن حصن ، وقدم به المدينة ، فحَقَن أبو بكر دمه ، وخلَّى سبيله ، وهرب طُلَيحة فدخل جُبًّا له فاغتسل وخرج ، وركب فرسه وأهَلَّ بعمرة ومضى إلى مكة وأتى مسلما ، وقيل : بل أتى

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١٦٠

الشام فأخذه غُزَاة المسلمين و بعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده فى فتوح العراق ، وقيل : بل هو قدم على عُمَر بعد وفاة أبى بكر مسلما ، فقبله ، وقال له عمر : أقتلت الرجلَ الصالح عكاشَةَ بنِ مِحْصَن؟ فقال : إن عكاشة سَعِدَ بى وشقيتُ به أنا ، وأنا أستغفر الله ، فقال له عمر : أنت الكاذب على الله حين زعمتَ أنه أنزل عليك إن الله لا يصنع بتعفير وُجُوهكم وقُبْح أدباركم شيئا فاذكروا الله قياما فإن الرغوة فوق الصريح ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذى هَدَمه الإسلام كله ، فلا تعنيفَ علىَّ ببعضه ، فأسكت عمر ، وقال القعقاع بن عمرو يذكر يوم بُزَاخة :

وأفلتهُنَّ المِسْحَلاَنُ وقد رأى   بعينيهِ نَقْعاً ساطعا قد تَكَوَّرَا

ويوما على ماء البُزَاخة خالدٌ   أثار بها فى هَبْوة الموت عِثْيَرَا

ومَثَّلَ فى حافاتها كلَّ مُثْلَةَ   كفعل كلابٍ هارشَتْ ثم تمرَّرَا

وقال ربيعة بن مقروم الضبى :

وقَوْمى فإن أنتَ كذبتنى   بقَوْلىَ فاسألْ بقومى عَلِيمَا

بنو الحرب يوماً إذا استلأموا   حسبتَهُمُ فى الحديدِ القُرومَا

فِدًى ببزاخـــة أهلى لهم   إذا مَلَئوا بالجموع الحريما

وقال جحدر بن معاوية المُحْرِزى اللص :

يادار بين بُزَاخة فكثيبها   فلوى غبير ، سهلها أو لوبها

سقتِ الصَّبا أطلال رَبْعك مُغْدقا   ينهلُّ عارضُها بلبس جيوبها

أيام أرعى العين فى زهر الصبا   وثمار جنات النساء وطيبها

هذا آخر عبارة معجم البلدان على ذكر بزاخة ، وأنت ترى جَحْدرا اللص قرن بُزَاخة بلوى غبير ، ودارة غبير لبنى الأضبط من بنى كلاب ، فى عالية نجد الشمالية ، ولا شك أن بُزَاخة فى بلاد بنى أسد ، ولوى الغبير الذى قُرنت به قريب منه ، قال شبيب بن البرصاء :

ألم تر أن الحىَّ فرّق بينهم   نَوًى بين صحراء الغبير لجوجُ

ولا أعلم موضعا يقال له « غبير » إلا بئراً فى بلد الفرعة المجاورة لأشيقر من أعمال الوشم ، يقال لها « غبيراء » جاهلية عظيمة الماء ، إذا سقط فيها الرجل لم يُرْجَ خروجه ، بل تكون هى مقبرته من بُعْد قعرها ووسع أسفلها ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وقد ذكر بُزَاخة أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم وأنشد عليه قول البعيث المجاشعى ، يمدح الوليد بن عبد الملك :

وخالُكُ رَدَّ القوم يوم بُزَاخة　　وكر حفاظا والأسنة تردم

والبعيث أراد بخاله قيسَ بن زهير العبسى ، ولا أعلم فى بُزَاخة يوما من أيام العرب إلا يوم خالد بن الوليد على طُلَيحة وكان معه عيينة بن حصن الفزارى وأخوه خارجة بن حصن ، والصحيح أن بُزَاحة فى بلاد بنى أسد ، وظنى أن النابغة لم يَعْن بزاخَةَ الواقعَةَ فى بلاد بنى أسد ؛ لأنه لما ذكر وادى القرى ذكر نخلةً ووصفها بقوله « بزاخيــة ألوت بليف كأنه ــ إلخ » و بزاخة الممدوحة بجَوْدة النَّخْل واقعــة فى نواحى هجر ، كانت مشهورة بهذا الاسم فى الزمن القديم ، ولا أعلم اليوم لها ذكرا ، ومنهم من قال : إن بُزَاحة موضع بلد المبرز اليوم التابع للأحساء .

تهامة　　تهامة : معلومة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى : ما كان بين جبال الحجاز والبحر ، يطلق هذا الاسم على تلك القطعة الواقعة بين عدن والعقبة مما يلى ساحلَ البحر ، والشواهد كثيرة ، وليس فى ذكرها فائدة ؛ لأن شهرة اسمها تغنى عن ذكر الشاهد عليها .

الحجر　　الحجر : هو الموضع المعروف الذى ذكره القرآن الكريم فى شأن قوم صالح عليه السلام ، و به بئر الناقة ، وهو يُعَد من وادى القرى ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عناه جَميل فى قوله :

أقول لداعى الحب والحِجْرُ بيننا　　ووادِى القرى : لَبَّيْكَ لَمَّا دعانيا

فما أحدث النأىُ المُفَرق بيننا　　سُلوا ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا

وموضعه قريب العلا ، بينه و بين تبوك .

* * *

٢٨ — وقال النابغة :

وَدِّعْ أُمَامَةَ وَالتَّوْدِيعُ تَعْذِيرُ　　وَمَا وَدَاعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ الْعِيرُ

وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا نَظْرَةً عَرَضَتْ　　يَوْمَ النُّمَارَةِ وَالْمَأْمُورُ مَأْمُورُ

إِنَّ الْقُفُولَ إِلَى حَيٍّ وَقَدْ بَعُدُوا　　أَمْسَوْا وَدُونَهُمُ ثَهْلَانُ وَالنِّيرُ

النمارة　　النمارة ، هضبة سوداء منقطعة من حَرَّة بنى سُلَيم ، معروفة إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهى واقعة فى بلاد بنى سليم ، و بها يوم من أيام العرب ، وقد سألت غيرَ واحدٍ من بنى سُلَيم ، فذكروا أنها باقية بهذا الاسم .

ثهلان والنير　　وثهلان ، والنير : جبلان فى عالية نجد ، باقيان على اسميهما لم يتغيرا ، وقد مضى الكلام عليهما وأوضحنا مايتعلق بهما .

٢٩ — وقال النابغة :

ظَلِلْنَا بِبَرْقَاءِ اللُّهَيْمِ تَلُفُّنَا قَبُولٌ نَكَادُ مِنْ ظِلالَتِهَا نُمْسِي
إِذَا مَا تَدَاعَتْ مِنْ كِنَانَةَ عُصْبَةٌ عَلَيْهَا سَرَاوِيلُ الْحَدِيدِ أُولُو بَأْسِ
هُمُ قَتَلُوا مَنْ قَتَّلُوا مِنْ سَرَاتِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاكَ بِالْمَحْبِسِ الشَّأْسِ

اللهيم

اللُّهَيم : رأيت فى معجم البلدان وأخبار المغازى أنها بطنٌ من الأرض فى أرض الجزيرة ، فى غربى تكريت ، وهو ماء للنمر بن قاسط ، يلتهم الماء ويفرغ فى السِّهاب ، فسمى اللُّهَيم لالتهامه الماء ، والذى أعرفه فى بلاد العرب موضعان أحدهما يقارب اسمه هذا الاسم ، الأول جبلٌ يقال له « ليم » وعنده أبارق يقال لها « برقاء ليم » وهو قريب مسكة المعروفة فى الحمى شمالىَّ ضرية ، فى جهة الشمال الشرقى لمسكة على مسافة نصف يوم ، والموضع الثانى جبيلات صغار يقال لها « اللهيب » بين سواج وجبل نجخ وأبان ، وعندها أبارق يقال لها « برقاء اللهيب » وعندها ماءة يقال لها « بقيعاء اللهيب » وهى قريب أَمَّرة ، واللهيب هو الذى يقول فيه الأفوهُ الأودى :

وجرَّد جمعَها بيض خفاف على جنبى تضارع فاللهيب

* * *

٣٠ — وقال النابغة .

عَفَا ذُو حُسًى مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوارِعُ فَشَطَّا أَرِيكٍ فَالتِّلاعُ الدَّوَافِعُ
فَمُجْتَمَعُ الْأَشْرَاجِ غَيَّرَ رُسُومَهَا مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ
تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا مَا عَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

ذو حسى

ذو حسى : قد مضى الكلام عليه فى مواضع كثيرة ، وهو فى بلاد غطفان .

الفوارع

والفوارع : قد تغير اسمها ؛ ففى بلاد غطفان هضبة يقال لها « الفارعة » ويمكن أن تكون من الفوارع ، قال فى معجم البلدان [٢] : تلال رمال مشرفة ، وقال فى غير المعجم : كل ما ارتفع من تل أو جبل يقال له فارع .

شطا أريك

شطا أريك : أما أريك فهو جبل فى بلاد غطفان قريب النقرة ، معروف ، له ذكر فى كتب المعاجم بهذا التحديد ، وأنا لا أعرفه اليوم ، إلا أنى أعرف جبلا فى تلك الناحية يقال له « ريك » به ماءة ، ويمكن أن يكون هو الذى ذكره النابغة ، قال رجل من بنى مرة يصف ناقة :

إذا أقبلت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعا جفولا

---

(١) معجم البلدان ٧ / ٣٤٥ (٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٤٠٣ .

فمرت بذى خُشُب غدوةً وجازت فويق أريك أصيلا

تخبط بالليل حزّانهُ كخبط القوى العزيز الذليلا

ويدل على أن أريكا جبلٌ قولُ جابر بن حنى التغلبى :

تصعد فى بَطْحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم

وقال عمرو بن خويلد أخو بنى عمرو بن كلاب :

فكنّا بنى أم جميعاً بيوتُنَا ولم يك منا الواحدُ المتفرِّدُ

نفيل إذا قيل اظْعَنُوا قد أُتيتُم أقاموا وقالوا : الصَّبْرُ أبقى وأحمد

كأن أريكا والفوارع بيننا لِثَامِنة من أول الشهر مَوْعِدُ

هذه الشواهد المذكورة تدل على أن أريكا هو الجبل الواقع قريب النقرة والذى يقال له فى هذا العهد « ريك » سقطت منه الهمزة ، وهناك موضع آخر فى بلاد عنزة ، وهى أكثبة مرتكمة يقال لها « وريك » بالواو ، وقد قُتل فى هذا الموضع ناس من عنزة ، وفى القتلى عقاب العواجى وأخوه حجاب ، قتلهم ناس من عبدة بطنٍ من شمر ، فى معركة قريب وريك المذكور ، وأكثر شعراء النبط من ذكر تلك الوقعة ، قال التبيناوى وهو من شعراء شَمّر فى قصيدة له :

* غطا ز بار وريك مثل الهماليل *

وقال ولد العواجى المقتول فى قصيدة له يطلب فيها الأخذ بثأر أبيه :

لوى على من قاد عليا ثنيه بدور أبو يه عند روس الحواوير

عليا : اسم فرس له ، وهى قصيدة طويلة ، فأجابه التبيناوى على هذه القصيدة بقصيدة نبطية فمنها قوله :

أبوك ضرب بحربة شوشلية كزه حبيبى كزة الدّلو فى البير

ومن هنا يتضح أن أريكا الذى ذكره النابغة هو « ريك » الواقع فى بلاد غطفان والذى يسمى اليوم بهذا الاسم ، وشطاه : جانباه .

الأشراج

فأما « الأشراج » فهى مجارى الماء التى تهبط من الجبال ، وتصبُّ فى الحِرار ، وتشق بطون الأرض ، وشرج الذى يعنيه هنا قد مضى الكلام عليه فى أشعار النابغة أيضا .

* * *

٣١ — وقال النابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ وَالِجٌ مَكَانَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

راكس

راكس : قد مضى الكلام عليه غير مستقصى ، قال العباس بن مرداس السُّلمى :

لأسماء رَسْمٌ أصبح اليوم دارسا وأوْحش إلا رَحْرَحَانَ فراكسا

وقال داود بن عوف أخو بنى عامر بن ربيعة :

وأنا ذممْنَا الأعلم بن خُوَيلد وحلم عقال إذ فقَدْنا أبا حرب
إذا ما حَلَلْتُم بالوحيد وراكسٍ فذاك نصْرٌ طائش عن بنى وهب

أما راكس فقد أعيانى الوقوف على حقيقته ، و بعد طويل البحث والتدقيق وقفت على حقيقته كفلق الصبح ، كنت فى بلد الشعرى عند تصنيف كتابى هذا ، وعندى رجل علامة خبير ببلاد بنى عبد الله بن غَطَفان ، فعزم على السفر إلى تلك الناحية ، فقلت له : ابحث لى عن راكس واعلم أنه يذكر فى بعض الأشعار مقترنا برَحْرَحان ، فقال : أنا أعرف رحرحان ، فقلت : وتجده يقْرَن فى بعض الأشعار بالوحيد ، قال : أنا أعرف الوحيد ، وهو جُبَيْل صغير ليس عنده جبال ، فسمى الوحيد لذلك ، فلما عزم على المسير إلى غرضه قال : سآتيك بالخبر اليقين ، فغاب شهراً ثم عاد إلينا فى بلد الشعرى ، فقال لى : وجدت راكسا وهو واقع شرق ماءة « بلغة » الماء المعروف بين النقرة ومعب ، قال فى وصفه : إنه سناف أسود ، وعنده أبرق يسمى « أبرق راكس » فتغلب هذا الأبرق على هذا الاسم فلا يعرف اليوم إلا بلفظ « أبرق راكس » وهو قريب الجبل الشاهق الرفيع ، وهو صغير المنظر يقال له «عاج[1]» وراكس وعاج متجاوران ، أحدهما قريب من الآخر .

الضواجع

الضواجع : قال فى معجم البلدان [2] : هى هضاب ، ثم قال : هى موضع فى قول النابغة الذبيانى * ودونى راكس فالضواجع *

وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، وسألت الخبيرين ببلاد غطفان عن الضواجع فلم أجد لها عندهم ذكرا .

* * *

٣٢ — وقال النابغة فى قَسَمه ، وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحِبَاتٍ من لَصَافٍ وَثَبِرة يَزُرْنَ إِلَالاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

(١) انظر لمعرفة عاج معجم البلدان ٨/٣٦ (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٤٢

سمام تُبَارِى الرِّيحَ خُوصاً عُيُونُهَا   لَهُنَّ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ
عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عَامِدُونَ لَحِجِّهِمْ   فَهُنَّ كَأَطْرَافِ الحَنِىِّ خَوَاضِعُ
حَمَلْتَ عَلَىَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ   كَذِى العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

لصاف

لصاف : منهل معروف فى الصمان شرقى الدو ، وهو فى طرف الشواجن من جهتها الجنوبية ، وهو من النحائت القديمة من أعلاه إلى أسفله ، منحوت فى حجر ، وطوله خمسة وثلاثون باعا تقريباً ، على طريق السالك من نجد إلى الكويت ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « اللصافة » واستشهد صاحب المعجم عليه ببيت النابغة المذكور ، ولكنه أكثر من الروايات عنه ؛ و بعضها صواب و بعضها خطأ ؛ فمما أخطأ فيه من رواياته قوله : لصاف ماء بقرب شرج وناظرة ، أما شرج وناظرة فهما قريب النباج الذى يقال له اليوم « الأسياح » يمر به حاجُّ العراق فيمكن أن ياقوتا قصد منهلا على هذا الطريق يقال له « اللصف » لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما الذى أصاب فيه فقوله : قال أبو زيد : لصاف ماء بالدو لبنى تميم ، هذا صحيح لصاف بالدو ، وهى من مياه بنى تميم فى الزمن القديم ، ولم يتغير هذا الاسم إلى اليوم ، إلا أن المتأخرين زادوا هاء فقالوا « لصافة » .

والدليل على أن لصاف منهل لبنى تميم فى الجاهلية قولُ المهوس الأسدى [1] وهو يهجو بنى تميم :

قد كُنْتُ أحْسِبكم أسودَ خَفِية   فإذا لصاف تَبِيضُ فيه الحُمَّرُ
فترفعوا مدح الرئال فإنما   تجنى الهُجَيْمُ عليكم والعَنْبَرُ
عضت تميم جلد أيْرِ أبيكمُ   يوم الوقيط وعاونتها حَضْجَرُ

الوقيط

والوقيط : يوم من أيام العرب ، ووقيط : منهل معروف إلى اليوم قريبَ أبان يقال له فى هذا العهد « وقط » حذفوا منه الياء .

ثبرة

ثبرة : اسم ماء من مياه الشواجن ، وهو لبنى تميم ، لبنى مناف بن دارم ولبنى مالك بن حنظلة يقال له فى هذا العهد فى ألْسُن عامة أهل نجد « و برة » أبْدِلت ثاؤُه واوا ، وهو متاخم للصافة فى الجهة الشرقية منها ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم تقريباً ، وهو فى المنتصف بين اللصافة وقرية ، و به يوم من أيام العرب ، وهو اليوم الذى فر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب وأسلمه ابنُه حَزْرة بن عتيبة ، فقتله جعل بن مسعود بن بكر بن وائل ، وقتل وديعة بن عتيبة ، وأسر ربيع ابن عتيبة ، فنجا عتيبة بن الحارث ، وقُتل ابناه حَزْرة ووديعة ، وأسر ابنه ربيع ، فقال فى ذلك اليوم فى ابنه حزرة :

---

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٢٩ .   (٢) معجم البلدان ٣ / ٦ .

نَجَّيْتُ نفسى وتركت حَزْرَهْ نعم الفتى غَادَرْتُهُ بثبرهْ

والمنهلان معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، أما لصاف فيقال له فى هذا العهد «لصافة» وأما ثبرة فيقال لها فى هذا العهد « وبرة » .

إلال

إلال :هو جبل عَرَفَة الذى يُحيط به الحجاج يَمْنَةً ويَسْرة يوم الوقوف بعرفة ، وهو معروف اليوم عند عامة الناس بجبل الصخرات ، واسمه فى الجاهلية إلال ، وهذا النابغة قد ذكره فى شعره فى قصيدته العينية ، وقال النابغة أيضاً فى لاميته التى مدح فيها النعمان بن المنذر :

فأَرْسِلْ فِى بنى ذُبْيَان فَاسأَل وَلا تَعْجَلْ إلىّ عن السُّؤال

فلا عمر الذى أثنى عليه وقد رفع الحجيج إلى إلال

لما أغْفَلْتُ شُكْرَكَ فاصطنعنى وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى؟

وقال أبو طالب يذكر إلالا ، فى قصيدته اللامية المشهورة التى يُدَافع فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومَنْ حَجَّ بيتَ الله من كل راكبٍ ومن كل ذى نَذْرٍ ومن كل رَاجلِ

وبالمَشْعَر الأقْصَى إذا عَمَدُوا لَهُ إلال إلى مُفْضَى الشِّراج القَوَابل

وتَوْقَافهم فوق الجبـــال عشيةً يُقيمون بالأيدى صدورَ الرواحل

وقال الرضى الموسوى :

فأُقْسِمُ بالوقوف على إلالٍ ومَنْ شهد الجمارَ ومن رَمَاهَا

وَأَركان العقيق ومَنْ بنَاهَا وزمزم والمَقَام ومن سَقَاها

لأَنْت النفسُ خالصةً وإن لم تـكونيها فأنت إذاً مُنَاها

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الجبل باسمه الجاهلى « إلال » وهذا الاسم قد نسى الآن ، وقد صار له اسم آخر ، وهو « جبل الصخرات » وإذا قيل « مشعر عرفة » فهم يعنونه ، وهو يعد من المشاعر فى الجاهلية وفى الإسلام .

* * *

٣٣ — وقال النابغة :

فَمَا أَنَا فِى سَهْمٍ وَلَا نَصْرِ مَالِكٍ وَمَوْلَاهُمُ عَبْدِ بْنِ سَعْدٍ بِطَامِعِ

إِذَا نَزَلُوا ذا ضَرغد فَمَتَائِدًا يُغَنِّيهِمُ فِيهَا نَقِيقُ الضَّفَادِعِ

قُعُودًا لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يُثْمِدُونَهَا رَمَى اللهُ فِى تِلْكَ الأُنُوفِ الْكَوَانِعِ

ضرغد ضرغد : قد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وله لَآبَةٌ عظيمة قد مضى الكلام عليها ، واسمه فى هذا العهد « ضرغط » . أبدلت داله طاء .

عتائد عتائد : قال فى معجم البلدان [١] : عتائد ماء بالحجاز لبنى عوف بن نَصْر بن معاوية خاصة ، ليس لبنى دهمان فيها شىء ، عن الأصمعى ، أما هذا الموضع فهو معروف قريب الطائف ، وقد تغير اسمه بعض التغير فصار يقال له « عِتود » ، وهو فى بلاد بنى عوف بن نصر بن معاوية ، وقال أيضا فى المعجم [٢] : قال العمرانى فى هضبات أسفل من أُبْر لبنى مرة ، وهذا الموضع هو الذى عناه النابغة ؛ لأنه قريبُ بلادِ بنى مرة ولأنه قرنه بضَرْغد ، وأنا أعرف واديا يقع بين ضرغد والحائط الذى كان يقال له فى الجاهلية « فدك » يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد يقال له « عتاد » فى موضع متسع ، وهو بين حَرَّتين .

* * *

٣٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع القصيدة التى مدح بها النعمان بن المنذر وقد أوردنا ذكر إلآلٍ منها :

أَمِنْ ظَلاَّمَةَ الدِّمَنُ الْبَوَالِي بِمُرْفَضِّ الْحُبَىِّ إِلَى وُعَالِ
فَأَمْوَاهِ الدَّنَا فَعُوَيْرِضَاتٍ دَوَارِسَ بَعْدَ أَحْيَاءٍ حِلاَلِ
تَأَبَّدَ لاَ تَرَى إِلاَّ صُوَارًا بِمَرْقُومٍ عَلَيْهِ الْعَهْدُ خَالِي
تَعَاوَرَهَا السَّوَارِى وَالْغَوَادِى وَمَا تُذْرِى الرِّيَاحُ مِنَ الرِّمَالِ

الحبى الحبى : موضع فى تهامة ، كان لبنى أسد وكنانة ، وهو الذى قال فيه مُضَرِّسُ بنُ رِبْعِى [٣] :

لعمرك إنَّنِي بِلِوَى حُبَىٍّ لأرجى عائنا حذرا أزوحا[٤]
أرى طيراً تمرُّ ببين سَلْمَى وقبل النفس إلا أن تريحا

وحُبَّي ـ بالضم وتشديد الباء مقصوراً ـ موضع فى قول الراعى ، ومنهم من قال : إنه اسم امرأة ، ولكنه الموضع أقرب :

أَبَتْ آيَاتُ حُبَّى أَنْ تُبِينَا لَنَا خَبَرًا فأبكين الحزينا

(١ و ٢) معجم البلدان ٦/١١٦ (٣) معجم البلدان ٣ / ٢١٥

(٤) وقع فى معجم البلدان « أروحا » بالراء المهملة ـ وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه بالزاى ، والأزوح : المتخلف المتباطىء المستأخر عن المكارم ، قال الراجز :

جرى ابن ليلى جرية السبوح جرية لا كاب ولا أزوح

ولا أعرف الآن موضعا بهذا الاسم ، إلا منهلا قريب نجران يقال له « حبيّة » .

وعال

أما « وُعَال » فقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهناك جبل فى عالية نجد الجنوبية يقال له « وعلة » ومنهم من يقول له « وعال » وهو جبل طرفه الشمالى منعقد فى جبل كرش وواقع قريب الصحنة مما يلى مطلع سهيل ، وطرف وعال الجنوبى يتصل بحدود ماءة « الكبدى » وهو منهل معروف فى عالية نجد الجنوبية قد ذكرناه فى ذكر الأملاح .

الدنا

الدَّنَا : قال فى معجم [1] البلدان : إنه موضع بالبادية ، وقيل : فى ديار بنى تميم بين البصرة واليمامة ، واستدل ببيت النابغة الذى أثرناه ، ثم انتقل إلى موضع ثان ، وقال : إنه قريب الكوفة واستدل بشطر بيت للمتنبي :

* وغَادَى الأضارعَ ثم الدَّنا [2] *

عويرضات

عويرضات : موضع ، قال عامر بن الطُّفَيل :

وقد صبحن يوم عويرضات قبيل الصبح باليمن الحصيبا

وأنا لا أعرف موضعاً بهذا الاسم ، إلا موضعاً واحداً يقارب اسمه ذلك الاسم ، وأظنه الذى عنه النابغة ، سِناف بين الشقرة والسواد ، منقطع من جبل النير فى شرقيه ، يقال له « متعرضات » طرفُها الشمالى يتصل بوادى بحار ، وطرفها الجنوبى يتصل بوادى المصلوب الذى كان يقال له فى زمن القديم « المسلوق » وغربيها جبل النير ، وشرقيها جبل الخوار ، وسيول تلك الناحية تصب فى وادى طينان الذى يقطعه طريق السيارات بين القاعية وجبل ذريع ، وتصب تلك السيول فى وادى خنوقة ، وخنوقة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال القُحَيف العقيلي:

تحملن من بطن الخنوقة بعد ما جرى للثريا بالأعاصير بارح

وقد ذكرنا تفصيل تلك الأودية التى يصب سيلُها فى وادى الرشاء .

* * *

٣٥ — وقال النابغة من قصيدته التى رثى بها النعمان بن الحارث الغسانى التى مطلعها :

دَعَاكَ الْهَوَى وَاسْتَجْهَلَتْكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

إلى أن قال فى ذكر راحلته :

وَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ تَخُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ

---

(١) معجم البلدان ٤ / ٨٩ (٢) صدره * ومسى الجميعى دأداؤها * وهو من قصيدة له يهجو فيها كافورا الأسود .

مُوَثَّقَةِ الأَنْسَاءِ مَضْبُورَةِ القَرَى نَعُوبٌ إِذَا كَلَّ العِتَاقُ المَرَاسِلَ
كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ يَوْمَ شَدَدْتُه عَلَى قَارِحٍ مِمَّا تَضَمَّنَ عَاقِلُ

عاقل — عاقل : قد مضى الكلام عليه ، يقال له اليوم « العاقلى » يصب فى وادى الرمة ، فى جهته الجنوبية مما يلى الرس .

* * *

٣٦ — وقال النابغة فى هذه المرثية :

فَآبَ مُصَلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ
سَقَى الغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ
وَلَا زَالَ يَسْقِي بَطْنَ شَرْجٍ وَجَاسِمٍ بِغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ

الجولان — الجَوْلان ، و بُصْرى : قد مضى الكلام عليهما .

جاسم — جاسم : قرية بينها و بين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق إلى طبرية ، سميت باسم جاسم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فَقَفَا جاسمٍ فأودية الصفـــر مَغْنَى قنابل وهجان

وقد نسب إليها عدى بن الرقاع العاملى الطائى الشاعر ، وقد قال :

لولا الحياة وأن رأسى قد عَسَى فيه المشيبُ لزرْتُ أمَّ القاسمِ
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحْوَرُ من جآذرِ جاسمِ
وَسْنَان أقْصَدَه النعاسُ فرنَّقَتْ فى عَيْنه سِنَة وليس بنائم

شرج — أما شرج فقد مضى الكلام عليه فى مواضع كثيرة . وأما شرج الذى ذكره النابغة وقرنه بجاسم فهو واد من أودية جاسم ، وكل واد يطلق عليه لفظ « شرج » .

* * *

٣٧ — وقال النابغة :

وَيَنْبُتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوِّرًا سَأُتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ
بَكَى حَارِثُ الجَوْلَانِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِلُ
سُجُودًا له غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ وَتُرْكٌ وَرَهْطُ الأَعْجَمِينَ وَكَابِلُ

حارث الجولان ، وجولان ، وحوران : قد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا .

* * *

٣٨ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدته التى ذكر فيها غزوة عمرو بن الحارث الأصغر على لبنى مرة :

أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاء رَسْمِ الْمَنَازِلِ ... بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ
أَرَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ حَتَّى كَأَنَّمَا ... تَهَادَيْنَ أَعْلَى تُرْبِهَا بِالْمَنَاخِلِ
وَكُلُّ مُلِثٍّ مُكْفَهِرٍّ سَحَابُهُ ... كَمِيشِ التَّوَالِي مُرْثَعِنِّ الْأَسَافِلِ

روضة نعمى : قد مضى الكلام عليها ، ولا تكون إلا قريب وادى النعيم الذى ذكرناه فى عالية نجد. — روضة نعمى

ذات الأجاول : لم أجد لها ذكرا فى بلاد العرب الآن ، ويمكن أنه قد تغير اسمها . — ذات الأجاول

* * *

٣٩ — وقال النابغة :

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا ... وَصَاتِي ، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسَائِلِي
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا أَعْرِفَنَّ عَقَائِلاً ... رَعَابِيبَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيكَ وَعَاقِلِ

أريك ، وعاقل : قد مضى الكلام عليهما . — أريك وعاقل

* * *

٤٠ — وقال النابغة :

خِلَالَ الْمَطَايَا يَتَّصِلْنَ وَقَدْ أَتَتْ ... قَنَانُ أُبَيْرٍ دُونَهَا وَالْكَوَاتِلِ
وَخَلَّوْا لَهُ بَيْنَ الْجُبَابِ وَعَالِجٍ ... فِرَارَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ
وَلَا أَعْرِفَنِّي بَعْدَ مَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ ... أُجَادِلُ يَوْمًا بين شرى وَحَائِلِ

قنان أبير — القنان غير المضاف إلى أُبير قد مضى الكلام عليه ، وأما القنان المضاف إلى أُبير فلا أعلم موضعا فى بلاد العرب بهذا الاسم فى هذا العهد ، إلا موضعا واحداً يقرب اسمه من هذا الاسم ، وهو من المدينة فى جهة مطلع الشمس يقال له « البوير » ولا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

السكواتل — الكواتل : قال فى معجم البلدان[1] : الكواتل : جمع كوثل ، وهو مؤخر السفينة ، واسم موضع فى أطراف الشام مر به خالد بن الوليد لما قصد الشام من العراق . واستدل ابنُ السكيت ببيت النابغة المذكور . ثم قال : الكواتل ــ بالتاء ــ من نواحى أرض ذُبْيَان ، تلى أرض كلب .

---

(١) المعجم ٧ / ٢٨٩

وأنا أعرف موضعا لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الجباب — الجباب : عطف عالجا عليها ، وقد مضى الكلام عليها .

عالج — عالج : قد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهو الأكثبة المرتكة عن الأسياح شمالا .

شرى — شرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فى بلاد طى ، وهو من المياه المعروفة فى تلك الناحية الشمالية فى الجاهلية والإسلام ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قالت امرأة من طى[1] :

دَعَا دعوة يوم الشرى يالَمَالِكٍ ... ومن لم يُجب عند الحفيظة يكلم

فيا ضَيْعَةَ الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدَّل

أما فى بنى حصن من ابن كريمة ... من القوم طَلَّاب التِّرات غشمشم

فيقتل حُرًّا بامرىء لم يكن له ... بَوَاء ، ولكن لا تكايل بالدم

وشرى باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع فى جهة « حائل » مما يلى مطلع الشمس على مسافة يوم تقريبا .

حائل — حائل : قد مضى الكلام عليها ، وهى عاصمة قرى الجبل ، ولاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، وأميرها اليوم عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك

* * *

٤١ — وقال النابغة :

تَحِينُ بِكَفَّيْهِ الْمَنَايَا وَتَارَةً ... تَسِحَّانِ سَحًّا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ

إِذَا حَلَّ بِالْأَرْضِ الْبَرِيَّةِ أَصْبَحَتْ ... كَئِيبَةَ وَجْهٍ غبها غَيْرُ طَائِلِ

يَؤُمُّ بِرِبْعِيٍّ كَأَنَّ زُهَاءَهُ ... إِذَا هَبَطَ الصَّحْرَاءَ حَرَّةُ رَاجِلِ

حرة راجل — حرة راجل : قد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا .

* * *

٤٢ — وقال النابغة فى مرثية له فى أخيه صحار ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، وأمهما عاتكة :

لا يهنأ الناسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَأٍ ... وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ

بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّاوِى عَلَى أَبْوَى ... أَضْحَى بِبَلْدَةِ لَا عَمٍّ وَلَا خَالِ

سَهْلِ الْخَلِيقَةِ مَشَّاءٍ بِأَقْدُحِهِ ... إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى ، حَمَّالِ أَثْقَالِ

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْىُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا ... هَذَا عَلَيْهَا ، وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِ

---

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٤٥ ، والشرى فى هذه الأبيات مقصور كفتى ، وفى بيت النابغة بوزن ظبى

أبوى

أَبَوَى ـ بفتح الباء ـ الذى ذكر النابغة أن فيه قبر أخيه : اسمُ موضع أو جبل بالشام ، وأما الذى بسكون الباء مقصورا فاسم لقريتين على الطريق السالك من البصرة إلى مكة منسوبتين إلى طَسْم وجَديس ، واقعتين فى القصيم ، قال المثقَّبُ العبدى :

ألاَ مَنْ مُبلغ عَـدْوانَ عنى ... وما يُغْنِى التوعُّدُ من بعيد
فإنك لو رأيت رجالَ أبْوَى ... غـداة تَسَرْبَلُوا حلقَ الحديد
إذاً لظننت جنة ذى عرين ... وآسادَ الغريفة فى صعيد

الأبواء

والأبواء : موضع معروف بين مكة والمدينة ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد سئل كثيرٌ الشاعر : لماذا سميت الأبواء أبواء ؟ فقال : لأنهم تبوؤوا بها منزلا ، وهى قريب « الفرع » بينها و بين الُجحْفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، قال ابن قيس الرقيات :

فمِنًى فالجمار من عبد شمس ... مُقْفِرات فبلدح فحراء
فالخيامُ التى بعُسْفَانَ أقْوَتْ ... من سُلَيمى فالقَاع فالأبواء

و بالأبواء قبر آمنة بنت وَهْب أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان السبب فى دَفْنها هناك أن عبدَ الله والدَ رسول الله كان قد خرج إلى المدينة (١) يمتار تَمْرا فمات بالمدينة ، فكانت زوجتُه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب تخرج فى كل عام إلى المدينة تزور قبرهُ ، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنَ ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطَّلب وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها ، ويقال : إن أبا طالب زار أخواله بنى النَّجَّار بالمدينة ، وحَمَل معه آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع منصرفا إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء .

* * *

٤٣ — وقال النابغة :

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْجَذَمَا ... وَاحْتَلَّتِ الشَّرْعَ فَالْأَجْزَاعَ مِنْ إِضَمَا
إِحْدَى بَلِيٍّ وَمَا هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا ... إِلَّا السَّفَاهَ وَإِلَّا ذِكْرَةً حُلُمَا
لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَعْقَاباً إِذَا انْصَرَفَتْ ... وَلَا تَبِيعُ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ الْبُرَمَا

الشرع

الشرع : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب صفينة به ماءة يقال لها « الشارعة »

(١) المشهور أنه خرج فى تجارة قريش إلى الشام ، فلما كان فى طريقه عائدا إلى مكة مرض فعرج على المدينة ليتمرض فيها عند أخواله ـ وقيل : أخوال أبيه عبد المطلب ـ فمات بها .

وهى التى عناها الشاعر .

إضم

إضم : هذا الاسم يطلق على مواضع يسمى كل واحد منها بهذا الاسم ؛ يطلق هذا الاسم على موضع بالعراق معروف بهذا الاسم ، والموضع الثانى : بطن كبير من الأرض فى جهة النباج ، وهو حنيظل وأبو الدود ، و به قصور ونخيل ومزارع ، وهو من قرى الأسياح ، والموضع الثالث : وادٍ يصب من الجبال المجاورة للمدينة حتى ينتهى إلى البحر يقال له « إضم » وهو الذى عناه الشاعر ، وهو الذى عناه سلامة بن جندل[1] بقوله :

يا دار أسماءَ بالعلياء من إضَمٍ   بين الدَّكادك من قَوٍّ فمعصوب
كانت لها مرة دارا فغيرها   مَرُّ الرياح بسافِي التُّرْب مجلوب

الموضع الرابع : منهل فى بلاد العرب ، وهو بضم الهمزة ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، وهو الذى قال فيه عنترة العبسى :

عجلت بنو شيبان مدتهم   والبقعُ أستاهًا بنو لأم
كنا إذا نفر المطيُّ بنا   وبدت لنا أحواض ذى أُضُم
نعدى فنطعن فى أنوفهم   نَخْتارُ بين القتل والغنم

والشرع المتقدم ذكره المجاور لصفينة هو الذى يقول فيه بَشَامة بن الغَدِير :[2]

لمن الديار عَفَوْنَ بالجزع   بالدوم بين بحار فالشرع

وهو الذى يقول النابغة فيه أيضا :

لسعدى بشرع فالبحار مساكن   قفار تَعَفَّتْها شَمَالٌ فداجنُ

نخلة

نخلة : ذكروا أن العرب فى الجاهلية لهم سوق ، إذا أفضت نخلة الشامية على بستان ابن عامر فى مكان عين الجديدة اليوم ؛ هناك سوق تباع فيه على الحاج موجوداتُ البلاد ؛ ومنها البرم ، والبرم : أوانٍ من الطين ، فيها الكبير والصغير ، والكبير منها يطبخ فيه الحمل من الضأن ، والصغير يستعمل لشرب الماء ، ونخلة الشامية هى التى تمر فى عين المضيق وتصب إلى وادى فاطمة جميعُ سيولها ، وهى التى يقول فيها كثير :

حلفت برب المُوضِعين عشيةً   وغيطانُ فلج دونهم فالشقائق
يحثون صبح الحر خُوصًا كأنها   بنَخْلة من دون الوحيفِ المطارق
لقد لقيتنا أم عمرو بصادقٍ   من الصرم أوضاقت عليها الخلائق

* * *

(١) معجم البلدان ١ / ٢٨١ على اختلاف ضبطه فى شعر سلامة وشعر عنترة . (٢) المعجم ٥/٢٥٢

٤٤ — وقال النابغة :

هَلا سَأَلْتَ بَنِي ذُبْيَانَ مَا حَسَبِي ... إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ ... تُزْجِي مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا

صُهْبَ الظِّلَالِ أَتَيْنَ التِّينَ عَنْ عُرُضٍ ... يُزْجِينَ غَيْماً قَلِيلاً مَاؤُه شَبِماً

أرل — أُرل : موضع ذكروا أنه فى بلاد غطفان ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وامرؤ القيس ذكره بضبط آخر حين قال :

تخطَّف خزان الشَّرَبة بالضحى ... وقد حجرت منها ثعالب أورال

التين — التين : جبل أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهو فى بلاد بنى أسد ، بالقرب من سميراء ، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم فى الجاهلية وفى الإسلام ، وهذا الجبل قد رأيته ، أصله واحد ، وأعلاه كأنه جبلان ، قال شاعر أسدى[1] :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... بأسفل ذات الطلح ممنوعة رهبا

وهل قائل هذا كُمُ التين قد بدا ... كأن ذرى أعلامه عممت عصبا

ولا شارب من ماء زلفة شربة ... على الْعَلِّ منى أو مُجِيرٌ بها ركبا

وأنشد شاعر آخر أسدى ، وثناه :

أحبُّ مغـــارب التينين إنى ... رأيت الغوث يألفها الغريب

كأن الجار فى شَمَجَى بن جرم ... له نعماء أو نسب قريب

وقال شاعر من بنى فَقْعس ، وقد ثناهُ أيضا :

أرَّقَنِي الليـــلَةَ برقٌ لامعُ ... من دونه التينانِ والربائعُ

والربائع قد مضى الكلام عليها ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد قريب التين ، وقال العوام بن عبد الرحمن :

أحقًّا ذرَى التينين أن لَسْتُ رائياً ... قِلالَكما إلا لعينيَ ساكبُ

وهنـاك جبل آخر يقال له « تين » واقع جنوبىّ منهل القنصلية الواقعة فى أسفل الوادى وذى الخرمة ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، وشرقىّ بلد الخرمة على مسافة يوم أو أكثر ، معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٢/ ٤٤٤ وفيه « ممنونة رهبا »

٤٥ — وقال النابغة :

بَاتَتْ ثَلاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً | بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِي مَنْزِلاً زِيَمَا
فَانْشَقَّ عَنْهَا عَمُودُ الصُّبْحِ جَافِلَةً | عَدْوَ النَّحُوصِ تَخَافُ الْقَانِصَ اللَّحِمَا

وفيها :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ | مَشْيَ الْإِمَاءِ الْغَوَادِي تَحْمِلُ الْحُزَمَا
أَوْ ذِي وُشُومٍ بِحَوْضَى بَاتَ مُنْكَسِرًا | فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى أَخْضَلَتْ دِيَمَا

ذو المجاز — ذو المجاز[1] واقع فى وادى المغمس ، إذا قطعت وادى الشرائع المعروف وأنت قاصدٌ مكة ، أتيتَ وادى المغمس فى الطريق على يسارك ، فإذا أنت حاذيت كَبْكَب فهو هناك ، فيه آثار قديمة لا تزال ماثلة إلى هذا العهد ، وهو سوق من أسواق الجاهلية المشهورة ، ولكن هذا الاسم قد أُمِّحَى واضمحل إلا عند القليل ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه يخاطب أبا سفيان فى شأن أبى أزيهر ، وكان الوليد بن المغيرة المخزومى قَتَلَه ، وكان أبو سفيان صِهْرَهُ ، فأراد حَقْن الدماء وأدّى عَقْلَه[2] ، ولم يطالب بدمه ، فقال[3] :

غدا أهلُ ضوجَىْ ذى المجاز كليهما | وجارُ ابنِ حرب بالمُغَمَّسِ ما يغدو
ولم يمنع العير الضروط ذِماره | وما منعت مَخْزاة والدها هندُ
كساك هشامُ بن الوليدِ ثيابَهُ | فأبْلِ وأخْلِقْ مثلها جُدُدًا بعدُ

وقال المتوكل الليثى :

للغانيات بذى المجاز رسومُ | فى بطن مكة عَهْدُهُنَّ قديمُ
لا تنه عن خلق وتأتى مثلَه | عار عليك إذا فَعَلْتَ عظيمُ

حوضى — حوضى : جبل أسود فى عالية نجد لبنى عامر بن صعصعة ، عند ماءة يقال لها « ورشة » يقع شرقيها ، على مسافة نصف ساعة للراجل ، وهو معترض شمالا وجنوباً ، من أحد طرفَيْهِ إلى طرفه الآخر مسافة ساعة للراجل ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العَهد لم يتغير منه شىء ، وأحببت أن أورد ماحضرنى من الشواهد لشعراء[4] الجاهلية وغيرهم ، قال أبو خِرَاش الهُذَلى :

فأقسمت لا أنسى قتيلا رزئْتُهُ | بجانب حوضى ما مشيت على الأرض

---

(١) المجاز فيه بئر باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « ذو المجاز » وهى فى الموضع الذى ذكرنا تحديده ، يعرفها جميع أهل تلك الناحية
(٢) العقل — بالفتح — الدية
(٣) انظر معجم البلدان ٣٨٥/٧
(٤) انظر جميع هذه الشواهد فى معجم البلدان ٣٦٦/٣

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد مبتقلا   كأنه كوكب فى الجو منفرد ويروى منجرد

وقرأت فى نوادر أبى زياد : حوضى منازل بنى عقيل ، وفيه حجارة صلبة ، ليس بنجد أصلب منها ، قال ذو الرمة :

إذا ما بَدَت حوضى وأعرض حارك   من الرمل تمشى حوله العين أعفر

لقد صدق غيلان فى هذا التشبيه ، لأن الحارك المرتفع من الرمل ، وحوضى يجاورها عرقُ سبيع وهى فى ضفته الشرقية ، يرى جبل حوضى من مسافة يوم أو أكثر ، وهى أعظم دليل للسفار على ماءة « ورشة » وهى بئر واحدة لكنها لا تنضب على كثرة من يردها . وقد وردت هذا المَنْهل مراراً ، ومررت على حوضى فى طريقى للاتجار .

وقرأت فى بعض الكتب أن أعرابية توفى زوجها فخطبها ابن عم لها ، فأطرقت وجعلت تنكت الأرض بأصبعها حتى خدَّت فيها حفيراً وملأته بدموعها وقد دفن زوجها فى سفح حوضى ، ثم قالت :

فإن تسألانى عن هَوَاى فإنه   مقيمٌ بحوضى أيُّهَا الرجلانِ

وإن تسألانى عن هَوَاى فإنه   رهينٌ له بالبث يافتيَانِ

وإنى لأسْتَحْييه والتربُ بيننا   كما كنت أستحييه وَهْوَ يرانى

أهابك إجلالا وإن كنت فى الثَّرَى   وأكره حقاً أن يسؤك مكانى

فقام الفتى وأيس منها ، ثم رآها بعدُ عند قبر زوجها فى أحسن زى ، فقال لرجل معه : أماترى فلانة فى أحسن زى ؟ لقد خرجت متعرضة للرجال ، فلما دنت من قبر زوجها التزمته وأنشأت تقول :

ياصاحبَ القبر يامن كان ينْعَم بى   عيشاً ويكثر فى الدنيا مُوَاتاتى

لما علمتك تهوى أن ترانىَ فى   حَلْى وتهواه من ترجيع أصواتى

فمن رآنى رأى حَيْرَى مُفَجَّعَةً   بشهرة الزى أبكى بين أموات

ثم شهقت شهقة فارقت معها الدنيا ، فدفنت إلى جنب زوجها .

وقال القتال الكلابى ، وحوضى من بلاد قومه :

وما أنس مِلأَ شياء لا أنس نسوة   طوالعَ من حوضى وقد جنَحَ العصر

ولا موقفى بالعَرْج حتى أجنها   علىَّ من العَرْجَيْنِ أسبرة حمر

طوالع من حوضى الرداة كأنها   نواعم من مرّانَ أوقرها النشر

بشرقيِّ حوضى أخرتنى منازل   قفار ، جلالى عن معارفها القطر

تُثِيرُ وتُسْدِي الريح فى عَرَصَاتِها كما نمنم القرطاسَ بالقلم الحَبْرُ
وخيط نعامى الربد فيها كأنها أباعِرُ ضُلَّال بآباطها نشر

وحوضى : واقعة شرقى عِرق سبيع وغربى جبل الصاقب .

* * *

٤٦ — وقال النابغة :

بَاتَ بِحِقْفٍ مِنَ الْبَقَّارِ يَحْفِزُهُ إذَا اسْتَكَفَّ قَلِيلاً تُرْبَهُ انْهَزَمَا
مُوَلِّيَ الرِّيحِ رَوْقَيْهِ وَجَبْهَتَهُ كالْهِبرقِيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الْفَحَمَا

البقار

البقار : المواضع التى أعرفها بما يقرب من هذا الاسم فى هذا العهد منها «أبقار» وهى أودية وسنفان بين منهل عفيف ومنهل القاعية على الطريق السالك من مكة إلى الرياض ، وموضع « أبقار » بين المنهلين ، وهى التى قال فيها صاحب المعجم[1] : هى من الحمى ، واستدل بقول الشاعر :

إلاَّ كداركُمُ بذِى بقَرِ الحمى هيهات ذو بقَرٍ من المزدار

وقال القُحَيف العقيلي وهو يقصد « أبقارا » المشار إليها ، لأنه من أهل تلك الناحية :

فياعجبا منى ومن طارق الكَرَى إذا منع العين الرقاد وسهدا
ومن عبرة جاءت شآبيبَ أنْ بَدَا بذى بَقَرٍ آيات ربع تأبدا

وأعرف وادياً يقرب اسمه من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واقع بين الزلفى والأرطاوية ، يقال لذلك الوادى « بقر » ، وأعرف منهلا فى عالية نجد يعد من الأملاح ، يقال له « البقرة » وهو من أعذب الأملاح ، وأعرف مخلافا من مخاليف الطائف يقع جنوبى الطائف يقال له « بقران » .

* * *

٤٧ — وقال النابغة :

حَتَّى غَدَا مِثْلَ نَصْلِ السَّيْفِ مُنْصَلِتاً يَقْرُو الأمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ والأكَمَا
وَغَارَةٍ ذَاتِ أَظْفَارٍ مُلَمْلَمَةٍ شَعْوَاءَ تَعْتَسِفُ الصَّحْرَاءَ وَالأَكَمَا
أَقْدَمْتُهَا وَنَوَاصِى الْخَيْلِ شَاحِبَةٌ جَرْدَاءَ عِجْلِزَةً أرْمِى بِهَا قُدُمَا

لبنان

لبنان : شهرته تكفى عن تحديده ، ولكنى أحب أن أورد عبارة صاحب معجم البلدان[2] قال : لُبْنَان — بالضم وآخره نون — قال رجل لآخر : لى إليك حُوَيجة ، فقال : لا أقضيها حتى تكون لبنانية ، أى مثل لبنان ، وهو اسم جبل ، وهو فُعْلَان منصرف ، كذا قال الأزهرى ،

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٥٠ (٢) معجم البلدان ٧ / ٣٢٠

ولبنان : جبل مطل على حمص ، يجيء من العرج الذى بين مكة والمدينــة حتى يتصل بالشام ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحَمَل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماة وحمص لبنان ، ويتصل بأنطاكيــة والمصِّيصة فيسمى هناك اللُّكَام ، ثم يمتــد إلى ملطية وسُمَيْساط وقاليقلا إلى بحر الخَزَر فيسمى هناك القَبْق ، وقيل : إن فى هــذا الجبل سبعين لسانا ، لايعرف كل قوم لسانَ الآخرين إلا بترجمان ، وفى هذا الجبل المسمى لبنان كورة بحمص جليلة ، وفيه من جميع الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد ، وفيه يكون الأبدال من الصالحين ، وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخراسانى الطرابلسى :

دَعُونِى لَقًى فى الحرب أطفو وأرْسُبُ ... ولا تنسبونى فالقــواضب تنسب
وإن جهلَتْ جُهّال قومى فضائلى ... فقــد عرفَتْ فضلى مَعَــدٌّ ويعرب
ولا تعتبونى إذ خرجت مُغَاضِباً ... فمن بعض مابى ساحلُ الشام يغضَبُ
وكيف التــذاذى ماء دجــلة معرقا ... وأمواه لبنــانَ ألَذُّ وأعــذب
فمــالى وللأيام لا دَرَّدَرُّهَا ... تُشَرِّق بى طَوْرًا وطَوْرًا تغرب

* * *

٤٨ — وقال النابغة :

أَبْلِـغْ بَنِى ذُبْيَانَ أَنْ لَا أَخَالَهُمْ ... بِعَبْسٍ إِذَا حَلُّوا الدِّمَاخَ فَأَظْلَمَا
بِجَمْعٍ كَلَوْنِ الْأَعْبَلِ الْجَوْنِ لَوْنُهُ ... تَرَى فِى نَوَاحِيهِ زُهَيْراً وَحِذْيَمَا

دماخ : لا أعرف موضعا بهذا الاسم إلا جبلا مشهوراً فى عالية نجد يقال له «دمخ» وهو باقٍ دماخ
على اسمه إلى هذا العهد ، وقد مضى الـكلام عليه

فأما « أظلم » فأنا أعرفه ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تراه بعينك إذا كنت فى أظلم
خناكية ، يقع فى غربيها الشمالى على مسافة أقل من نصف يوم ، وهو الذى قال فيه[1] كثير :

سقى الـكُدْر فاللَّعْباء فالبرق فَالحِمَى ... فَلَوْذَ الحصى من تَغْلَمَين فأظْلَمَا

وأظلم معروف عند جميع أهل نجد فى تلك الناحية التى ذكرنا ، والمواضع التى ذكرها كثير فى هــذا البيت ــ وهى : الـكدر ، واللعباء ، والبرق ــ كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، يطوف عليها الراكب فى يوم ونصف يوم ، أما أظلم ففى شماليها وأما اللعباء ففى جنوبيها .

وقد كنت فى الحناكية ضيفا عند أحمد بن نيف العلوى فى أواخر الحرب العظمى سنة ١٣٣٧

(١) معجم البلدان ٢٨٨/١

هجرية ، فبينا نحن فى قصره نشرب القهوة سألت أهل تلك البلد عن جبل معترض أسْوَدَ فقالوا : هذا الجبل أظلم ، وقد كنت رأيت ذكره فى الأشعار وفى كتب المعاجم ، فغربت الشمس عنا ونحن جلوس مما يلى طرفَهُ الغربى ، ولا يبعد أظلم عن الحناكية أكثر من نصف يوم .

أما جبل دماخ فقد ذكرت أنى لا أعرفه ولا أعرف موقعه ، إلا أنى خرجت من الحناكية يوماً وسرت متجهاً إلى جهة الشرق قاصداً قريات الحمى مسكة وضرية ، فلما خلفت جبل رَحْرَحان المتاخِمَ للحناكيــة الواقعَ فى جنوبيها التفتُّ على يمينى ثم ســألت رجلا فى صحبتنا من أهل تلك الناحية : ما هذه الهضبة ؟ فقال : هى « الدمخاء » وأعتقد أن الدمخاء هذه هى دماخ الذى ذكره النابغة ، فلما خلفنا الدمخاء المذكورةَ التفتُّ على يمينى فرأيت أبرق رمالٍ مرتفعا إلى السماء فى أرض مصطحبة ، فقلت لصاحبى : ما هذا الأبرق ؟ فقال : هذا « قوز العباء » الذى تسمع به ، نفع الله الناس به ، فقلت : ما سبب المنفعة ؟ قال : إن به جنًّا يسكنونه ، فإذا اشتكى المريضُ خرجوا به إلى هذا القوز ، فيذبحون عنده ويهدون إليه الحلى والحلل وخواتم المرضى ، فقلت له : إلى هذا العهد ؟ فقال : إلى هذا العهد ، ولــكنه قد قل اليوم خوفا من تأديب الحــكومة ، وهذه إحدى خرافات الأعراب المقيمين فى بلا غَطَفان ، وثمة خرافة أخرى لأعراب عتيبة تتعلق بأبرق خنوقة الذى على طريق مكة ، إذا قطعت وادى الرشا وأنت قاصد مكة وخَلَّفت جبل ذريع جهة منكبك الأيسر ثم التفت إلى يمينك رأيت هضبة شهباء بها أبرق رمال له ذكر فى أشعار العرب بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولــكن هذه الخرافات انقطعت ببركة جلالة الملك وهمته و إقامته معالم الدين و إزالته البدع والخرافات .

وسبب نزول أحمد بن نيف بلدَ الحناكية الذى كنت ضيفاً عنده أنه لما كانت الحربُ العظمى أخرج فخرى باشا جميعَ قبائل حرب من المدينة وضواحيها ، فتفرقوا فى البلاد ، ونزل جماعة من بنى على وغيرهم بلد الحناكية ، و بنو على المقيمون فى العوالى الذين منهم أحمد بن نيف المذكور جميعُهم رافضة ، إلا هذا الرجل ، وجدته شافعيَّ المذهب ، له تقًى ودين ، فقلت له : ماالسبب فى تركك مذهب قومك ؟ قال : هلك والدى وأنا فى حجر والدتى ، فتزوجها رجل من أهل المدينة شافعى المذهب عالم فى شرائع الإسلام ، فربَّانى ونشأتُ على تربيته ، وأحمد الله الذى وفَّقنى وأخرجنى من هذه الطغمة الضالة ، وليس لهذا الرجل إلا الدعاء له بالجنة

* * *

٤٩ — وقال النابغة :

كَأَنَّ الشَّذْرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا ... عَلَى جَيْدَاءَ فَاتِرَةِ الْبُغَامِ
خَلَتْ بِغَزَالِهَا وَدَنَا عَلَيْنَا ... أَرَاكُ الْجِزْعِ أَسْفَلَ مِنْ سَنَامِ
تَسُفُّ بَرِيرَهُ وَتَرُودُ فِيهِ ... إِلَى دُبُرِ النَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ
كَأَنَّ مُشَعْشَعًا مِنْ خَمْرِ بُصْرَى ... نَمَتْهُ البخت مَشْدُودَ الْخِتَامِ
نَمَيْنَ قِلاَلَهُ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... إِلَى لُقْمَانَ فِي سُوقٍ مُقَامِ

سنام

سَنَام : أعرف ثلاثة مواضع يقال لكل واحد منها سنام ، اثنان منها فى بلاد العرب ، والثالث قمة أحدثها المقنع الخارجى ، وهى التى عناها مالك بن الرَّيْب فى قوله حين خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان :

تذَكَّرنى قبابُ الترك أهلى ... ومبدأهم إذا نزلوا سناما
وصوت حمامة بجبال كِشٍّ ... دَعَتْ من مطلع الشمس الحَمَامَا
فبتُّ لصوتها أرِقًا وباتت ... بمنطقها تُرَاجِعُنِى الكلاما

والموضعان اللذان فى بلاد العرب أحدهما جبل مجاور لبلد الزبير يقال له « سنام » وذكروا فيه أخباراً كثيرة أغلبها قريب من الخرافات ، قالوا : إن بجنبه ماء كثير السافى ، ولا شك أنه ماءة سَفَوان ، قال صاحب معجم البلدان[1] : إنه أول ماء يرده الدجال من مياه بلاد العرب، وذكروا فى رواية ثانية أنه سار من الحجاز حتى وقف مكانه الآن متاخما لبلد الزبير ، ونباته الذى فيه من نبت جبال الحجاز : القطف ، والإذخر ، والقيا ، كلُّها موجودة فيه ، وقالوا : إن ذلك الجبل طريقه وادى الرمة الذى يصب من قريب الحجاز وينتهى قريب الزبير ، ولكن هذه خرافات لا يتصورها العقل وقد اختصرناها ، وهذا الجبل قريب من الزبير ، ولم أرفيه أشعاراً وهو أشهر الموضعين المعروفين بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والجبل الثانى جبل صغير له رأس فى بلاد غطفان ، قريب ماءة المرير ، يقال له « سنام » وهو الذى قال فيه شاعر من غطفان :

شربن من ماوانَ ماءمُرًّا ... ومن سَنَام مثلَه أوشَرًّا

أما قوله « من ماوان » فإنه قصد ماءة المويه التى تحت جبل ماوان ، وهى من أمَرِّ المياه ، وقصد بسنام ماء المرير الذى يقول فيه الأعرابى حين مجت ناقته الماء :

هذا المريرُ فاشرَبيه أو ذَرِى ... إن المَرِيرَ قطعة من أخْضَرِ

(١) انظر معجم البلدان ١٤١/٥

وهذا الجبل يدخل فى ذكر الحِمَيْين : حمى الرَّبذَة ، وحمى ضرية ، وهو الذى يقول فيه الشاعر

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً سَنَامَ الحمى أخْرَى الليالى الغوابر
كأنَّ فؤادى من تَذَكُّره الحِمَى وأهلَ الحمى يهفو به ريشُ طائر

وهذه الأبيات للصمة بن عبد الله القُشَيرى ، قالها وهو مريض فى « طبرستان » وهى فى قصيدة طويلة ، ومات هناك من ذلك المرض .

بصرى

بصرى : قد مضى الكلام عليها .

بيت رأس

بيت رأس : اسم لقريتين[1] فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر : إحداهما بالبيت المقدس ، وقيل : بيت رأس كورة بالأردن ، والأخرى من نواحى حلب : قال حسان بن ثابت :

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَهَا عسلٌ وماء
فنشربها فتتركنا مُلوكاً وأسْدًا ما ينهنهنا اللقاء

وهذه الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه قالها فى فتح مكة ؛ مطلعها :

عفت ذاتُ الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلُها خلاء

وقال أبو نواس يذكر بيت رأس :

دِثار من غنية أو سليمى أو الدهماء أخت بنى الحماس
كأن معاقد الأوضاح منها بجيدِ أغنَّ نوم فى الكِناسِ
وتبسم عن أغر كأن فيه مُجَاج سلافة من بيت راس

* * *

٥٠ — وقال النابغة :

وَلٰـكِنْ مَا أَتَاكَ عَنِ ابْنِ هِنْدٍ مِنَ الْحَزْمِ الْمُبَيِّنِ وَالتَّمَامِ
فِـــداء ما تُقِلُّ النعلُ منى إلى أَعْلَى الذُّؤَابَةِ لِلْهُمَامِ
وَمَغْزَاهُ قَبَائِلَ غَائِظَاتٍ عَلَى الذِّهْيَوْطِ فِى لَجِبٍ لُهَامِ

إلى أن قال :

وَأَنَّ الْقَوْمَ نَصْرُهُمُ جَمِيعٌ فِئَامٌ مُجْلِبُونَ إِلَى فِئَامِ
فَأَوْرَدَهُنَّ بَطْنَ الأَتْمِ شُعْثًا يَصُنَّ الْمَشْىَ كَالْحِدَإِ التُّؤَامِ

(١) معجم البلدان ٢ / ٣٢١

ذهيوط ذهيوط ، لا أعرفه بهذا الاسم فى بلاد العرب ، ولا أعرفه فى غيرها ، إلا أن صاحب معجم البلدان [1] قال : ذَهْوَط على مثال قسور : موضع عن ابن دريد ، وقال أيضا : ذهيوط — بوزن عيهوط — واستدل ببيت النابغة الذى أوله « ومغزاه » .

الأثم الأثم : قيل : إنه موضع بالعراق ، والرواية الثانية أن الأثم قُرًى واقعة فى حَرَّة بنى سليم ، بينه وبين المسلح تسعة أميال ، وهى من منازل حاج البصرة القاصدين لمكة ، وقال ابن السكيت [2] : الأثم اسم جامع لقريات أربع : حاذة ، ونقيا ، والمحدث ، والقيا ، وأنا لا أعرف موضعا بهذا الاسم ولا قرية من تلك القرى ، إلا حاذة فإنها باقية بهذا الاسم فى بلاد بنى سليم ، وقريب منها صفينة والسوارقية ، وقريب منها بلد المهد المعدن المعروف فى بلاد بنى سليم ، وقد ذكر عمرو بن كلثوم الأثم فى قصيدة له حين قال :

صَبَحْنَاهنَّ يوم الأثم شعثاً فَرَاسا والقبائل من غِفار

ويمكن أن هذا الاسم باق فى ألسن سكان تلك الناحية إلى هذا العهد بلفظة الأثم .

* * *

٥١ — وقال النابغة :

يُوَصِّينَ الرُّوَاةَ إِذَا أَلَمُّوا بِشُمْتٍ مُكْرَهِينَ عَلَى المظَامِ

وَأَضْحَى سَاطِعاً بجبَالِ حِسْمَى دُقَاقُ التُّرْبِ محتزمَ القَتَامِ

فَهمَّ الطَّالِبُونَ لِيُدْرِكُوهُ وَمَا رَامُوا بِذَلِكَ مِنْ مَرَامِ

إِلَى صَعْبِ المغارَةِ مُنْذِرِيٍّ نَمَاهُ فِى فروعِ الْمَجْدِ نَامِى

حسمى حِسْمَى : أحببت أن أورد عبارة كاملة لصاحب المعجم على حسمى ، وهى [3] يجوز أن يكون أصلها من الحسم ، وهو المنع ، وهى أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادى القرى ليلتان ، وبين وادى القرى والمدينة ست ليال ، قال الراجز :

جاورن رمل أيلة الدَّهَّاسَا وبَطْنَ حِسْمَى بلداً هِرْمَاسَا

أى واسعا ، وأيلة : قريبة من وادى القرى ، وحسمى : أرض غليظة ، وماؤها كذلك ، لا خير فيها ، تنزلها جُذَام ، وقال ابن السكيت : حسمى لجذام ، جبال وأرض بين أَيْلَةَ وجانب تيه بنى إسرائيل الذى يلى أيلة ، وبين أرض بنى عُذْرَة من ظهر حرة نهيل ، فذلك كله حسمى ، قال كثير :

---

(١) معجم البلدان ٤/٢٠٠ (٢) معجم البلدان ١/١٠٥ . (٣) معجم البلدان ٣/٢٧٦

سيأتى أمير المؤمنين ودونَهُ   جماهيرُ حِسْمَى قُورهَا وحزُونُهَا
تجاوب أصدائى بكل قصيدةٍ   من الشعر مُهْدَاةً لمن لا يُهِينها

ويقال : آخر ماء نَضَبَ من ماء الطوفان حسمى ، فبقيت منه هذه البقعة إلى اليوم ، فلذلك هو أخبث ماء ، وفى اخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال : حسمى أرض طيبة ، تؤدى لين النخلة من لينها ، وتنبت جميع النبات ، مملوءة جبالا فى كبد السماء متناوحة مُلْس الجوانب إذا أراد الناظر النظر إلى قُلَّة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة ، ومنها ما لا يقدر أن يراه ، ولا يكاد القتامُ يفارقها ، ولهذا قال النابغة :

فأصبح عاقلا بجبال حسمى   دقاق الترب محتزمَ القَتَامِ

واختلف الناس فى تفسيره ولم يعلموه ، ويكون مسيرةَ ثلاثةِ أيام فى يومين ، يعرفها مَنْ رآها حيث يراها ، لأنها لا مثيل لها فى الدنيا ، ومن جبال حسمى جبل يعرف بإرَم عظيم العلو ، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه « تُخْرِجُكم الرومُ منها كَفْراً كفراً إلى سنبك من الأرض » قيل له : وما ذلك السنبك ؟ قال : « حسمى جذام » وقرأت فى بعض الكتب أن بعض العرب قال : إن الله اجتبى ماء إرَم والبَدِيعة ونَعْمان وعَلَلاَن بعباده المؤمنين ، وهذه المياه كلها بحسمى ، وفى كتب السير وأخبار نوح أن حسمى جبل مُشْرِف على حَرَّان قرب الجودى ، وأن نوحا نزل منه فبنى حران ، وهذا بعيد من جهتين : إحداهما أن الجودى بعيد من حران ، بينهما أكثر من عشرة أيام ، والثانية أنه لا يعرف بالجزيرة جبل يقال له حسمى .

أما ذو حسم الذى ذكره لبيد فى شعره فإنه غير حسمى التى ذكرها النابغة والتى أوردنا عليها الشواهد ، وأصح ماورد فى حسمى العبارة التى أوردنا ، وأهل تَبُوك يرون جبل حسمى فى غربيهم وفى شرقيهم وشرورى ، وهذه أبيات لبيد فى ذى حسم(١)

لِيَبْكِ على النعمان شَرْبٌ وقَيْنَة   ومختبطات كالسَّعَالِى أرامِلُ
له المُلْكُ فى ضاحى معد ، وأسلمت   إليه العباد كلُّهَا ما يحاولُ
فيومًا عناةٌ فى الحديد يكفُّهم   ويومًا جيادٌ مُلْجَمات قوافلُ
بذى حُسَم قد عُرِّيَتْ ويزينها   دِمَاثٌ فسيح رَهْوُهَا والمحافل

وذو حسم لا أعرفها بهذا الاسم فى بلاد العرب ، أعرف حسلات ، وهى هضبات بين شُعَبى

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٧٦ .

و بين عريق الدسم ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥٢ — وقال النابغة :

طَلَعُوا إِلَيْكَ بِرَايَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَوْمَ ٱلْأُنَيْسِ إِذْ لَقِيتَ لَئِيمَا
قَوْمٌ تَدَارَكَ بِالْعُقَيْرَةِ رَكْضُهُمْ أَوْلَادَ زَرْدَةَ إِذْ تَرَكْتَ ذَمِيمَا

الأنيس

الأنيس : لا أعلم فى بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، إلا أنى أعرف جبلا أحمر منقطعاً من جبيلات طخفة الواقعة فى عالية نجد ، يقع فى جنوبيها بين وادى الريان وجبال كبشات يقال له « إنسان » فى هذا العهد ، كأنه إنسان واقف ، وهو الذى يقول فيه الراجز[1] :

خَلِية أبوابها كالطيقان أحمى بها الملك جنوب الريَّان
فكبشات فجنوبى إنسان

والريان الذى قرن بإنسان : وادٍ عظيم بين طخفة وغول ، قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرىء القيس ، ليس بجبل ، و يمكن أن النابغة قصد هذا الجبل المسمى اليوم بإنسان .

العقيرة

العقيرة : لا أعرف فى بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، واعرف موضعاً يقرب اسمه من هذا الاسم ، وهو مرسى هجر ، يقال له « العقير » فى هذا العهد ، و يمكن أن اسمه كان فى الجاهلية العقيرة ، لأن صاحب معجم البلدان قال : العقيرة مدينة على البحر ، بينها و بين هجر ليلة ، والمواضع التى تقارب هذا الاسم كثيرة : منها « عقار » موضع قريب اليمامة، وفيه وقع يوم عقار على بنى تميم وكان فارسهم شهاب بن عبد قيس ، فقتله سيار بن عبيد الحنفى، وفى ذلك يقول شاعرهم :

وأوسَعْنَا بنى يربوعَ طَعْنًا فأجْلَوْا عن شهابٍ بالعُقَار

هذا عقار الواقع فى اليمامة ، وهو الذى يقول فيه الضبابى حين أخذت ناقته إلى معاذ بن الأقرع القشيرى[2] :

قلت لها بالرمل وهى تَضْبَع رمل عقارٍ والعيونُ هُجَّع
بالسلع ذاتِ الحلَقَات الأربع أَلِمُعَاذٍ أنتِ أم للأقرع

وهذا الموضع واقع قريب الأملاح من مياه الدبول قريب كثيب الدحى ، وهو الذى يقول فيه الفرزدق :

---

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٣٥٢

(٢) معجم البلدان ٦ / ١٩١ وفيه أن عقار اليمامة بضم أوله ، والذى فى شعر الضبابى بفتح أوله

أقول لصاحِبيَّ من التَّعَزى وقد نكبن أكثبة العقر
أعِينانى على زفرات قلبٍ يحنّ برامتين إلى البوار
إذا ذكرت منازله استهلّتْ مدامعُ مسبلِ العَبَرات جَارِى

وهناك جبل فى عالية نجد فى جنو بيها يقال له « العاقر » وهناك جبال متصلة بمنهل البديعة الماء المعروف فى عالية نجد يقال لها « العقر » وهناك جبل فى عرض ابنى شمام مرتفع إلى السماء يقال له « العاقر » وجميعُ هذه المواضع المذكورة باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، هذا الذى أعرفه من جبال نجد ، فأما لفظ العقر فإنه يطلق على كل قصر منيع ، ويطلق على الدار ، قال لبيد فى ذكر (١) القصر :

كعقر الهاجرى إذا ابتناه بأشباه حُذِينَ على مثال

و بنو شليل من بجيلة ، وشليل هو جد جرير بن عبد الله البَجَلى ، قال تأبط شرا فى قصر بنى شليل :

شنئتُ العقر عقر بنى شليل إذا هَبّتْ لقارئها الرياح

و يطلق اسم العقر على عدة مواضع : منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وقد روى أن الحسين بن على رضى الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيلُ عبيد الله بن زياد قال : ما اسم تلك القرية ؟ وأشار إلى العقر ، فقيل له : اسمها العقر ، فقال : نعوذ بالله من العقر ، فما اسم تلك الأرض التى نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، قال : أرض كرب و بلاء ، وأراد الخروج منها فمنع ، وكان ما كان ، وهذا الموضع الذى يقال له العقر قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فى سنة ١٠٢ ، وكان خلع طاعة بنى مروان ، ودعا إلى نفسه ، وأطاعه أهلُ البصرة والأهواز وفارس وواسط ، وخرج فى مئة وعشرين ألفا ، فندب له يزيدُ بن عبد الملك أخاه مَسْلَمَة ، فواقفه بالعقر من أرض بابل ، فانجلت الحربُ عن قتل يزيد بن المهلب ، وقال الفرزدق يُشَبب بعاتكة بنت عمرو ابن يزيد الأسدى زوجةِ يزيد بن المهلب :

إذا ما الْمَزُونيّاتُ أصبحن حُسَّرا و بكين أشلاء على عَقْرِ بابل
وكم طالبٍ بنت الْمُلاَءة أنها تُذَكِّر ريعانَ الشباب المزايل

والعقر أيضاً : قرية بين تكريت والموصل ، تنزلها القوافل ، وهى أول حُدود أعمال الموصل من جهة العراق ، والعقر : قرية على طريق بغداد إلى الدّسْكرة ، ينسب إليها أبو الدر لؤلؤ

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ١٩٤ وما بعدها ، ونسب فى اللسان (ق ر أ) بيت تأبط شرا إلى مالك بن الحارث الهذلى

ابن أبي الكرم بن لؤلؤ بن فارس العَقْرِيُّ ، من هذه القرية ، والعقر أيضاً : قلعة حصينة في جبال الموصل ، أهلها أكراد ، وهي شرقي الموصل ، تعرف بعقر الْحُمَيْدية ، خرج منها طائفة من أهل العلم وفي حمى ضرية جبالٌ يقال لها العقر ، وهي التي قال فيها طُفَيل الغَنَوي :

وبالعقر دار من جميلة هيجت   سوالف حب في فؤادك منصب

وعقر السدن : من قرى الشرطة ، بين واسط والبصرة ، منها كان الضالُّ المضلُّ سنان داعية الإسماعلية ودَجَّالهم ومضلهم الذي فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده . والعقر — بالتحريك — من قرى الرملة في حسبان السمعاني ، ونسب إليها أبو جعفر محمد بن أحمد بن إبراهيم العَقَري الرملي ، يروي عن عيسى بن يونس الفاخوري ، روى عنه أبو بكر المقري ، سمع منه بعد سنة ٣١٠ .

قال مصنف هذا الكتاب : وأريد أن أنبه هنا إلى أن الذي أوردته عن العاقر والعقر والعقير فما كان من الحديث عن العقير الواقع في سواحل هَجَر إلى عالية نجد من المواضع التي تسمى بهذه الأسماء في بلاد العرب فإني أعرفها وأعرف مواضعها ، وما كان منها خارج بلاد العرب فهي رواية صاحب معجم البلدان ، والذي ذكره النابغة بقوله العقيرة هو الواقع في سواحل هجر .

* * *

٥٣ — وقال النابغة :

أَلِمْ بِرَسْمِ الطَّلَلِ الأَقْدَمِ   بِجَانِبِ السَّكْرَانِ فَالأَيْهَمِ

السكران

السكران : ذكروا أنه وادٍ عظيم بمَشَارف الشام ، وهو الذي يقول فيه الأخطل [١] :

فرابية السكران قَفْرٌ فما بها   لهم شَبَحٌ إلّا سِلَامٌ وحَرْمَلُ

وذكروا أنه وادٍ عظيم قريب الشام ، إذا خرجْتَ من الشام قاصداً المدينةَ جعلته على يسارك وهو الذي يقول فيه عبيد الله بن قيس [١] الرقيات :

زَوَّدَتْنَا رقيةُ الأحزانا   يوم جازت حمولُها سكرانا

إن تكن هي من عبد شمس أراها   فعسى أن يكون ذاكَ وكانا [٢]

أنا من أجلكم هَجَرْتُ بني بد   رٍ ومن أجلكم أحبُّ أبانا

---

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٩٧   (٢) هكذا وقع البيت في معجم البلدان ، وهو في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٢٦٢ أوربة على وجه آخر لا ضرورة فيه ، وهو :

إن تقل هن من بني عبد شمس   فعسى ذاك أن يكون وكانا

ودخلنا الديار ما نشتهيها طَمَعاً أن تنيلنا أو تدانا

وذكروا أن قريب المدينة جبل يقال له السكران ؛ فإذا صح ذلك فعُبَيد الله بن قيس الرقيات يقصده ؛ لأنه شاعر حجازى .

وأحب أن أزيل عن القارىء بعض الالتباس ، هناك قصور ومزارع وفيها نخيل يقال لها السكران ، واقعة بين « البرود » و « الفيضة » الواقعتين فى قرى السر ، وهذا الاسم حديث ، بعثها على بن سكران وإخوته ، وهم أهل أشيقر ، وهم بطنٌ من قبيلة الوهبة من بنى تميم ، بعثت تلك الناحية فى أوائل القرن الرابع عشر ، فأول ما بُعث قصر واحد ، وسمى قصر ابن سكران ، ثم زادت القصور والمزارع فاستمر الاسم « قصور ابن سكران » ثم حذفوا لفظ القصور فصار « سكران » إلى هذا العهد ، فهى لا تعرف عند عامة أهل نجد إلا بهذا الاسم ، وهناك فى كثيب السر طريق مما يلى السكران يسلكه القاصد إلى قرى الوشم يسمى « خل السكران » فأما سُكَر بوزن زفر ــ فهو موضع بشرقى صعيد مصر ، بينه وبين مصر يومان ، كان عبد العزيز بن مروان فى ولايته يخرج إليه ويعده من متنزهاته ، وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ومات به أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، فقال نصيب يرثيه :

أصبت يوم الصعيد من سُكَر مصيبة ليس لى بها قِبَلُ
تالله أنسى مصيبتى أبدًا ما أسمعتنى حنينهَا الإبلُ
ولا التبكى عليه أتركه كل المصيبات بعده جَلَلُ (١)
لم يعرف النعش ما عليه من الـــعُرْف ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أجَنُّوه فى ضريحهم حيث انتهى من خليله الأمَلُ

وأما عبد العزيز بن مروان والى مصر فى خلافة أخيه عبد الملك فقد ثبت أنه هلك فى حلوان قرب مصر .

الأيهم

الأيهم : ذكروا أنه فى نواحى الشام ، وذكروا أيضاً أن أيهم وادٍ من أودية طى ، ولكنى لم أجد له ذكرا إلا فى بيت النابغة الذى مر ذكره .

* * *

٥٤ — وقال النابغة :

أَلا أَبْلغ لَدَيْكَ أَبا حُرَيْثٍ وَعَاقِبَـةُ الْمَلامَةِ لِلْمُلِيمِ

(١) جلل ، هنا : أى هينة سهلة .

فَـكَيْفَ تَرَى مُعاقَتِى وَسَعْيِى   بِأَذْوَادِ القصيمة وَالْقَصِيم

نحب أن ننبه القارىء على هذين البيتين لئلا يظن أن القصيم المذكور فيهما هو القصيم المشهور الواقع فى القطعة الشمالية من نجد .

القصيمة فى اللغة : القطعة من الأرض ينبت فيها الغضى والأرطى والسلم ، وهى أيضاً ما سهل من الأرض .

* * *

٥٥ — وقال النابغة :

إِنِّى أَظُنُّ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرَ تَارِكِـكُمْ   بِالْقُرْنَتَيْنِ وَلَمَّا يُفْرِعِ النَّعَمُ
حَتَّى تَرَاءَوْهُ مَعْصُوباً بِلِمَّتِـهِ   نَقْعُ الْقَنَـابِلِ فِى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

القرنتين

القرنتين : المواضع التى يطلق عليها اسم قريب من هذا اللفظ كثيرة ، يوجد فى بلاد غطفان هضبتان يقال اليوم لها « القَرِينتان » وكان يقال لها « القرين » وهما اللتان قال فيهما ذو الرمة[1]

يردفْنَ خَشْباء القرين وقد بدا   لهنَّ إلى أرض الستار زيالها

وهما قريبتان من الستار الواقع بين أبْلَى وحدود حمى ضرية ، الموضع الثانى هضبة لها رأسان بين شقرا والقراين تسمى تلك الهضبة « القراين » وهناك موضع ثالث بين حريملا وملهم ، يقال لتلك البلد اليوم القرينة ، وهى التى قال فيها جرير[2] :

كأن أظعانهم تحدى مقفية   نَخْلٌ بملهم أو نخل بقرانا

وفى بلد سدوس بئر كثيرة الماء عظيمة يقال لها القرينان ؛ فأما القرية الواقعة بين مَلْهم وحريملاء المعروفة اليوم بالقرينة فهى التى قتل فيها نجدة بن عامر الحنفى الحرورى، والقرينة أيضاً : اسم روضة بالصَّمان ، قال الشاعر فى شَطْر بيت[3] :

* جرى الرمث فى ماء القرينة والسدر *

وقال صاعد ، وأنشده أبو زياد :

ألا يا صاحبيَّ قفا قليلاَ   على دار القدور فَحَيِّيَاها
ودارٍ بالشميط لحيياها   ودارٍ بالقرينة فاسألاها
سَقَتْها كلُّ واكفة هَتُون   تُزَجِّيها جنوبٌ أو صَبَاها

---

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٧٢   (٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٦

وشميط التي ذكرها قريبُ القرينة الواقعة فى بلاد غطفان من أشماط الرضم المعروفة فى هذا العهد بالأشماط وهى هضبات شهب .

* * *

٥٦ — وقال النابغة :

غَشِيتُ مَنَازِلاً بِعُرَيْتِنَاتٍ ... فَأَعْلَى الجِزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ

تَعَاوَرَهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ حَتَّى ... عَفَوْنَ وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنِّ

عريتنات

عريتنات : قد مضى الكلام عليها .

* * *

٥٧ — وقال النابغة :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلْأَمْتُ فِيهَا ... إِلَى يَوْمِ النِّسَارِ وَهُمْ مِجَنِّي

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ ... وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ ... أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّي

يوم النسار

يوم النسار : يوم عظيم من أيام العرب المشهورة ، وهذه رواية صاحب العقد الفريد بتمامها ، قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى وغَطَفان ، ولحقت بهم ضبة وعدى ، فغزَوْا بنى عامر ، فقتلوهم قتلا شديداً ، فغضبت بنو تميم لقتال بنى عامر ، فتجمعوا حتى لحقوا طيا وغطفان وحلفاءهم من بنى ضبة وعدى يوم الفجار ، فقتلت تميم طيا أشدَّ مما قتلت عامر يوم النسار ، فقال فى ذلك بشر ابن أبى خازم :

غضبتْ تميمٌ أن تُقَتَّل عامر ... يوم النسار فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ

وأحب أن أورد العبارات الواردة فى النسار ، قال صاحب معجم البلدان[1] : النسار : جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وهوازن وسعد بن عمرو بن تميم ، فهزمت هوازن ، فلما رأوا الغلبةسألواضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويُخَلُّوا عنهم ، ففعلوا ، قال ربيعة بن مقروم الضبى:

قَوْمى فإن كنت كذبتنى ... بما قلت فاسأل بقومى عليما

فدى ببُزَاخة أهلى لهم ... إذا ملئــوا بالجموع القضيما

وإن لقيتْ عامر بالنســـا ... ر منهم وطخفة يوما غشوما

به شــاطروا الحى أموالهم ... هوازن ذا وَفْرِها والعديما

(١) انظره ٨/٢٨٤

وقال فى معجم البلدان[١] عن أبى عبيدة : النسار أجبال متساورة يقال لها الأنسر ، وهى التى تسمى النسار ، وكانت به وقعة قال النظار الأسدى :

ويوم النسار ويوم النضا ر كانوا لنا مقتوى المقتوينا

المقتوى : هو الخادم ، كأنه يقول : إنهم صاروا خدماً لخدمنا .

وأنا أعرف النسار المذكور يقينا ، كان به ثلاث وَقَعات فى الجاهلية ووقعة فى مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة ، بين عرب نجد ، وفى وقعة الأنسر المتأخرة يقول رباح الصانع أحد شعراء النبط :

كريم يبارق نوه حقوق يشعل أشعال أخيل ضوحة إلى حزات وجبات الصلاة

أمطر على وادى الأنصر وأرجعه من عقب المحال وسيّل شعيب الخنوقة بعد ما سيّل غثات

وهو يعرف عند عامة أهل نجد اليوم بالأنصر ، أبدلت سينه صادا ، وماءة الأنصر ماءة القاعية الواقعة على طريق السيارات السالكة من الرياض إلى مكة ، بين منهل عفيف و بلد الدوادمى ، إذا طلعت على ماءة القاعية فانظر على يمينك فإنك ترى جبيلات صغاراً أصلها واحد ، ورؤسها ثلاثة ، وحولها أبارق ، يقال لتلك الجبيلات « الأنصر » والنسار هو الذى يقول فيه بشر بن أبى خازم[١] :

ويوم النسار ويوم الجفا ر كانا عذابا وكانا غراما

وسَبَتْ بنو أسد نساء كثيرة من نساء ذبيان ، فقالت سلمى بنت المحلق تعير جوّابا والطفيل وغيرهما :

لحى الإلهُ أبا ليلى بفرّته يوم النسار وقُنْبَ العَيْر جوّابا

كيف الفَخَار وقد كانت بمعترك يوم النسار بنو ذبيان أربابا

لم تمنعوا القوم إذ أشكوا سَوَامكم ولا النساء ، وكان القوم أحزابا

النسار : جبل أصله واحد ورؤسه ثلاثة كأنها أنسُرٌ وقّع على ظهر ذلك الجبل ، فسميت الأنسر ، فبقيت على هذا الاسم فى الجاهلية ، ثم تداولته الألسن حتى صار هذا الاسم الأنصر ، وعنده أبارق وجبيلات كان يقال لها فيما سبق الأناسر ، ويقال لها اليوم « الأناصر » .

الجفار

الجفار : منهل فى[٢] عالية نجد ، وبه وقعة عظيمة فى الجاهلية بين بكر بن وائل وتميم بن مر أسر فيه عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، أسره قتادة بن مسلمة ، وقال شاعر بكر :

أسر المحشر وابنه وحويرثا والنهشليَّ ومالكا وعقالاَ

وقال الأعشى :

وإن أخاك الذى تعلمين ليالينا إذ نَحُلُّ الجفارا

(١) انظر معجم البلدان ٨/ ٢٨٤ وما بعدها (٢) انظر معجم البلدان ٣/ ١١٢

تبدّل بعد الصبا حلمُهُ   وَقَنّعه الشيب منه خمارا

والجفار : موضع معلوم ، إذا انقطع جبل شعبيْ فى الجهة الجنوبية منها فهناك موضع يقال له « الجفر » وذكروا عنه أخباراً كثيرة ، منها أنه من مياه الضباب ، و بلى ، قبلى ضرية على ثلاث ليال يشبه هذا الماء ماءَ السماء يخرج من عيون تحت هضبة كأنه وشَل وليس بوشل ، ولما سمع أمير نفى عمر بن ر بيعان هذه العبارة خرج بأصحابه يلتمس تلك العين ، فلم يجدها فى جنبات الموضع الذى يقال له « الجفر » ، ويليه فى جهته الجنوبية الغربية منه هضبة يقال لها « مصودعة » إذا رأيتها فكأنها متصدعة ، ويضاف هذا الجفر إليها فيقال له « جفر مصودعة » . وهو الذى يقول فيه الشاعر الضبابى [1] :

كفى حزنا أنى نظرت وأهلنا   بهضْبَيْ شماريخ الطوال طلول
إلى ضوء نار بالجديف يشُبُّهَا   مع الصبح سنح الساعدين طويل
على لحم ناب عَضَّه السيفُ عضةً   فَخَرَّ على اللحيين وهو كليل
أقول وقد أيقنت أن لَسْتُ فاعلا   ألا هل إلى ماء الجفار سبيل
وقد صدر الوُرّاد عنهُ وقد طما   بأشهب يشفى لو كرهت غليل

وهذا الجفر هو الذى كان يقال له « الجفار » فى الزمن القديم ، وهو الذى كانت به الوقعة المشهورة بين بكر وتميم . وقد صار اسمه فى هذا العهد « الجفر » وقد أكثر الشعراء من ذكره شعراءُ العرب المتقدمين وشعراء العرب المتأخرين الذين سلكوا فى الشعر المنهج النبطى،ومن هؤلاء متعب بن جبرين ، وهو من رؤساء بنى عبد الله بن غَطَفان ، وله ذكر فى قيادة الفرسان ، وهو من أحلاس الخيل ، وكانت زوجته قدهلكت وهم حلول فى سفح الهضبة المعروفة بهذا الاسم «المصودعة» فدفنت زوجته فى سفح الجفر المذكور ، فقال أبياتا نبطية منها :

يَمْصُودعة عَلّك من الوسم رَعّاد   سيل على سيل ووبل يهل
عساه يسقى لبة الجفر من غاد   حيثن فيها بالدّويحن هل لى

ولمتعب بن جبرين هذا أخبار طريفة ، وكان تريحيب بن شرى بن بصيص من مطير ، وهو من فرسان أهل نجد فى أوائل القرن الرابع عشر ، حتى إن كل معركة وقعت بين مطير وعتيبة لم يتخلف عن واحدة منها ، وقد قتل فى آخر وقعة قريب ماءة الغزيز القريب من وادى الجيسية قتله فاجر السلات من الروقة من ذوى عطية ، وكان متعب بن جبرين المذكور أخاً له من أمه ،

---

(١) معجم البلدان ٣ / ١١٣

فقال قصيدة نبطية منها :

يَهْل الرمك زيدولهن فى البريرة   نبى ندوّر فوقهنّه اتريحيب
لابد من يوم يثوّر صبيرة   عسامهْ أكبر من خشوم العراقيب

الرمك : الخيل ، والصبيرة : هو القَتَام ، والعسام : نوع من القتام ، العراقيب : أكثبة تقع جنوبى جبل النير .

ومن طرائف أخبار متعب بن جبرين ما حدثنى به دعيبيس الصفيانى من عتيبة سنة ١٣٤٥هـ وعمره فى ذلك الوقت قريب ثمانين سنة ، قال : كنا قاطنين على ماءة « دغيبجة » المعروفة قريب المويه، وكنت إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة ، فقال لى والدى : إن لنا غرضا عند أهل « تنضبة » الماءةِ الواقعة فى وادى العقيق قريب عشيرة والمحدثة ، وإنى لا أقدر أن أترك إبلى خشية الأعداء ، ولكن انظر إلى هذا الجمل ، فإنى والله لا أعلم ناقة ولا جملا يرُدانه عن طريقه ، فاركبه ، فإن رأيت أحداً فانهزم به فإنك تنجو إن شاء الله ، قال : فأخذت مزادتى وزادى، وركبته لما بزغ الفجر ، فقصدت أهل تنضبة تارةً يسير سيراً عجلا وطورا يُرْقل إرقالا ، فلما اشتدت القيلولة إذا أنا قد قربت جبيل بسيان المتاخِمَ لماءة المحدثة فى ركبة ، فقلت فى نفسى : أرتاح قليلا ويرتاح جملى ، فأنخته فى ظل دَوْحة ، ووضعت عنه زادى ومزادتى ، وقيدته ، فتركته يرعى فى الشجر ، واضطجعت على جنبى ، فما شعرت وأنا فى النوم إلا بالأصوات المرتفعة ، وإذا جيش يبلغ عدده مئة من المهارى النجُب ، وإذا السابقون من هؤلاء إلى جملى يجاوزون العشرين وهم مختلفون على هذا الجمل الواحد ، كل منهم يقول : أنا السابق إليه وهو لى ، فما شعرت إلا برجل يقول : ياصاحب الجمل من أنت وما قبيلتك ؟ فقلت : من عتيبة ، فقال : عليك اللعنة مأخوذ ومجحود ، أقبل إلى وخذ أمتعتك معك ، فجئت بها ، وكان هذا الشيخ هو متعب بن جبرين ، فلما أتيته بأمتعتى قال : ضعها على جملك واركبه ، وقف، ثم الْتَفَتَ إلى هؤلاء فقال لهم : أيها المختلفون ، إنى أريدُ أن أترك صاحب هذا الجمل حتى يصل إلى تلك الشجرة ، ونأمره يندفع فى السير ، ثم أنتم تغيرون على أثره ، فمن لحقه فهو له ، فرضى الجميع بذلك ، فالتفت إلى وقال : اندفع على جملك ، فاندفع الجيش على أثرى فما مضى إلا قليل ، ثم التفتُ فلم أر من القوم إلا ثمانا ، ثم اندفعت أيضاً والتفت فلم أر إلا أربعا ، ثم اندفعت قليلا ثم التفت فلم أر إلا اثنين ، فأنخت جملى وأخذت حَثَوات من التراب فرميت بها أمام وجوههم ، وركبت جملى ، فانطلقت إلى ماءة تنضبة ، فأنجانى الله منهم ، ووصلت قومى سالما

والذى أعرفه فى بلاد العرب من المواضع التى يقال لها « الجفر » هو هذا الموضع المذكور ،

وهو الجفار الذى ذكره النابغة . وأعرف منهلا بين القَصيم وحائل يقال له « الأجفر » وأعرف منهلا كثير الماء فى عالية نجد جنو بى عرض باهلة يقال له الجفر جفر بتران ، و بتران : جبل أسود رفيع القمة مُطل على هذا الجفر ، فأضيف الماء إلى هذ الجبل ، فقيل له « جفر بتران » وقد مضى الكلام عليه فى ذكر أملاح الدبول ، و بتران قد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهناك موضع آخر يقال له « الجفر » فى أسفل بيشة ، وهوهضبات حمر بها ماء يقال له « الجفر » مطل على النقيع البلدِ الواقعةِ فى وادى بيشة وفى بلد أشيقر بئر يقال لها الجفر .

عكاظ — وعكاظ :قد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وسيأتى لنا بحث وافٍ عنه فى آخر هذا الكتاب

* * *

٥٨ — وقال النابغة :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ عَلَى يَزِيد ... مِنَ الفَخْرِ المُضَالِ ما أَتَانِى

كَأَنَّ التَّاجَ مَعْقُودٌ عَلَيْهِ ... لأَذْوَادٍ أُخِذْنَ بِذِى أَبانِ

فَحَسْبُكَ أَنْ تهاضَ بمُحْكَمَاتٍ ... يَمُرُّ بِهاَ الرَّوِىُّ عَلَى لِسانِى

أبان — أبان : قد مضى الكلام عليه مفرداً ومثنى ، وذكرنا تحديده و بينا أن وادى الرمة ينفذ إلى جهة القَصيم من بينهما وهذا المنفذ يقال له الخنق .

* * *

٥٩ — وقال النابغة :

أَتَهْدِى لِى الْوَعِيدَ بِذَاتِ وَجٍّ ... كَأَنِّى لاَ أَرَاكَ وَلاَ تَرَانِى

فَإِنْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ أَبُو قُبَيْسٍ ... تَمِط بِكَ الْمَعِيشَةُ فِى هَوَانِ

وج — وج : هو وادى الطائف ، واسمه باقٍ إلى هـذا العهد ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن آخر وطأة الله وج » وهو الطائف ، وأراد بالوطأة الغزاة ها هنا ، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : سميت وجا بوج بن عبد الحق من العماليق، وقيل : من خزاعة ، وقد ذكر خبر وج مستقصًى فى معجم البلدان على ذكر الطائف ، وقال أبو الصلت والد أمية يصف وادى وج [1] :

نحن المبنُّونَ فى وَج على شرف ... تلقى لنا شفعا فيه وأركانا

إنا لنحن نسوق العِيْر آونةً ... بنسوة شُعُث يزجين ولْدَانا

(١) معجم البلدان ٨ / ٤٠٠

وما وأدْنَا حذارَ الهزل من ولد فيها وقد وأدت أحياء عَدْنَانا

و يانِعاً من صنوف الكَرْم عنجدنا منه ، ونعصره خَلاً ولذانا

قد ادْهأمَّتْ وأمست ماؤها غَدِق يمشى معا أصلها والفرع آبانا

إلى خضارم مثلِ الليل متجئا فُوماً وقضبا وزيتونا ورمانا

فيها كواكب مثلوج مناهلها يشفى الغليل بها من كان صَدْيانا

ومقربات صفُونٌ بين أرحلنا تخالُها بالكماة الصَّيد قُضْبانا

وقال عروة بن حزام :

أحقًّا يا حمامةَ بطنِ وَجٍّ بهذا النوح أنك تصدقينا

غلبتك بالبكاء لأن لَيْلِى أُواصِلُه وأنك تَهْجَعينا

وأنى إن بكيت بكيتُ حَقًّا وأنك فى بكائك تكذبينا

فلستِ وإن بكيت أشدَّ شوقا ولكنى أسِرُّ وتعلنينا

فنوحى يا حمامة بطن وج فقد هَيَّجْتِ مشتاقا حزينا

وقال كعب بن مالك الأنصارى :

قضينا من تهامة كل إرْبٍ بخيبر ثم أغمدنا السُّيوفا

نسائلها ، ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلست لمالك إن لم نُزِرْكم بساحة داركم منا أُلُوفَا

وننتزع العروشَ عروشَ وجٍّ وتصبح دوركم منا خلوفا

وفى وادى وج أحاديث كثيرة ، منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن وادى وج حرام ، لا يُعْضَد شجرهُ ، ولا يقتل صيده » وهذا حديث لم تثبت صحته .

أبو قبيس

أبو قبيس : هو الجبل المشهور المُطِل على الكعبة ، قيل : إنه سمى باسم رجل من مَذْحِج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى به قبة ، قال أبو المنذر هشام : أبو قبيس الجبلُ الذى بمكة ، أول من كناه بهذا الاسم آدم عليه السلام حين اقتبس منه هذه النار التى فى أيدى الناس إلى اليوم من مَرْخَتَيْن نزلتا على أبى قبيس من السماء فاحتكتا فأورتا ناراً ، فاقتبس منها آدم ، فذلك المرخ إذا حك أحده بالآخر خرجت منه نار ، وكان فى الجاهلية يسمى الأمين ؛ لأن الركن كان مستودعا فيه أيام الطوفان ، وهو طرف أحد الأخشبين ، والروايات فى ذلك كثيرة ، قال عمرو بن حسان أحد بنى الحارث بن همام ، وذكر الملوك الماضية :

ألا يا أم قيس لا تلومى ... وأبقى إنما ذا الناسُ هامُ
أجدِّكِ هَلْ رأيتِ أباقبيس ... أطال حياته النَّعَمُ الركام
وكسرى إذ تَقَسَّمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المَنُونُ له بيومٍ ... أنَى ، ولـكل حاملة تمام

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الجبل المعروف بالآن بمكة .

* * *

٦٠ — وقال النابغة :

إِنَّا أُنَاسٌ طَالِبُونَ لِثَارِنَا ... فَالْحَقْ بِأَرْضِكَ خَارِجَ بْنَ سِنَانِ
لَا أَعْرِفَنْ شَيْخًا يَجُرُّ بِرِجْلِهِ ... بَيْنَ الْـكَثِيبِ وَأَبْرَقِ الْحَنَّانِ

أبرق الحنان

أبرق الحنان : لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو متاخم لماءة الصخة ، يقع فى الجهة الشمالية منها ، بينها و بينه أقل من نصف يوم ، والصخة قد مضى الـكلام عليها ، وهومنقطع من كثيب الصخة ، قال فى معجم البلدان[1] : هو ماءة لبنى فزارة ، فأما الماءة فهى ماءة الصخة المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما أبرق الحنان فهو كثيبٌ مرتـكم ، إذا ارتـكمت رمالُه وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حَنِين ، ولا يزال الناسُ يسمعون ذلك إلى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التى تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه إلى أسفله ، وفى رواية صاحب معجم البلدان : قالوا[1] سمى ذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فيقال : إن الجن فيه تحنُّ إلى مَنْ قفل عن ذلك المنهل ، هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : إنا نبيت تحت هذا الـكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجَرْس ، ولا نشك أنها أصوات الرمال إذا تهايل بعضُها على بعض ، قال كثير[1] :

لمن الديار بأبرق الحَنَّانِ ... فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلُها وغَيَّرَ رسْمَهَا ... بعد الأنيس تعاقُبُ الأزمان
فوقفت فيها صاحبيَّ وما بها ... يا عز من نَعَم ولا إنسان

ولا أعرف فى نجد كثيبا له حنين وأصوات إلا هذا الـكثيب الذى فى هـذا الموضع ، أعرف أكثبة مرتـكمة فى الجنوبى الغربى من ثادق وهى أكثبة ارتـكم بعضُها فوق بعض ثم زاد هذا الارتـكام وسار قليلا قليلا وترك مدينة ثادق على شماله وهو يمشى وتتاخمه محلةٌ من تلك المحلات

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٧٦ .

يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة ثادق ، فعزم أهل تلك القرية أن يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة ، فلم يُجْدِ ذلك شيئا ، بل ردم مافيها ، ودَفَنَ القصور والنخيل ، واضطر أهلها إلى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فإذا القصرُ الذى طوله خمس عشرة قامة إلى عشرين قامة ، لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، وإذا النخلة السامقة فى الجو لا ترى منها إلا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فإن هذه القرية قد انطمست تحت الرمال ، وخرج يتبنى ويمشى قليلا قليلا فسلمت منه مدينة ثادق الواقعة فى مفيض العتك مما يلى بلد القصب تقع عن البكرات والغرابة جنوبا ، وقد سلم أهل تلك القرية من الرمال ، ومع هذا فإنك لا تسمع فيها أصواتا كالتى يتحدث الناسُ عنها فى أبرق الحنان ، ولا أشك أنها من الرمال وسقوطِ بعضها على بعض .

* * *

٦١ — وقال النابغة :

لِسُعْدَى بسرع فَالْبُحَارِ مَسَاكِنُ   قفارٌ تعفَّتْهَا شَمَالٌ فَدَاجِنُ

سرع

سرع ـ وقع اختلاف فى هذا اللفظ ، فبينا تجده فى هذه القصيدة فى نسخة ديوان النابغة التى جمعها الشيخ عبد الرحمن سلام بالسين المهملة ، إذا أنت تجده فى مراجع أخرى منها معجم البلدان لياقوت بالشين المعجمة ، وقد وجدنا سرعا بضم السين والراء المهملتين فى كلام ابن مقبل ، وهو من شعراء نجد المشهورين[1] :

قَالَتْ سُلَيْمَى بِبَطْنِ الْقَاعِ مِنْ سُرُعٍ   لا خَيْرَ فى المرءِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ

وأما « شرع » فقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، قال بَشَامة بن الغدير[2] :

لمن الديار عَفَوْنَ بالجزع   بالدَّوْم بين بُحَار فالشِّرْع

وأنت تجد الشرع قد قرن ببحار فى بيت بشامة هذا ، كما قرن به فى بيت النابغة الذى أثرناه وأنا لا أعرف ذلك الموضع بهذا الاسم فى هذا العهد ، إلا أن يكون « الشارعة » التى هى ماءة قريب صفينة .

بحار

أما بحار : فهو وادٍ معروف ، يقسم جبل النير نصفين من غربيه إلى شرقيه ، جميع أودية النير التى تتجه إلى جهة الشرق تصب فى وادى بحار ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهذا اسمه فى الجاهلية والإسلام ، قال النمر بن تولب[3] :

وكأنها دَقَرَى تخيل نبتها   أُنُفٌ يَغُمُّ الضالُ نبْتَ بحارها

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٧٠ (٢) معجم البلدان ٢٥٢/٥ واستشهد له أيضا ببيت النابغة وجعله بالمعجمة . (٣) معجم البلدان ٢ / ٦٤ وما بعدها إلى آخر هذا البحث

الدقرى : الروضة الكثيرة الماء والنَّدَى ، وقال النابغة الجعدى فى يوم شعب جبلة وهذا الوادى ليس بالبعيد عن جبلة :

ونحن حَبَسْنَا الحىَّ عبسا وعامرا ... بحَسَّان وابْنِ الجون إذ قيل أقبلا[1]

وقد صعدت عن ذى بحار نساؤهم ... كإصعادِ نَسْرٍ لا يرومون منزلا

عَطَفْنَا لهم عَطْفَ الضَّرُوس فصادفوا ... من الهَضْبة الحمراء عِزًّا ومعقلا

يعنى بالهضبة الحمراء شعب جَبَلة ، وهو معدود من بلاد بنى عامر بن صَعْصعة ، وتختص به بنو عمرو بن كلاب ، قال شاعر منهم :

عَفَا ذو بحار من أميمةَ فالهَضْبُ ... وأقفر إلا أن يُلِمَّ به الركب

وقال بشر بن أبى خازم :

لليلى على بعد المزار تذكُّرُ ... ومن دون ليلى ذو بحار فمنور

منور فى قول بشر بن أبى خازم إما أن يكون قد عنى به النير ، وألجأته الضرورة ، أو يكون جبلا يقال له « منور » وقد درس ذكره اليوم ، وبحار الواقع فى عالية نجد جميعُ سيوله تأتى مع الوادى الذى يقال له « طينان » المعترض فى طريق نجد بين مكة والرياض ، بين جبيلات ذريع وماءة القاعية ، وهناك فى بلاد بنى سُلَيم جبل يقال له « بُحَار » وهو الذى يقول فيه البريق الهذلى :

وَمَرَّ على القرائن من بُحَارٍ ... فكاد الوَبْلُ لا يُبْقى بُحَارا

وهناك بين بلاد بنى سليم و بلاد غطفان هضبات يقال لهن « القرائن » إلى هذا العهد ، وأما الواقع فى جبل النير فهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد .

* * *

٦٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّ حُدُوجَهَا فِى الآلِ ظُهْرًا ... إِذَا أَفْرَغْنَ مِنْ نَشَزٍ سَفِينُ

أَوِ النَّخَلاَتُ مِنْ جَبَّارِ قَرْحٍ ... تُرَبِّبُهُنَّ يَعْبُوبٌ مَعِينُ

قَطَنَّ الدَّارَ نَمْفَ عُرَيْتِنَاتٍ ... فَجِزْعِ أَرِيكَ فَانْتَقَلَ القَطِينُ

قرح قرح :[2] هو موضع فى سِيف القطيف من ديار هجر يقال له « القراح » وهو الذى قال فيه جرير :

ظعائن لم يَدِنَّ مع النصارى ... ولم يدرين ما سَمَكُ القُرَاح

---

(١) فى معجم البلدان « بحسان وأبى الجون » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٠

فمن كان من أهل تلك الناحية يقال له « قُرَاحِيٌّ » كما قال أبو عمرو فى قول الشاعر :

* وأنت قُرَاحى بسِيفِ الـكواظم *

وتلك الناحية معروفة بجودة النخل ، وقد سمعت فى بيت النابغة الذى يقوله فى صفة النخلة :
* بُزَاخية ألوت بليف كأنها * وقد مررنا على هذا البيت فى كتابنا هذا ، وأوردنا الشواهد على بُزَاخة ، وأعرف موضعا فى بلاد العرب فى جبل اليمامة مما يلى وادى سدير يتفرع منه واديان : أما أحدهما فهو وادى المشقر ، الذى يصب سيلُه عند المجمعة وقراها و بلد حرمة ، وهذه الناحيةُ معروفة بجَوْدة النخل أيضا ، وأما الوادى الثانى فإنه يصب عند بلد الحريق ، و يتجه إلى بلد القصب ، و يشرب من هذا الوادى نخيلُ البلدين وزروعُهما ، وفروع الواديين يقال لها « المقرح » وأما لفظة القراح فكثير فى بلاد العرب وفى جهة بغداد ، وأما القراح المذكور فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد

عريتنات

أما عريتنات فقد مضى الـكلام عليها فى كتابنا هذا .

* * *

٦٣ — وقال النابغة :

رَبَاعِيَةٌ أَضَرَّ بِهَا رَبَاعُ بِذَاتِ الْجِزْعِ مِسْحَاجٌ شَنُونُ
تَرَبَّعَتِ الشُّهَاقَ فَجَانِبَيْهِ وَلَاقَاهَا مِنَ الصِّمَانِ عُونُ
نَهَزْنَ الْبَقْلَ بِالْقِيعَانِ حَتَّى تَعَالَى النَّبْتُ وَالْتَقَتِ الْبُطُونُ

شهاق

شهاق : موضع ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، ولم أره فى أشعار العرب إلا فى هذا البيت من كلام النابغة ، ولـكنك تجده قرنه بالصمان ، فلا بد أن يكون من الصمان أو من نواحيه فأما الصمان فقد مضى الـكلام عليه .

* * *

٦٤ — وقال النابغة :

وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادٌ لِـكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مُبِينُ
حَلَفْتُ بِمَا تَسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا عَلَى التَّأْوِيبِ يَعْصِمُهَا الدَّرِينُ
بِرَبِّ الرَّاكِضَاتِ بِـكُلِّ سَهْبٍ بِشُعْثِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَا الْحَجُونُ

الحجون

الْحَجُون : هو الجبل المعروف فى أعلى مكة ، لايزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى يقول فيه مُضَاض بن عمرو الْجُرْهمى :

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفَا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
بَلَى نحنُ كنَّا أهلَهَا فأزالنا صروفُ الليالى والْجُدُودُ العواثر

وهذا الجبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، و به اليوم ثَنِية يسلك فيها السائر بين المعابدة وجرول ، وتقع مقابر أهل مكة القديمةُ والحديثة فى منتصف هذا الطريق .

انتهى بنا القول على المواضع الواقعة فى شعر النابغة الذبيانى ونأخذ ، بعده ــ إن شاء الله ــ فى القول على المواضع الواقعة فى قصيدة عَبيد بن الأبرص المعدودة فى جملة المعلقات ، نسأله تعالى أن يسددنا فى القول والعمل ؛ إنه ولى ذلك .

١٠

عَبِيدُ بنُ الأَبْرَصِ الأَسَدِيُّ

عبيد بن الأبرص

هو عَبيد بن الأبرصُ ، ينتهى نسبُه إلى أسد بن خُزَيمة ، وهو من فحول شعراء مضر فى الجاهلية ، واشتهر بعدم إقامته وزنَ الشعرِ حتى قال أبو العلاء المعرى فى إحدى لزومياته :

وقد يُخْطِىء الرأىَ امرؤ وَهْوَ حازِمٌ　　كما اخْتلَّ فى وَزْنِ القَرِيض عَبِيدُ

وقد هلك عَبيد بن الأبرص فى سنة ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ من الميلاد) وسنورد فى هذا المكان من كتابنا المواضِعَ التى وردت فى قصيدته المعتبرة عند بعض العلماء من المُعَلَّقَات .

* * *

١ — قال عَبيد بن الأبرص :

أَقفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ　　فالقُطَّبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

فَرَاكِسٌ فَثُعَيْلِبَاتٌ　　فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالقَلِيبُ

فَعَرْدَةٌ فَقَفَا حِبِرٍّ　　لَيْسَ بِهَا مِنْهُمُ عَرِيبُ

وَبُدِّلَتْ مِنْهُمُ وُحُوشاً　　وغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخُطُوبُ

ملحوب

ملحوب : معروف فى الجاهلية بهذا الاسم ، ومعروف موقعه ، وقد أكثر الشعراء من ذكره منهم لبيد بن ربيعة العامرى حين قال : * وصاحب ملحوب فجعنا بموته ـ إلخ * وقد ذكرنا هذا الشطر فيما مضى ، وصاحبُ ملحوب الذى أشار إليه لبيد هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد مات بملحوب .

وقال عامر بن عمرو الحصنى ثم المكارى[1] :

بسهلة دار غيرتها الأعاصِرُ　　تَرَاوحُهَا والغادياتُ البواكر

قطار وأرواح فأضحت كأنها　　صحائفُ يتلوها بمَلْحُوبَ وابِرُ

وأقفرت العَبْلاء والرسُّ منهم　　وأوحش منهم يثقب فقراقر

قال فى معجم البلدان[1] : قال الكلبى عن الشرقى : سمى ملحوب ومليحيب بابنى تريم ابن مَهْيع بن عَرْدَم بن طَسْم ، فأما تلك الأسماء فقد تغيرت ودرست وليس لها اليوم ذكر .

أما ملحوب فهو يعرف اليوم بمكحول ، ومليحيب يعرف اليوم بالعظيم ـ بصيغة التصغير ـ وهما فى بلاد بنى أسد ، أما مكحول فهو مَنهل عظيم كثير الماء ، والعُظَيم : جبيل على سطح وادٍ

(١) معجم البلدان ١٤٨/٨ ، وفيه « والعاديات البواتر » تحريف ما أثبتناه .

به منهل ، وقد تحول الاسمُ اليومَ لهذا المنهل ، و بين المنهلين أقل من نصف يوم ، يقعان فى شرقى سميراء ، على مسافة أكثر من يوم ، وجبل حبش المعروف بهذا الاسم واقع بين سميراء ومكحول ، وهذه من مناهل بنى أسد ، متصلٌ بعضُها ببعض : العظيم ، ومكحول ، والجرثمى وهو المنهل الذى ذكره زهير بن أبى سُلمى فى قوله :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحمَّلْن بالعلياء من فوق جرثم

القطبيات

القطبيات : ذكر أهل اللغة وأصحابُ المعاجم [١] أن القطبيات ، أو القطبية ، فى جبل سُوَاج أو قريب منه ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، ولكنى أعرف فى عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمر يقال لها : « الحصيات » وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفى يقال لها : « الربقيات » فهذا الذى أعرفه مقاربا للفظ القطبيات .

الذنوب

أما الذنوب فهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى جبيلات صغار يقال لها « الذنائب » وهى متفرقة قريب ست أكات ، جمعُها الذنائب ، ومفردها الذنوب ، والذنيبة والذنيِّبة مصغرها ، قال صاحب معجم البلدان على ذكر الذنائب : هى جمع [٢] أذْنِبة ، وأذنبة : جمع ذَنُوب ، وهى الدَّلو الملأى ماء ، وقيل : القريبة من الملأى ، وهى ثلاث هضبات بنجد ، قال : وهى عن يسار فلجة للمصعد إلى مكة ، وفى شرح قول كثير :

أمن آل ليلى دِمْنَة بالذَّنائب إلى الميث من ريعان ذات المَطارب

الذنائب : فى أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة ، والمطارب : الطرق الصغار .

يَلُوح بأطراف الأجدة رسْمُها بذى سَلَمٍ أطلالها كالمذواهب

ذو سلم : واد ينحدر على الذنائب ، وبها قبر كُلَيب بن وائل ، قال مهلهل أخوه يرثيه :

أليلتَنَا بذى حُسُم أنيرى إذا أنت انقضَيْت فلا تحُورى
فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير
فلو نبشَ المقابرُ عن كليب فيخبر بالذنائب أىُّ زير
بيوم الشعثمين أقرَّ عينا وكيف لقاء مَنْ تحت القبور
وأنى قد تركت بواردات بُجيرا فى دَم مثل العبير
فلولا الريح أسمع أهلَ حجر صليلَ البيض تُقْرَع بالذكور

وقال أبو زياد : الذنائب من الحمى حمى ضَرِية فى غربى الحمى ، والله أعلم .

---

(١) انظر معجم البلدان ٧/١٧١ فلم يزد على أنه اسم جبل (٢) معجم البلدان ٤/١٩٧

وقال بشر بن أبي خازم :

أي المنازل بعد الحيِّ تَعْتَرِف   أم هل صباك وقد حكمت مُطرف
كأنها بعد عهد العاهدين بها   بين الذَّنوب وحَزْمى واهب صُحُف

أما حزما واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، بين الذَّنوب و بين الخرب والاساسة وعندها ملزم ماء يسمى « خفق واهب » وما حوله من السنفين مضاف إليه ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

والذنائب باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، إذا كنت على ماءة الخضارة على الطريق بين مكة والرياض فالتفت على شمالك وأنت مشرق فإنك ترى جبيلات الذنائب هناك ، ينقطع جذيب الخضارة فى جهته الشمالية قريبا منها ، والجذيب هو الذى يسمى اليوم « سمر الخضارة » وهو جبيلات سود متصل بعضها ببعض ، ذكروا فى أوائل القرن الرابع عشر أن امرأة من قبيلة الروقة من ذوى عطية يقال لها « مرساء » وهى من شواعر النبط كانت مسافرة إلى مكة مع قومها للامتيار ، فسمعت مناديا ينادى ، وهو طورًا يقول « لبن ، لبن » وتارة يقول « حليب ، حليب » فنادته وقالت : ما تقول ؟ قال : أبيع حليبا ، فقالت له : أين حليبك ؟ فرفع لها السطل ، فالتفتت إليه وقالت : الحليب ليس فى سَطْلك ، بل الحليب عند خونان بن عقيل[1] فى الدعيكة ، ثم اندفعت تقول أبياتا نبطية منها :

يالى اتنادى باللبن ما لنا فيه   أبا ذكره وإن كنت للدَّرْب غاوى
خشم الينوفى والحوم بارك فيه   وسيحان والبرة وعبلة ملاوى
ووادى الجرير إلى حدر من علاويه   وخشم الذنيبة والجذيب متساوى

الينوفى ، والحوم ، وسيحان ، والبرة ، وعبلة ملاوى : جميعُ هـذه المواضع المذكورة فى الموضع الذى كان يسمى فى الجاهلية المطلى ، ويسمى اليوم العبلة ، و بعضها فى حمى سجا الذى حماه صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود لمواشيه فأما الذنيبة فهى التى كنا فى ذكرها ، والجذيب هو جذيب الخضارة ، ووادى الجرير معروف عند عامة أهل نجد ، وقد مضى الكلام عليه ، وهو الذى كان يقال له فى الجاهلية « الجريب » وهو أعظم واد من الأودية التى تصب فى الرمة ، قالت العرب على لسان الرمة[2] :

---

(١) خونان بن عقيل من رؤساء عتيبة من الدعاجين ، صاحب إبل كثيرة ، والدعيكة موضع صالح لرعى الإبل فى حمى سجا ، النهل المعروف فى عالية نجد ، يقع فى نصف الطريق بين مكة والرياض .

(٢) انظر معجم البلدان ٣/٩١

كل بنيي فإنه يحسيني ... إلا الجريب إنه يرويني

وهو من أصلح البلاد لرعى الإبل ، قال الشاعر :

سيكفيك بعد الله يا أم عاصم ... مجاليح مثل الهضب مصبورة صبرا
عوادِنُ من حمض الجريب ، وتارة ... تعاتب منه خلةً جارةٌ جارا

وقال عمرو بن شاس الكندى :

قلت لهم إن الجريب وراكسا ... به إبلى ترعى المرار رِتاع

وقال المهدى بن الملوح :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت ... وجدت لريّاها على كبدى بردا
على كبدٍ قد كاد يُبْدِى بها الجوى ... نُدُوبًا ، و بعض القوم يحسبنى جَلْدَا

أما سيول الذنائب وما حولها فأما ما كان منها يتجه إلى جهة الشرق فإنه يصبُّ فى وادى الجريب المعروف بوادى الجرير اليوم ، وما كان منها يتجه إلى جهة الغرب فإن سيوله تجتمع حتى تصب فى الشعبة التى تتجه إلى المدينة ، وقد مضى الكلام عليها .

ووادى الجريب من أصْلح بلاد الله لرعى الإبل ، و يقتتل عنده قبائلُ العرب من أجل الكلأ وقد قتل فى ذلك الوادى من رؤساء عتيبة عدد كثير : منهم تركى بن حميد أكبر رئيس فى عتيبة فى زمانه ، قتله الشريّف أحَدُ بنى عبد الله بن غَطَفان ، ثم من بعده ابنُ عمه سلطانُ بنهندى بن حميد وهو من أكبر الرؤساء فى زمانه ، وقتل فى ذلك الوادى زايد بن محيا رئيس الحناتيش من الروقة ، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا ، وقتل فى ذلك الوادى أيضاً شليل بن نجم ، ومارق الضيط قتلته حرب ، وهو رئيس العضيان من الروقة ، وغزا بعد ذلك ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثأر أبيه فألحقته حرب بأبيه ، وقتل فى ذلك الوادى جدى بن زريّبة قتله دواس أحد الغيادين ، وهم بطن من حرب ، وقد وقعت على أثر هذه القتلة حروب كثيرة . وأما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون فى هذا الوادى.

راكس

راكس : سِناف متصل به أبرق فى أسفل وادى بلغة قريب الجبل المشهور الذى يقال له عاج ، وهو فى بلاد غطفان ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا .

ثعيلبات

ثعيلبات ، لا يزال معروفا إلى اليوم ، وقد صار اسمه « الثعيلبى » وهو من مناهل الجبلين أجأ وسلمى أو قريب منهما ، وهو غير الثعلبية التى فى طريق حاج البصرة ، وفى ثعيلبات يقول بعض شعراء الجاهلية [1] :

---

(١) معجم البلدان ١٦/٣

أجـدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدانَ ناجيـةً ذَمُولا
ولا متلاقيا والشمس طَفْلٌ ببعض نواشغ الوادى حمولا

ذات فرقين — ذات فِرْقَين : هو جبل له رأسان ، إذا كنتَ فى « نفى » تراه بعينك ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وعامة أهل نجد يعرفونه باسم « فرقين » قال شاعر نبطى :

الركايب وطن فرقين والغضى مـدهله حرمه
عقبـكم يا مقر الزين عروة القلب منصرمه

القليب — القليب : قد مضى الكلام على هذا الموضع ، وهو معروف بهضب القليب ، وعَبيد ترك كلمة الهضب للضرورة واكتفى بالقليب ، وهو معروف مقابل لطرف كشب الشمالى .

عردة — عردة : باقية بهذا الاسم ، إلا أنها أبدلت هاؤها نونا ، فيعرف هذا الموضع اليوم عند عامة أهل نجد بعردان ، وهو أبرق بين ظلم وأجله ، و به حجارة ورمال ، وهو الذى يقول فيه طهمان[1]

صعلا تذكر بالسفاء وعَرْدة غلس الظلام فآبهن رئالا
يا و يح ما يفرى كأنَّ هو يَّهُ مريخ أعسر أفرط الإرسالا

وقال عبد بن معرض الأسدى :

لمن طلل بعردة لا يبيد خَلاَ ومضى له زمن بعيد

والسفاء الذى قرنه طهمان بعردة هو « سفوات » المعروفة اليومَ بهذا الاسم ، وسفوات وعردان معروفان عند عامة أهل نجد بهذين الاسمين اليوم ، وهما فى شمالى المطلى ، ومن حدود حمى سجا ، فى الجهة الغربية منه .

قفا حبر — قفا حبر : حبر : جبل أسود معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع فى عالية نجد فى الجهة الشمالية منها ، إذا خرجت من ماء الدفينة قاصداً عفيفاً ، وكنت بين ماءة الدفينة وماءة الخضارة ، وأنت إلى ماءة الدفينة أقرب ، فالتفت صَوْبَ يمينك فإنك ترى رأس عردان الذى ذكره عَبيد فى معلقته باسم «عردة» ثم التفت صوب شمالك فإنك ترى رأس حبر، وأنت فى مكان واحد ، والموضعان متقابلان ، و بينهما الطريق النجدى النافذ من مكة إلى الرياض ، وحبر كما قلنا لم يتغير اسمه إلى هذا اليوم من العهد الجاهلى ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال القعقسى وهو يرثى أخاه بدرا[2]

ألا قاتل الله الأحاديث والمُنَى وطيرا جرت بين السعافات والحبر

---

(١) معجم البلدان ٦ / ١٤٢ (٢) معجم البلدان ٣ / ٢٠٨ والذى فى شعر المرار بكسر الحاء وسكون الباء ، والذى فى بيت ابن مقبل بكسرتين فراء مشددة كالذى فى بيت عبيد وجعلهما ياقوت موضعين

وقاتل تثريب العيافة بعد ما زجرتُ فما أغنى اعتيافى ولازجرى
وما للقفول بعد بدرٍ بشاشةٌ ولا الحى يأتيهم ولا أوبة السفر
تذكرنى بدرا زعازع لزْبةٍ إذا أعصبت إحدى عَشيَّاتها الغُبْر

وقال ابنُ مقبل :

سَلِ الدارَ من جنبي حِبِرٍ فواهب إلى ما ترى هَضْب القليب المضيح

والمضيح فى قول ابن مقبل « هضب القليب المضيح » معطوف على القليب ، لأن بين المضيح وهضب القليب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة ، والمضيح باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .
والمواضع الذى ذكرها عبيد : حبر ، وعردة ، والذنوب ، والقليب ، هذه يُرَى بعضُها من بعض ، وهى باقية إلى هذا العهد بما ذكرنا من الأسماء ، وملحوب ، وراكس ، وذات فرقين : لا يبعد بعضها عن بعض ، وأما القطبيات فلا أعلم موقعها .

* * *

٣ — وقال عَبيد بن الأبرص :

أَخْلَفَ ما بازلاً سَدُوسُهَا لاَحِقَّةٌ هِى وَلاَ نَيُوبُ
عَيْرَانَةٌ مُؤْجَدٌ فَقَارُهَا كَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيبُ
كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرِ غَابٍ جَوْنٌ بِصَفْحَتِهِ نُدُوبُ(١)

إلى أن قال :

كَأَنَّهَا لِقْوَةٌ طَلُوبٌ تَخِرُّ فِي وَكْرِهَا الْقُلُوبُ
بَاتَتْ عَلَى إرمٍ عَذُوباً كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

غاب : لا أعرف موضعا فى بلاد العرب يقال له غاب ، ولكنى أعرف موضعا يقال له «الغابة» وهو موضع تجتمع فيه سيول وادى القصب ووادى الحريق المجاورين لجبل طويق . غاب

إرم : هو ـ كما ذكره عبيد ـ مَرْقَب فى رأس جبل ، وكل مرقب يقال له « إرم » وليس بموضع مخصوص . إرم

---

(١) رواية التبريزى « كأنها من حمير عانات » والعانات : جمع عانة ، وهى الجماعة من حمر الوحش ، وذكر الرواية الأخرى « من حمير غاب » ثم قال : «وغاب مكان» . والجون : الأبيض ، وهو الأسود أيضاً ، ضد ، والندوب : جمع ندب ـ بالفتح ـ وهو الجرح .

القسم الثـــانى

من الـكتاب

في ذكر أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين

١ — قال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأمه :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتَاجِ ... وَقَدْ تَكُونُ قَدِيمًا فِي بَنِي نَاجِ

إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا ... مَنْ بِالْخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ

وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حُرُسٌ ... وَلَا تُكَفَّفُ قُبْطِيًّا بِدِيبَاجِ (١)

تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ ... مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ

فرتاج — أما فِرْتَاج الذى ذكره عمرو بن كلثوم فكأنى أراه ، هضبات بها ماء يقال لها « فرتاج » إلى هذا العهد : فرتاج ، والغيار ، والقعساء ، جميعُ هذه الهضبات بها مياه ، وهى من هضبات سميراء لا تبعد عنها أكثر من نصف يوم ، وفرتاج فى الجهة الغربية منها ، قال زيد الخيل الطائى (٢) :

فلو أن نَصْرًا أصلحت ذاتَ بينها ... لَضَحَّتْ رويداً عن مطالبها عمرو

ولكن نصراً أدمنت وتخاذلَتْ ... وقالوا : عَمَرْنَا من محبتنا القفر

فإن تمنعوا فرتاجَ فالغمرَ منهم ... فإن لهم ما بين جرثم والغمر

وفى كلام زيد الخيل وهو مخضرم ذكر فرتاج والغمر وجرثم الذى ذكره زهير ، وهذه المواضع الثلاثة يرى بعضها من بعض : فرتاج ، والغيار ، والجرثمى ، وقال الراعى النميرى يذكر فرتاجا (٣) :

ما زال يفتح أبوابا ويُغلقها ... دونى وأفتح بابا بعد إرتاج

حتى أضاء سراجٌ دونَهُ بقر ... حورُ العيون مِلَاح طَرْفُها ساج

يكشرن للهو واللذات عن بَرَد ... تكشُّفَ البرق عن ذى لجة داج

كأنما نظرت دونى بأعينها ... عِينُ الصَّريمة أو غزلانُ فِرْتَاج

وقال رجل من عُذْرة :

بِفِرْتَاجَ من أرض الحليفين أرَّقَتْ ... جَنُوبٌ ولا لاح السِّماك ولا النَّسْرُ

ومن دون مَسْرَاها الذى طرقت به ... شماريخُ من ريّان يَرْوَى بها الغمر (٤)

وهذا الشاعر العذرى ذكر فرتاجا والغيار وكان يسمى الغمر فى الزمن القديم .

* * *

---

(١) هذه رواية ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦ ووقع فى بعض الأصول :

* كما تلفف قبطى بديباح *

(٢) معجم البلدان ٦/٣٥٤ وفيه فى ثالثها « ما بين جرثم فالغفر » (٣) المعجم فى الموضع نفسه

(٤) فى معجم البلدان « الغفر » وفسره فقال « الغفر : ولد الأروية ، والجمع غفرة وأغفار »

٢ — وقال لَبِيدُ بن ربيعة العامرى [1] :

لِهِنْدٍ بِأَعْلَى ذِي الْأَغَرِّ رُسُومُ ... إِلَى أُحُدٍ كَأَنَّهُنَّ وُشُومُ
فَوَقْفٍ فَسُلَّيٍّ فَأَكْنَافِ ضَلْفَعٍ ... تَرَبَّعُ فِيهِ تَارَةً وَتُقِيمُ
بِمَا قَدْ تَحُلُّ الْوَادِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... زَنَانِيرُ مِنْهَا مَسْكَنٌ فَتَدُومُ

فى هذه الأبيات الثلاثة أربعة مواضع كلها باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، وهى : سلىّ ، وضلفع ، وزنانير ، وتدوم .

زنانير — أما زنانير فهى هَضَبات على وادى رنية فى المنتصف بين رنية وجرش الذى يقال له اليوم « أبا الُجرشى » يقع وادى رنية بينهن .

سلى — فأما سلى فهو جبل أسود ، ليس بالكبير ، على ضفة وادى رنية ، على جانبه الجنوبى مما يلى موضعا يقال له « الخرقان » مزارع ، وهو حد المعمور من رنية من جهة الشرق ، وجبلُ سلى مجاور لذلك الموضع ، ووادى رنية يأتى بينهما : الخرقان على ضفته الشمالية ، وسلى على ضفته الجنوبية وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ضلفع — وضلفع : جبل يقع فى الجهة الجنوبية من جبل سلى ، على مسافة نصف يوم ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يمر به السالك من نَجْد إلى بيشة ، وضلفع هذا فى الجهة اليمانية من نجد ، وهو غير ضلفع الذى ذكره متمم بن نويرة وهو يرثى أخاه مالكا حين قال [2] :

أقول وقد طار السنا فى ربابه ... وغيث يسُحُّ الماء حتى تَرَبَّعا
سقى الله أرضا حَلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهَابَ الغَوَادى المُدْجنات فأمْرَعَا
وآثر سيل الواديين بديمة ... ترشح وَسْمِيًّا من النَّبْتِ خِرْوَعَا
فمنعرج الأجناب من حول شارع ... فروَّى جنابَ القريتين فضلفعا
تحيته منى وإن كان نائيا ... وأمسى تراباً فوقه الأرضُ بَلْقَعَا

أما ضلفع الذى ذكره متمم بن نويرة فهو الموضع الذى فى أعلى القَصيم ، يقال له فى هذا العهد « الضلفعة » وذلك لأن مالك بن نويرة قتل فى البِطاح ، والبطاح من أودية الرس ، ودُفن فى وادى الضلفعة المعروف بهذا الاسم اليوم ، ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها وما اختلف ، وضلفع الذى ذكره لبيد فى شعره هو الذى يقول فيه

---

(١) البيتان الأولان فى معجم البلدان ١١٨/٥ وفى ٥٣٠/٨ ، وثالثها وحده فيه ٣٧٢/٢ ، وثلاثتها مجتمعة فى ٤٠٦/٤ (٢) معجم البلدان ٤٣٩/٥

جامع بن عمرو بن مُرْخية (١) :

بَدَتْ لى وللتيمى صهوة ضلفع ... على بعدها مثل الحصان المحجل

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد فى تلك الناحية .

تدوم

أما تدوم فهو جبل مُغْبر الجنبات ، ليس بالكبير ، يقع فى الجهة الجنوبية من رنية ، على مسافة ساعة ، وهو الذى يقول فيه الراعى وقد غضب عليه مروان بن الحكم وتوعده ، فذهب إلى بلاد قومه ، وقال :

خُبِّرت أن الفتى مَرْوَان يُوعِدُنى ... فاسْتَبْقِ بعضَ وعيدى أيها الرجلُ

وفى تدومَ إذا اغبرَّتْ مناكبُه ... ودارة الكور عن مروان مُعْتزَلُ

سألت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم قاضى رنية فى سنة ١٣٦٦ هـ عن تدوم ، فقال : والله إنى إذا رأيته أذكر بيت الراعى الذى يقول فيه :

* وفى تَدُوم إذا اغبرت مناكبه ـ البيت *

وأما الكور الذى ذكره الراعى فهو جبل عظيم أسود ، يطل على بلد رنية ، يقع فى غربيها ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادى رنية يقسم هذا الجبل نصفين ، وفيه نخل يقال له الأملح ، فى وادى رنية فى مقسم تلك الجبل ، وهذا المقسم كان يقال له فى الجاهلية ثنية الكور ، وكان به يوم من أيام العرب بين بنى عامر و بين اليمن ، وفى هذه الثنية التى تسمى اليوم الأملح كانت أيام وحروب فى أوائل القرن الرابع عشر بين سبيع بين بريهة و بين الزكور ، والكور يقال له « ضلع الجامعة » والجامعة : بطنٌ من سبيع ، والحروب التى وقعت بين بطنين عظيمين من سبيع : بين بريهة ، وهى التى تسكن جبل الكور والأملح ، والزكور ، وهم سكان رنية ، و بين الموضعين أقل من مسافة نصف يوم ، وأنا أعرف فى بلاد العرب أربعةَ جبالٍ تعد من الجبال السود ، وكل جبل فى ضفته الشرقية بلد : أحدها أبان الأسود ، وهو الشمالى من أبانين ، فى ضفته الشرقية « النبهانية » وبها قصور ونخيل ومزارع ، وثانيها جبل شعبى ، فى شرقيه مسكة وضرية ، وهو جبل الحمى المشهور ، وثالثها جبل شهلان ، وفى ضفته الشرقية الشعراء ، وهى ذات قصور ومزارع ونخيل حديثة ، ورابعها جبل الكور الذى مر ذكره ، وفى ضفته الشرقية رنية ذات قصور ونخيل ومزارع . وهى لعقيل بن عامر ، وربما أن سبيع بطن من عقيل .

* * *

(١) المعجم ٥/٤٣٩ أيضا

٣ — وقال الحطيئة ، وهو شاعر مخضرم [١] :

أقاموا بها حتى أبنت ديارهم   عَلَى غَيْرِ دِينٍ ضَارِبٍ بِجِرَانِ
عَوَابِسَ بَيْنَ الطَّلْحِ يرجمن بالقَنَا   خُرُوجَ الظباء مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

قطان

قطان : وادٍ عظيمٌ كثير الظباء ، سيلُه يأتى من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، أعلاه مُتَاخم نبريم الواقع فى شرق حضن ، ومتاخم لجبيلات الرحى ، يقطعه طريق السيارات بين ركبة وقصر نمويه ، يصب سيلُه فى الأرض السبخة التى تلى دغيبجة المَنهلِ المعروف فى جبل كشب ، وقد حسن الحطيئة فى ذكره الظباء ؛ فإن وادى قِطان من أعلاه إلى أسفله مجمع للظباء ، ولايزال معروفا باسم قطان إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال الأعشى [٢] :

لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّى رَسْمُهَا   بِالْغُرَابَاتِ فَأَعْلَى العَرَمَهْ

العَرَمَة ، والغُرَابات : معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، قال رؤبة الراجز [٢] :

* وعارض العرق وأعناق العَرَم *

الغرابات

الغرابات : هى جبيلات صغار سود فى العتك ، بين القصب وثادق ، عند ما ينقسم جبل اليمامة هناك .

العرمة

وأما العرمة : فهو جبل عظيم طرفُه الجنوبى مما يلى السهباء ، وفيه منهلٌ وسيعٍ ، ومنهل أبى جفان ، ومناهل كثيرة : منها رماح وغيره ، ورماح هذا هو الذى يقول فيه جرير :

يذكرنى فؤادى من هواه   ظعائن يجتزعن على رماح

وطرف العرمة الشمالى ينعقد فى جبل مجزل ، وقد قال صاحب معجم البلدان عن مجزل : هو جبل أو روضة ، ولكنى أعرف أنه جبلٌ ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥ — وقال الحارث بن عمرو الفزارى [٣] :

فَحَزْمُ قُطَيَّاتٍ إِذِ البَالُ صَالِحٌ   فَكَبْشَة مَعْرُوف فغولاً فقادِمَا

قُطَيات : قد مضى الكلام عليها ، وغول كذلك .

كبشة

وأما كبشة فهو اسم لواحد من كبشات ، وكبشات ثلاثة أجْبُل سود عظام ، إذا أفردت

(١) معجم البلدان ٧/١٢٠   (٢) معجم البلدان ٦/١٥٧ و ٢٧٢   (٣) معجم البلدان ٧/٢١٣

أحدها قلت كبشة ، وإذا جمعت يقال لها كبشات ، وهي باقيه على أسمائها إلى هذا العهد ، وهي لم تدخل في حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودخلت في حمى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال الأصمعي : كبشات جبال في الحمى : كبشة بنى جعفر ، وكبشة لقيطة ، وهي لغنى ، وكبشة الضباب ، وهي حدود حمى عثمان ، بينها وبين بلد ضرية مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس .

* * *

٦ — وقال الحطيئة لما حبسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه [1] :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ ... زُغْبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ فداك جميع الناس يَا عُمَرُ

مرخ: الموضع المشهور عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الزلفى ، قريب روضة السبلة وقريب نفوف الضويحي ، وادٍ عظيم يقال له « مرخ » وهو الذي ذكره أبو وجزة في قوله :

واحتلّت الجوّ فالأجزاع من مرخ ... فما لها من ملاحاة ولا طلب

وبين المدينة وفدك واد عظيم يقال له « مرخ » وظني أن هذا الوادي الحجازي هو الذي عناه الحطيئة ؛ لأنه سجن في المدينة ، وربما كانت فراخه قريبا منه .

* * *

٧ — وقال عروة بن الورد العبسي [2] :

سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ مَحَلُّ سَلْمَى ... إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ ... وَأَهْلُكَ بَيْنَ إِمَّرَةٍ وَكِيرِ

ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ آلِ وَهْبٍ ... مَحَلَّ الْحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ

إمرة: إِمَّرَة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، جبيل صغير ، كانت به أبارق ، بين أبانين وخزاز

كير: وجبل كِير معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، من أجبلة المخامر ، بين الشبيكية والرس ، لا يزال يطلق عليه جميعُ الناس اسمَ « كير » .

* * *

٨ — وقال أبو زياد الكلابي [3] :

---

(١) المعجم ٨/٢٠ (٢) المعجم ٧/٣٠٥ و ٨/٣١١ (٣) معجم البلدان ٨/٤٩٤

أَرَاكَ إلى كُثْبَانِ يَبْرِينَ صَبَّةً وَهٰذَا لَعَمْرِى لَوْ قَنَعْتِ كَثِيبُ
وَإِنَّ الكَثِيبَ الفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الحِمَى إِلَىَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ

يبرين

يبرين : منهل كثير المياه ، به عيون ونخيل ، باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فى شرقى الدهناء مما يلى الخرج ، فى الجهة الشرقية الجنوبية من الخرج ، وهو الذى يقول فيه جرير :

لما تذكرت بالديرين أرّقني صوتُ الدجاج وضَرْبٌ بالنواقيس
فَقُلْتُ للركب إذ جَدَّ الرحيلُ بنا يا بُعْدَ يَبْرِين من باب الفراديس

وهو من مياه بنى تميم فى الجاهلية ، ويسكنه الآن آل مرة .

* * *

٩ — وقال القحيف العقيلي (١) :

أَلَا يَا حَمَامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُرَيْفِقٍ سَقَتْكَ الغَوَادِى مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شِعْبِ
سَقَتْكَ الغَوَادِى رُبَّ جَوْدٍ غَزِيرَةٍ أَصَاخَتْ لِخَفْضٍ مِنْ غِنَائِكَ أَوْ نَصْبِ
فَإِنْ يَرْتَحِلْ صَحْبِى بِجُثْمَانِ أَعْظُمِى يُقِمْ قَلْبِيَ المَحْزُونُ فِى مَنْزِلِ الرَّكْبِ

مريفق

مريفق : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء عذب ، بل هو أعذب المياه التى فى جهته ، فى شمالى الزيدى مما يلى الصخة ، وعليه شجرة أراك عظيمة ، معروفة بحسن المساويك ، وقد وردتُ ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة .

* * *

١٠ — وقال أبو ذؤيب الهُذَلى (٢) :

لَعَمْرُكَ مَا عَيْنَاءُ تَنْسَأُ شَادِنًا يَعِنُّ لَهَا بِالجِزْعِ مِنْ نَخِبِ النَّجْلِ

نخب

نخب : وادٍ من أودية الطائف ، وهو من الأودية العظام ، يقع جنوبيَّ الطائف ، على طريق الحجاز ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأبو ذُؤَيب الهُذَلى من شعراء تلك الناحية ، وقال شاعر من ثقيف :

حَتَّى سمعتُ بكم ودعْتُمُ نخبا ما كان هذا بحين النفر من نخب

وهذا الوادى المسمى نخبا فيه أحجار لم أر مثلها ، كبيرة الحجم جداً ، حتى إنك لترى الحجر منفردا ، وترى الحجر عليه حجر ثانٍ لا يقدر أن يضعه فوقه مئات من الناس ، وعليه حجر ثالث مثله ، رأيت جملة من الأحجار على هذه الصفة ، وهو بين وادى الطائف ووادى ليّة ، وهو لقوم

(١) معجم البلدان ٨/٤٢ غير منسوبة (٢) المعجم ٨/٢٧٣ واللسان (ن خ ب)

يقال لهم وقدان ، هم أهله فى هذا العهد ، وهم من العرب ، لكنهم ليسوا من ثقيف ولا من عتيبة على ما ظهر لى .

* * *

١١ — وقال عَبْدَةُ بن الطبيب ، وهو تميمى النسب وأسلم[1] :

كأنَّ ابنةَ الزَّيْدِى يوم لقيتُهَا ... هنيدة مكْحُولُ المدامِعِ مُرْشِق

تُرَاعِى خذُولاً ينفض المَرْدَ شَادِنا ... تَنُوشُ من الضَّالِ القذاف وتعلق

وقلتُ لها يومًا بِوَادِى مُبَايِض ... ألا كُلُّ عَانٍ غير عَانِيك يُعْتَقُ

يُصادف يومًا من مَلِيكٍ سماحةً ... فيأخذ عرض المال أو يَتَصَدَّقُ

وذكَّرَنيها بعد ما قد نَسيتها ... ديارٌ علاها وابلٌ مُتَبَعِّقُ

بأكناف شَمَّاتٍ كأنَّ رُسُومها ... قَضِيمُ مَنَاعٍ فى أديمٍ مُنَمَّقِ

مبايض

مُبَايِض : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب بين تميم وبكر ، وكانت بنو بكر قد لجأت إلى وادى مبايض فتألبت بنو تميم فجاءت إلى بنى بكر، ورئيس بنى حنظلة أبو الجدعاء ، ورئيس بنى سعد بن زيد مناة فدكى ، ورئيس بنى العنبر طريف ، ورئيس بنى بكر هانى بن مسعود الشيبانى ، فالتقوا فى وادى مبايض ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وقتل طريف وهو فارس تميم على الإطلاق ، قتله حميصة بن جندل الشيبانى .

ومبايض فى جبل مجزل مما يلى شمالى العرمة ، يقع شرقى وادى سدير ، سكنته فى هذا العهد الأخير قبيلتان من بريه : بطن من مطير ، وهم الهوامل والعفسة .

* * *

١٢ — قال شاعر من بنى إنسان بن عتوارة[2] :

أتتنا بنو نصر تَزُخُّ وطابها ... وخرفانها مسمومة للتَّزَوُّدِ

إذا ما برئتم من بَرِيم وأهله ... فردوا عكاظيا بكم للتَّصَمُّدِ

فإنى أرى أنَّ المَخَاض أصابها ... بنى عامرٍ أهل التهدِّى وتهمد

سرت من جنون الليل عَزْفًا فأصبحت ... بشعفين يا هذا بإدلاج أعْبُدِ

وقال ابن مُقبل :

تأمل خليلى هل ترى ضوء بارق ... يمانٍ مَرَتْهُ ريحُ نجدٍ ففتَّرا

(١) انظر معجم البلدان ٧/٣٧٩ (٢) انظرها وأبيات ابن مقبل فى معجم البلدان ٥/٢٧٥

مرته الصَّبا بالغَوْرِ غور تِهَامةٍ فلما دنت منهن شَعْفَين أمطرا

أما بريم فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد يقع شرق جبل حَضَن . بريم

وأما شَعْفان فهما جبيلان صغيران فى قطعة من الأرض تسمى اليوم عند عامة أهل نجد «الحزم» واقعة بين المويه والحرمة ، وهما مختلفا الألوان ، يقال لأحدهما «شعف الأسود» ويقال للثانى «شعف الأعفر» والعفار : البياض ، والمسافة بينهما للسائر على قدميه ثلاث ساعات ، أحدهما مقابل الآخر ، الأسمر مما يلى مغرب الشمس ، والأعفر مما يلى مطلعها ، وأما المثل السائر عند العرب إلى هذا العهد «لكن بشعفين كنت جدودا» فقد قال فى معجم البلدان : إن أصل هذا المثل أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين وقد أنحى عليها الزمان فأتى بها أهله ورباها ، حتى إذا سمنت وبطنت بطرت ، فرآها يوما وهى تقول لجوارٍ كن يلاعبنها وقد قامت على أربع «احلبونى فإنى خَلِفة» فقال لها عروة «لكن بشعفين كنت جدودا» يضرب مثلا لمن نشأ فى ضر ثم ترفع عنه فبطر ، والجدود : هى التى انقطع لبنها ، وهذه لغة باقية إلى الآن ، وقد غلط صاحب معجم البلدان فى قوله «إن شعفين أكمتان بالسى» والصحيح أنهما أكمتان بالحزم ، وأما السى فهو القطعة من الأرض الواقعة بين جبل كشب ووادى العقيق والذى فيه جبل نسيان . شعفان

* * *

١٣ — وقال شاعر جاهلى اسمه عوف بن الخرع أحد بنى الرباب [(١)] :

أمن آل سَلْمَى عرفتَ الديارا بجنب الشقيق خلاءً قفارا

وقفت بها أُصُلاً ما تبين لسائلها القول إلا سرارا

وقال ابن مقبل :

فخياض ذى بقر ، فخزم شقيقة قَفْر ، وقد يغنين غير قفار

الشقيق : جمع شقيقة ، وهو كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين ، وتسميها عامة اهل نجد اليوم «الخبة» وأعرف موضعاً فى بلاد العرب باقياً بهذا الاسم الذى مر ذكره . الشقيق

الشقيقة : قطعة من الرمال واقعة بين عنيزة والمذنب ، تقع فى غربيهما ، يحدها شمالا وادى الرمة ، ويحدها جنوبا الخرما وخريمان التى تجتمع بها سيول أودية نجد الوسطى . الشقيقة

قال نصر بن زياد العقيلى :

مَرَّتْ حمولُهمُ سفحى شبيرمة والشمسُ طالعةٌ والقلبُ مشتغلُ

قال فى معجم البلدان : الشبيرمة كأنها تصغير شبرمة ضرب من النبات ، وهو ماء للضباب

---

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٨٤

بالحمى حمى ضرية ، وأقول : شبيرمة فى خارج حدود الحمى الجنوبية .

١٤ — وقال حيان بن جبلة المحاربى ، وهو شاعر جاهلى :

أَلاَ إِنَّ جِيرَانَ العَشِيَّةِ رَائِحُ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ من هوًى وَمَنَادِحُ
فَسَارُوا الغَيْثِ فِيهِ اغى وغُرَّبٌ فَذُو بَقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

أغى وغرب : جبال قريب بعضها من بعض ، فى عالية نجد ، لاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد

غرب — أما غرب فهى جبيلات سود فى طرف أجبلة الحمار فى جنوبيها مما يلى عرق سبيع .

أغى — وأما أغى فيقال لها فى هذا العهد « بنى غى » وهى سنفان بين الحمرة والسواد ، بين غرب وعرق سبيع ، تقع فى جهة مطلع الشمس من غرب .

ذو بقر — أما ذو بقر ، وشابة : فقد مضى الكلام عليهما .

الذرائح — والذرائح : لا أعلمها بهذا الاسم فى هذا العهد .

* * *

١٥ — وقال شاعر ، وأنشده أبو النَّدَى [١] :

وَرِثْتَ جَرِيراً يَوْمَ أَذْرِعَةِ الْهَوَى وَبُصْرَى وَقَادَتْكَ الرِّيَاحُ الْجَنَائِبُ
سَقَى اللهُ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيِّفٍ وَخُصَّ بِهَا أَشْرَافُهَا فَالْجَوَانِبُ
إِلَى أَجَلَي فَالْمَطْلِيَيْنِ فَرَاهِصٍ هُنَاكَ الْهَوَى لَو أَنَّ شَيْئًا يُقَارِبُ

أجلى — أما أجلى : فهى معروفة ، وقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، إذا قطعت وادى الخضارة متجهاً إلى عنيف ثم أتيت وادى الثعل ، فانظر على شمالك تجدها ، ويقال لها فى هذا العهد «أجلة»

المطليان — والمطليان : موضع الحمى اليوم حمى سجا والعبلة ، تقع جنوبيه ، فإن أفرد أحدهما بلفظة المطلى فهى تكنى للحمى أو العبلة .

راهص — وأما راهص : فهو باق بهذا الاسم ، هضبات متصل بعضها ببعض، يقال لها الآن «الرواهص» تقع بين جبل المردمة وجبل العلم ، معروفة عند عامة أهل نجد .

* * *

١٦ — وقال الراعى النميرى [٢] :

يُشَوِّقُهَا تَرْعِيَّةٌ ذُو عَبَاءَةٍ بِمَا بَيْنَ نَقْبٍ فَالْحَبِيسِ فَأَفْرَعَا [٢]

نقب — قال ياقوت فى معجمه : هذا نقب ضاحك ، طريقٌ يصعد فى عارض اليمامة . قال المصنف :

---

(١) معجم البلدان ٤/٢١٦ (٢) المعجم ٨/٣٠٧

أنا أعرف هذا النقب ، طريقٌ بين مدينة ثادق البلد المعروفة من مدن اليمامة و بين بلد عودة سدير ، وهى طرف قرى سدير الجنوبية ، يقال لهذا الطريق اليوم «ثنية ضاحك» جميعُ أهل تلك الناحية لا يزالون يعرفونه بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٧ — وقال طهمان بن عمرو الكلابى [١] :

لَقَدْ سَرَّنِى مَاجَرَّفَ السَّيْلُ هَانِئًا وَمَا لَقِيَتْ مِنْ حَدِّ سَيْفِى أَنَامِلُهْ

وَمَتْرَكُهُ بِالْبَرَّتَيْنِ مُجَدَّلاً تَنُوحُ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَحَلَائِلُهْ

البرتان

البرتان : جبيلان صغيران فى حد حمى سجا الجنوبى ، يقال لكل واحد منهما البرة ، وهما معروفان عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان عندها يوم من أيام العرب بين بنى عامر و بنى أسد ، وكانت النصرة فيه لبنى عامر ، وقال مُطَيَر بن الأشيم الأسدى يرثى قرة وعلقمة ابنى عمه :

أحَقًّا أن قرة لا أراهُ فما أنا بَعْدَه بقريرِ عَيْنِ

وعلقمة الذى قد كان عزى وإن حَفلَ المجالسُ كان زَيْنى

إذا قال الخليل تَعَزَّ عنهم ذكرتُ رئيس يوم البُرَّتَيْنِ

ألا لاخُلْدَ بعدَ كما ، ولكن ضُحاء الورد بينكما و بينى

قال صاحب معجم البلدان : البرتان جبيلان بالمطلى أرض لبنى أبى بكر بن كلاب ، وهى مختلطة فيها ، وقال أيضاً فى معجم البلدان : والبرتان هضبتان حمراوان مقترنتان بأعلى خنثل ، هذه العبارات قريبة من الصواب ، أما قوله « بأعلى خنثل » فإنهما ليستا بأعلى خنثل ، ولكنهما قريبتان منه ، وقال أيضاً فى اشتقاق الأسماء : كأن هذا الموضع يبر أهله بالخصب والربيع ، وهذه عبارة جيدة ، فإن تلك الناحية من أخصب أرض الله وأمْرَاهَا لرعى الإبل،وأما البرتان اللتان ذكرها يحيى بن طالب الحنفى فى أشعاره فهى البرة الواقعة فى اليمامة ، وهى التى يقول فيها يحيى بن طالب الحنفى [٢] :

خليلَىَّ عُوجا بارك الله فيكما على البَرَّة العَلْيا صدورَ الركائب

وقولا إذا ما نَوَّه القوم للقِرَى ألا فى سبيل الله يحيى بنُ طالبِ

وكلتا البرتين ــ البرة التى فى المَطَلَى بالقرب من سَجَا ، والبرة التى فى اليمامة ــ باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . وعندها بلد يقال لها « رغبة » كما أن عند البره التى فى حمى سجاجبل يقال له رغبة .

* * *

(١) معجم البلدان ١٠٨/٢ (٢) المعجم ١٥٨/٢

١٨ — وقال الراعي النُّمَيْري [١] :

فَلَنْ تَشْرَبِي إِلَّا بِرِيقٍ وَلَنْ تَرَىْ سَوَامًا وَحِسًّا بِالْقَصِيبَةِ وَالْبِشْر

وقالت وَجيهة بنت أوس الضَّبية :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي

فَمَالِيَ إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ الْقَصِيبَةِ مِنْ ذَنْبِ

القصيبة

قال ياقوت [٢] : قال ابن أبي حفصة : القُصَيبة من أرض اليمامة لبني امرىء القيس

وقال ياقوت [٣] في موضع آخر : القصبات من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد أيام مسيلمة .

قال المصنف : هي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مدينة من ملحقات وَشْم اليمامة يقال لها القصب إلى هذا العهد أغلبُ إنتاجها البر ، موقعها بين الكثيب والعتك .

* * *

١٩ — وقال سرية الفزاري ، وقالوا : إنها لابن مَيَّادة [٤]

يَاصَاحِبَ الرَّحْلِ تَوَطَّأْ وَاكْتَفِلْ وَاحْذَرْ بِدَغْنَانَ مَجَانِينَ الْإِبِلْ

كُلَّ مُطَارٍ طَامِحِ الطَّرْفِ رَهِلْ أَلْزَمَهَا الرَّاعِي صِرَارًا لَايُحَلْ

أي : فرزها حتى سمنت ، وقال شاعر كلابي :

مِنَ الْأَعْنُزِ اللَّائِي رَعَيْنَ مُحَرَّمًا وَدَغْنَانَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِنَّ قَانِصُ

دغنان

دَغْنَان : هو ركن من أركان النير الجنوبية ، جبال متصل بعضُها ببعض ، تسمى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها دغانين ، ودغنون ، ودُغَيْنَان ، كل هذه الأسماء تطلق عليها ، وهي مشرعة في الحمى ، والحمىُّ هو الأرض الواقعة بين المصلوب والمردمة .

* * *

٢٠ — وقال لَبيد بن ربيعة العامري [٥] :

فَصلَقْنَا فِي مُرَادٍ صَلْقَةً وَصُدَاءٍ أَلْحَقَتْهُمْ بِالشَّلَلْ

لَيْلَةَ الْمُرْقُوبِ حَتَّى عَامرت جَعْفَرًا تدعى وَرَهْطَ ابْنِ شَكَلْ

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِلِسَانِي وَبَيَانِي وَجَدَلْ

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مثل مَقَامِي وَزَحَلْ

---

(١) المعجم ٨/١١٥ (٢) المعجم ٨/١١٥ (٣) المعجم ٨/٩٥ (٤) المعجم ٤/٦٣ (٥) المعجم ٦/١٥٥

العرقوب

العرقوب : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، متاخم لدغنون الذى تقدم ذكره ، لا يفصل بينهما غير أرض الحِمى ، دغنون فى جهة الحمى الشمالية ، والعرقوب فى جهة الحمى الجنوبية الشرقية وكان به يوم من أيام العرب بين بنى عامر و بين اليمن ، وهو الذى يقول فيه معاوية المرادى :

لقد علم الحَيَّانِ كعبٌ وعامر　　وحَيَّا كلابٍ جَعْفَرٌ وعبيدُها

بأنا لَدَى العرقوب لم نسأم الْوَغَى　　وقد قلعت تحت السروج لُبُودُهَا

تركنا لدى العرقوب والخيلُ عُكَّفٌ　　أَسَاوِدَ قتلَيْ لم توسَّد خدودُهَا

ورُحْنَا وفينا أُبنا طُفَيل بغلةٍ　　بنا قُرَّحيٌّ عاد فَلاًّ شريدُها

العرقوب : جمعه عراقيب ، وهى واقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من ماءة المصلوب التى كانت تسمى فى الجاهلية المسلوق ، وقد كان بها اليوم المذكور من أيام العرب ، وقد وقع فيه فى الربع الأول من القرن الرابع عشر يومٌ بين العرب المتأخرين بين علوى و بنى عبد الله بن غَطَفان ، أما علوى فكان رؤساؤهم فى هذا اليوم : بدر بن محمد الدويش ، ووطبان الدويش ، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتيبة ، وكان بنو بدير قاطنين على ماءة المصلوب ، ورئيسهم محمد بن حوكة وأخوه سالم بن حوكة ، فعزم الغزاة المفلسون على أخذ غنم ذوى بدير ، وكلهم قبيلة واحدة ، ولا تُحِلُّ لهم تقاليدُ البدو أن يغيروا عليهم فى حال السلم ؛ لأنهم يد واحدة ، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد ، فأغاروا عليهم ، وأخذوا الأغنام ، وثار عليهم بنو عبد الله بن غَطَفان ، وهم من ذوى بدير ، على ماءة المصلوب ، فلحقوهم ، فكانت المعركة عظيمة ، واسترجعوا أغنامهم ، فصمموا على أخذ ركابهم ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرَسَان: فرس تحت بدر بن محمد الدويش، والثانية تحت مشارى بن بصّيص رئيس الصعران بطنٍ من مطير ، فلما رأى الدوشان ومَنْ معهم أنهم قد أُدركوا دخلوا على مشارى ابن بصيص وسألوه أن يمنعهم من ذوى بدير ولو أنهم معتدون عليهم ؛ لأن صنعهم هذا يسىء إلى ما بين قبائلهم ، فرجع مشارى بن بصيص ، واجتمع برؤساء القوم محمد بن حوكة وأخيه سالم فَطَال الجدال بينهم ، فانتهى الأمر بقبول وساطته للكف عنهم ، وقد حدثنى رجل من ذوى بدير يقال له الحميدى البديرى كان حاضراً تلك الوقعة قال : لما اختلفنا فى الغنائم والعقائر من الإبل ، وكان منا رجل يقال له عتيق من الذين عُرفوا بإصابة المرمى ، فسمع الرمى ، واعترض للمنهزمين ومعه بندقيته من الصمع ، فلما اختلفوا عند العقائر من جيش الأعداء قال : ما أدركه مضرب السهم منها فى ملكث العرقوب من يمين فهو لى ، وما أدركه مضرب السهم فى غير هذا الموضع فلا أنازعكم فيه قال : فوجدنا ما أصابه السهم منها فى الموضع الذى ذكره خمس عشرة ناقة ، ذلك لأنه معروف

بجودة الرمى عند قبيلته وعند كثير من أهل نجد،فأخذها ، والعرقوب والعراقيب يكون إذا خرجت من ماء المصلوب قاصداً مكة على شمالك من حين تمشى من الماء حتى تصل الحى ، أبارق وأحجار منعقد بعضها ببعض .

* * *

٢١ — وقال طهمان بن عمرو الدارمى[١] :

ألا يا اسْلَمَا بالبئر من أم واصلٍ ... ومن أم جبر أيُّها الطَّلَلانِ
وهل يَعلم الرَّبْعَان يأتى عليهما ... صباحَ مَسَاءِ نائبُ الحَدَثَانِ
ألَا هَزِئَتْ منى بنجران إذ رَأَتْ ... عثاريَ فى الكَبْلَيْن أمُّ أبانِ
كأن لم ترى قبلى أسيراً مكبَّلا ... ولا رجُلاً يُرْمى به الرَّجَوَانِ
عذرتُكِ يا عينى الصحيحة والبكى ... فما لَكِ ياعوراء والهملانِ
كفى حَزَناً أنى تطاللتُ كي أرى ... ذُرَى قُلتى دَمْخ كما تَرَيانِ
كأنهما والآل يَجرِى عليهما ... من البعد عَيْنَا برقعٍ خَلَقانِ
ألا حبذا والله لو تعلمانه ... ظلالُكما يا أيها العَلَمانِ
وماؤُكما العَذْبُ الذى لووردتُه ... وبى نافضُ الحمَّى إذًا لَشَفَانِي
وإنِّىَ والعبسىَّ فى أرض مذحج ... غريبانِ شتَّي الدارِ مختلفانِ
غريبان مَجْفُوّانِ أكثَرُ همِّنا ... وجيفُ مطايانا بكل مكانِ

دمخ : جبل عظيم فى عالية نجد الجنوبية ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال شاعر من بنى كلاب :

أمغترباً أصبحتُ فى رامَهُرْمُز ؟ ... نعم كل نجديٍ هناك غريبُ
فياليت شعرى هل أبيتنَّ مُصْعِدًا ... ودَمْخٌ لأعضاد المطى جَنيبُ

وقد أكثرت الشعراء من ذكره ، وهو متاخم لجبل ثهلان ، ولونه كلونه .

* * *

٢٢ — قال ساعدة بن جؤيَّة الهُذَلى[٢] :

أَخِيلُ بَرْقًا مَتَى حَابٍ له زَجَلٌ ... إذا يفتِّرُ عن تَوْمَاضِهِ حَلَجَا

(١) المعجم ٤ / ٧١ (٢) المعجم ٥ / ٢٩٦ وديوان الهذليين ٢/٢٠٩ .

مُسْتَأْرِضاً بين بطن اللَّيْثِ أيْمَنُهُ ... إلى شَمَنْصِيرَ غَيْثًا مرسلا مَعِجَا

الليث : موضع معروف على ساحل البحر بين مكة والقنفدة ، مرسى لأهل تلك الناحية ، وهو لبنى حسن بطن من أشراف تهامة ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الليث

أما شمنصير فهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، منقطع من جبال كشب الغربية يبعد عنها مسافة نصف يوم ، أقرب ما يليه من الأودية المعمورة وادى رهاط ، له ذروة شاهقة لايستطيع أحد أن يرتقيها ، وفيه نبات لايوجد فى جبال الحجاز كالنَّبْع والغَرْب والشَّوْحَط وهذا الجبل هو الذى ذكره أبو صخر الهُذَلى فى قوله من قصيدته التى رثى بها ابنه تليدا :

شمنصير

وذ كَّرنى بُكَاىَ على تليد ... حمامة مرَّجاوبَتِ الحَمَامَا

ترجِّعُ منطقاً عجبا وأوفت ... كنائحة أتَتْ نوحاً قياما

تنادى ساق حُرٍّ ظَلْتُ أدعو ... تليداً لايُبِينُ به الكلاما

لعلك هالك إما غلامٌ ... تبوأمن شَمَنْصِيرٍ مقاما

ويلى شمنصير جبال ، هى عمدان والعرضاء ، قال شاعر من الروقة نبطى :

اسال عمدان والعرضا واسالك ياشمنصير ... وسال عدن عليه الورد يسقى كل لجرا

اسالهم عن ابكار ما عليها الا البوا كير ... غدت نهار التفرق بين بدوان وحضرا

البوا كير : وسوم للابل كية بالنار ، ولا أعلم أن بوا كير بهذا المعنى تستعملها أعراب تلك الناحية غير قبيلة الهمارقة من سكان الحجاز ، ومياههم العقيق ، ويرجعون فى النسب إلى قبيلة المقطة قبيلة ابن حميد ، والعد الذى ذكره هو رهاط الذى يجاور شمنصير ، وشمنصير تعرفه عامة أهل نجد .

* * *

٢٣ — وقال شاعر من بنى كلاب [١]

وَمَا أُمُّ طفلٍ قد تَجَمَّمَ رَوْقُهُ ... تُفَرِّى به طَلْحًا وسدراً تناسقُهْ

بأَسْفَلِ غُلاَّن العفيفِ مَقِيلُهَا ... أراكٌ وسدرٌ قد تخضر وَارِقُهْ

عفيف : هو المنهل المعروف على طريق السيارات إلى مكة ، بين الدفينة والقاعية ، عمر فى هذا العهد الأخير ، وأقيم به بلد ، وكثرت به القصور والدكاكين ، وبه مركز للحكومة فيه أمير وقاض ، وتصلى فيه الجمعة ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

عفيف

* * *

(١) المعجم ٦/١٩٠

٢٤ — وقال البريق الهذلى [1] :

سَقَى الرحمنُ حَزْمَ يُنَابِعات ٍ … من الجوزاء أنواءً غِزَارَا

بِمُرْتجِزٍ كأنَّ على ذُرَاهُ … رِكابَ الشأم يحملن البَهَارَا

يحطُّ العُصْمَ من أكناف شِعْرٍ … ولم يترك بذى سَلْعٍ حِمَارَا

شعر

شعر : جبل أسودململم طويل ، إذا خرجتَ من ماءة عفيف قاصداً الرياض،وسرت بالسيارة ثلث ساعة انعرَجَ طريق على شمالك ، وهو طريق القصيم ، سالكُ هذا الطريق يمر بشعر ، وبه بئر يقال لها الأشعرية فى وسط هذا الجبل ، تقف عنده السيارات ، إذا انعرج الطريقُ المذكور فالتفِتْ على شمالك فإنك ترى شعرا ، ليس حوله جبال مثله ، أسود طويل ململم،يبعد عن الطريق المذكور مسافة نصف يوم للابل حاملة الأثقال ، ولكنى لست على ثقة أن البريق عناه ، وأغلب ظنى أنه قصد جبل شعر الواقع غربى كشب ، ولا يزال يقال له شعر إلى اليوم ، تعرفه عامة أهل نجد ، وهو فى المنتصف بين كشب وجبال الحجاز ، وأما شعر المتقدم ذكره فهو الذى يقول فيه ذو الرمة :

أقول وشعر والعرائس بيننا … وسُمْرُ الذرى من هضب ناصفة الحمر

والعرائس : هضبات ثلاث حمر مُتَاخمات اشعر فى جهته الشرقية ، تبعد عنه أقل من نصف يوم ، تعرف بالعرائس إلى هذا العهد ، قال الخطيم العكلى :

وهل أرينْ بين الحفيرة والحِمَى … حمى النير يوماً أو بأكثبة الشعر

والذى يدل على أن الخطيم قصد شعرا المذكور أنه متاخم للنير ، قال غسان بن ذهل السليطى [2] :

تُسَائلنى جنباء أين عشارها … فقلت لها تعل عَثْرَةَ ناعِس

إذا هى حَلَّت بين عَمْرو ومالك … وسعد أُجيرت بالرماح المَدَاعِسِ

وهان عليها ما يقول ابنُ دَيْسَقٍ … إذا نزلت بين اللّوى والعَرَائس

اللوى : هو طرف عريق الدسم لأنه مُتَاخم للعرائس وشعر ، والعرائس هى الهَضَبات المذكورة آنفا ، متاخمة لشعر المذكور ، وشعر به يوم من أيام العرب بين بنى عامر وغَطَفان ، عَطِش فى ذلك اليوم غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فخشى أن يؤخذ فخَنَق نفسه فسمى ذلك اليوم « يوم التخانق » .

* * *

(١) المعجم ٥/٢٧٤ (٢) المعجم ٦/١٣٦ ، وذكر خلافا فى نسبة هذه الأبيات .

٢٥ — وقال ذو الجوشن الضبابي[1] :

أمسى بكودَ أثالٌ لا بَرَاحَ له   بعد اللقاء ، وأمس خائفًا وَجِلاَ

كود

هذا الموضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي ، وهي هضبة حمراء يقال لها في هـذا العهد « الـكودة » وهي هضبة شاهقة ، وهي التي يقول فيها الراجز :

* مثل عَمُود الـكود ، لا ، بل أعظما * وهي معروفة عند عامة أهل نجد بهضبة الـكودة . لم يتغير اسمها إلى هذا العهد ، لا تبعد عن هضبات العرائس أكثر من ساعتين ، وشعر والعرائس والـكودة متصلٌ بعضُها ببعض .

* * *

٢٦ — وقال عدى بن الرقاع العاملي[2] :

فَذَرْذا ، ولـكن هل تَرَى ضَوْء بارق   وَميضًا ترى منه على بُعْده لمْعًا

تَصَعَّدَ في ذات الأرانب مَوْهِنًا   إذا هَزَّ رعْدًا خِلْتَ في وَدْقِهِ شفعا

ذات الأرانب

ذات الأرانب : على اسمها إلى اليوم لم تتغير إلا قليلا فإنها تعرف اليوم باسم « أرينبة » وهي هضبات صغار قريبَ العرائس المذكورة ، وهي أصغر منظراً من الهضبات التي مر ذكرها ، إذا خرجت من مَنْهل عفيف سائراً نحو الشرق ، وكنت في أودية أبقار ، فالْتَفِتْ على شمالك فإنك ترى جبل شعر ، وإذا خرجت من أبقار وهبطت وادي المعلق فالتفت على شمالك فإنك ترى الـكودة والعرائس وأرينبة : العرائس هضبات حمر شامخة ، والـكودة : هضبة واحدة ، وأرينبة : هضبات صغار ، وهـذه الهضبات المذكورة يطوف عليها الراكب في أقل من نصف يوم ، لا تزال كلها بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميعُها على شمالك وأنت خارج من عفيف .

* * *

٢٧ — وقال سالمُ بن دَارَةَ[3] :

تَرَكَنِي فَرَقُهُ في مَعْلَقِ   أنزل جبل مُرَّة وأرتقي

* عن مرة بن دافع وأتَّقِي *

المعلق

صار اسم هذا الموضع اليوم « المعلَّق » فشددوا لامه ، وابن دارة قصـد في أرجوزته وادي معلق ، وجبل المعلق ، وهذا الوادي إذا أنت قطعت أودية أبقار وجبالَها وأنت قاصد القاعية من عفيف رأيته هنالك ، يقطعه الطريق ، ثم إذا التفتَّ صَوْبَ شمالك رأيت جبيلا ململما شاهقاً إلى

(١) المعجم ٧/٢٩٣   (٢) المعجم ١/١٧٠   (٣) المعجم ٨/٩٩

السماء يقال له جبل المعلق .

* * *

٢٨ — وقال نصيب[1] :

وَقَدْ كان فى أيامنا فى سُوَيْقَةٍ ولَيْلاَتِنا بالجزْعِ ذِى الطَّلح مَذْهَبُ

إذ العيشُ لم يمْرُر علينا، ولم يَحُلْ بنا بَعْدَ حينٍ ورْدُه المتقلبُ

وقال ذو الرمة :

أقول بذى الأرْطى عشية أتْلَعَتْ إلىّ نبا سِرْبُ الظباء الخواذل

لأدْمَانَةٍ من بين وَحْش سُوَيقة وبين الطوال العُفْر ذات السلاسل

أرى فيك يا خرقاء من ظبية اللوى مَشَابهَ من حيث اعتلاق الحبائل

سويقة

سويقة : هضبة معروفة تقع جنوبى جبال حليت ، معروفة بهذا الاسم عند عامة أهل نجد ، وكانت بها وقعة من وقعات بكر وتغلب ، وهى التى قال فيها مهلهل :

غَدَاةَ كأنَّنَا وبنى أبينا بجَنْب سُوَيقة رَحيًا مُدِيرِ[2]

وقال كثير :

لعمرى لقد رُعْتم غَدَاةَ سُوَيقة ببينكمُ ياعزَّ حَقَّ جَزُوعِ

وقال ابن هَرْمة :

عفت دَارُهَا بالبُرْقتين فأصبحت سُوَيقة منها أقفرت فنظيمُهَا

وقالت تماضر بنت مسعود أخى ذو الرمة :

لعمرى لجو من جِواء سُوَيقة أو الرمل قد جرَّتْ عليه سيولُهَا

أحبُّ إلينا من جداول قَرْية تعوض من رَوْض الفلاة فسيلُها

ألا ليت شعرى لاحُبِست بقَرْية بقيةَ عمرٍ قد أتاها سبيلُها

وقالت تماضر أيضاً :

لعمرى لأصوات المَكَاكِىِّ بالضحى وصوت صَبًا فى مجمع الرِّمْثِ والرمل

وصَوْت شَمَال هَيَّجت بسُوَيقة ألاءً وأسباطا وأرطًى من الحبل

أحَبُّ إلينا من صياح دَجَاجة وديكٍ وصوت الريح فى سَعَف النخل

وكانت تماضر بنت مسعود قد تزوجت فى مصرٍ من الأمصار فحنت إلى وطنها فقالت هذا الشعر

---

(١) المعجم ٥/١٨٠ وكل ما ذكر معه من الشواهد .

(٢) هكذا وقع فى ٥ / ١٨٠ من المعجم ، وورد فى ٦ / ٢٣٤ « بجنب عنيزة »

وقال الغطمّش الضبي :

لعمرى لجوٌّ من جواء سُوَيقة   أسافلُه ميثٌ وأعلاه أجرع
أحبُّ إلينا أن نُجَاور أهلَها   ويصبح منا وَهْو مرأى ومَسْمَع
من الجَوْسق المَلْعون بالرىّ لا يَنِى   على رأسه داعى المَنية يَلْمَعُ

قد أطلنا الكلام على سويقة ، ففى بلاد العرب التى أعرفها مواضع كثيرة بهذا الاسم : الأول سويقة ، جُبَيْلٌ فى جنوبى الحمار الواقع فى عالية نجد . والموضع الثانى : سويقة ، جُبَيْلٌ فى وسط العبلة بين سجا ووادى خنثل ، الموضع الثالث : جُبَيل فى غربى الحناكية يقال له سويقة ، وعنده موضع يقال له النظمان فى هذا العهد ، وهذه المواضع هى التى عناها ابن هَرْمة حين قال :

* سويقة ونظيمها * والموضع الرابع هو الذى ذكرنا أنه فى طرف حليت الجنوبى ، وأنه هضبة طويلة يقال لها « سويقة » منقطعة من جبل حليت ، لكن جبل حليت أسود كأنه غُرَاب ، وتلك الهضبة لونُها أشقر بين الُحمْرة والسواد ، وهناك هضبات تقع جنوبى ضَرِية على مسافة أقل من نصف يوم ، يقال لها « النظيم » وفى شرق الدهناء كثيب أحمر مما يلى حُزْوى موضع يقال له سويقة ، وهو الذى عناه ذو الرمة ، وتماضر ابنة أخيه ، وهو الذى عناه الغطمش الضبى ، وهناك موضعان بين شقرا وثرمداء ، قصران يزرعان يقال لأحدهما « سويقة » وللآخر « النظيم » وقرأت على الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى رحمه الله وهو من سكان شقرا وله اليد الطُّولَى فى فن اللغة وأشعار العرب هذا البيت بيتَ إبراهيم بن هَرْمة :

عفت دارُهَا بالبرقتين فأصبحت   سُوَيقة منها أقفرت فنظيمُهَا

فسألته : هل تعلم سُوَيقة والنظيم ؟ فقال : أعلم هذين القصرين سويقة والنظيم الواقعين بين شقرا وثرمداء ، فقلت : إن هذين القصرين حديثان ، فقال : لعل هذه الأسماء قديمة وقد أحدث القصران فى موضعيها ، أو لعلهما بئران جاهليان بُعثا اليوم ، فقلت له : أنا أعلم موضعين فى بلاد العرب يقال لكل منهما سويقة والنظيم ، أما أحدهما فهى الهضبة المجاورة لحليت والنظيم الهضبات المجاورات لضرية ، يقال لها سويقة ، وقريب منها جبيلات بها ماء يقال لها النظمان ، فقال : الآن صح أن ابن هرمة قصد الموضع القريبَ من الحناكية ؛ لأنه شاعر حجازى ، وهناك وطنه .

* * *

٢٩ — وقال جرير [١] :

---

(١) المعجم ٥/٣٥٣

لِمَنْ رَسْمُ دَارٍ هَمَّ أن يتغيَّرَا ... تُرَاوِحُهُ الأرواحِ والقَطْرُ أعصُرَا
وكنا عهِدْنَا الدارَ والدارُ مرةً ... هى الدار إذ حَلَّتْ بها أم يَعْمُرَا
ذكرتُ بها عهداً على الهَجْرِ والبِلَى ... ولا بدَّ للمشْغُوف أن يتذكَّرَا
أجِنَّ الهوى ما أَنسَ لا أَنْسَ موقفاً ... عشيةَ جرعاء الصريف ومنظرَا
تَبَاعَدَ هذا الوصلُ إذ حل أهلُنَا ... بقوٍّ، وحلت بطن عرق فعرعَرَا

الصريف

الصريف : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به قصور تُزْرع ، يقع شرقى مدينة بريدة على مسافة أقل من اليوم ، وكان فى هذا الموضع يوم من أيام العرب فى الجاهلية ، وكان به يوم بين العرب المتأخرين فى أوائل القرن الرابع عشر ، قال الأعشى وقد نسب الخمر إلى هذا [١] :

صريفية طيبٌ طعمُها ... لها زَبَدٌ بين كوزٍ وَدَنْ

ولكنى لا أطمئن إلى أن الأعشى عنى ذلك الموضع ؛ فإن بيع الخمور فى نجد نادر فى الجاهلية ، وظنى أن الأعشى عنى موضعا يقال له صريفون فى سواد العراق على ضفة نهر دجيل إذا أذن بها المؤذن سمعوه فى عكبراء ، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ساعة من نهار ، وظنى أن الأعشى إنما نسب الخمر إليها ؛ لأنه لم يُذْكَر فى كتب اللغة ولا فى المعاجم أن صريفا الواقع فى جهة القَصيم تباع فيه الخمور ، ولأن المعروف عن عرب نجد فى جاهليتها أنهم يستهجنون شرب الخمر والاتجار فيه .

* * *

٣١ — وقال شاعر من الضباب يخاطب بنى جعفر [٢] :

قد علمَتْ مطرَّف خضابُهَا ... تَزِلُّ عن مثل النَّقَا ثيابُهَا
أَن الضِّباب كرمَتْ أَحسابُهَا ... وعلمَتْ طخفة مَنْ أَربابُهَا

طخفة

طِخْفَة : هضبة حمراء شاهقة إلى السماء ، لها رؤوس كثيرة متفرقة ، موقعها بين نفى وضرية تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادى الريَّان الذى ذكره لبيد فى معلقته حين قال :

فمدافع الريَّان عُرِّى رسْمُهَا ... خلقا كما ضمن الوحىَّ سلامُهَا

يأتى سيلُه من جَنبات طِخْفَة أو قريبا منها ، وهو أيضا باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يسير بين طخفة وغَوْل ، قال الأحوص بن عمرو بن قيس بن عتاب :

(١) ذكر ياقوت أن الخمر منسوبة إلى « صريفين » قرية كبيرة غناء بالعراق .

(٢) المعجم ٦ / ٣٢

وقادُوا بكُرْه من شهاب وحاجب رؤوسَ معدٍ بالأزمّة والُخطمِ
علا جدُّهم جدَّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الُحكْمِ

وعلى هذه القصيدة التى منها هذان البيتان أخبار طويلة فى ذكر أبناء الملوك .

وقال ربيعة بن مَقْروم الضبى :

وإذ لقيَتْ عامرٌ بالنسا رِ منهم وطَخْفة يوماً غَشُوما
به شاطَروا الحىَّ أموالَهم هوازنَ ذا وَفْرها والعَديما
وساقت لنامذحجٌ بالكُلاَب مواليَهَا كلَّهَا والصَّميما

وقالت أم موسى الكلابية ، وقد تزوجت بحجر اليمامة :

لله درى أىَّ نظرة ناظر نظرتُ ودونى طِخفة ورجامُهَا
هلِ البابُ مفروج فأنْظُرَ نظرةً بعينىَ أرضا عزَّ عندى مَرامُهَا
فياحبذا الدَّهنا وطيبُ تُرابها وأرض فضاء يصدح الليلَ هامُهَا
ونَصُّ العَذارَى بالعشيَّات والضحى إلى أن بدت وَحْى العيون كلامها

وقال جرير :

بطخفة جالَدْنَا الملوكَ وخيلُنا جَرَين ببسطام بن قيس على نَحْب

وقال جرير أيضاً :

وقد جعلت يوما بطخفة خيلُنا لآل أبى قابوس يوماً مكدَّرا

وفى طخفة يوم من أيام العرب مشهور ، وهو الذى تشير فيه شعراء بنى تميم إلى أسر الملوك ، وفيها يوم بين العرب المتأخرين فى سنة ١٣٤٨ ﻫ بين حرب وعتيبة ، انهزمت فيه العتبان ، وانتصرت فيه حرب .

* * *

٣١ — وقال الأزْوَرُ البجلى [١] :

لقد علمت بَجيلةُ أَنَّ قومى بنى سعدٍ أُولُو حسبٍ كريم
همُ تركُوا سَراة بنى سُلَيم كأن رؤسهم فَلَقُ الهَشيم
بكلِّ مهنّدٍ وبكل عَضْب تركناهُمْ بشُقْرة كالرَّميم
وأُبْنَا قد قتَلنا الخير منهم وآبُوا موتَرِين بلا زعيم

(١) المعجم ٥/٢٨٢

الشقرة

الشُّقرة : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع شمالىّ الحناكية على مسافة يوم ، وادٍ به دَوْم ، و به جبال شُقُر ، سمى ذلك الوادى بشقرة تلك الجبال ، كان به يوم بين بَجيلة و بنى سليم .

قال مصنف هذا الـكتاب : وردتُ هذا الماء ماءَ الشُّقْرة فى رجب سنة ١٣٤١ هجرية ، متجهاً إلى المدينة للاتجار ، وخرجت من بلدى ، وكان طريقى على القَصيم ثم الحائط الذى كان يقال له فى الجاهلية فَدَك ، و بتُّ فى الحويّط ، ثم خرجت من الحويّط صباحا ، و بتنا على مَنْهل يقال له « صفيط » ونحن ثلاثة نفرٍ : المصنف ، وصاحب لى شريك فى البضاعة يقال له عبد الله ابن فاضل ، ومعنا رجل من عوف من قبائل حرب اتخذناه أخا يمنعنا من قبائل حرب ، وهـذه عادة جارية بين قبائل نجد ، إذا أَخَذْتَ رجلا من قبيلة فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة ، وكنا فى ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز التى يبعثها الشَّريف ، وعلينا خطر آخر من السرايا التى يبعثها جلالة الملك لمصادمة ركبان الحجاز أن تعتدى علينا ، وذلك قبل أن يتأكد الأمن ، ثم مشينا من ماء صفيط صباحا ، ودليلُنا الرجلُ الذى من حرب ، وهو يقول : نبيتُ على ماءة الشقرة ، فلما كنا فى المنتصف بين ماءة الشقرة وماءة صفيط وجدنا أثَرَ ركبٍ قد أَجَدُّوا فى الغارة متجهين إلى جهة الحناكية ، على ما ظهر لنا من الأثر ، تبلغ ركابهم مائة ، فتوجسنا الشر ولـكن الله لطيف بعباده ، وعلمنا أن الجيش الذى هذه آثاره يقوده راشد السحيمى أحد بنى حرب ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب ، وهو أجرأ رجل فى الحجاز ، فلما رأونا على بعد ظنوا أنا من سَرَايا جلالة الملك ، فانهزموا إلى الحناكية ، وتحصنوا بها ، فأتينا ماءة الشقرة قبل غروب الشمس ، ونحن خائفون ، ومنعنَا إيقادَ النار ، فسمعنا صوتا فى أعلى الوادى ، فقلت لصاحبى : سأذهب فى سواد الليل الآن وآتيك بخبر هـذا الصوت ، فأخذت بندقيتى وذهبت أتحسس الصوت قليلا قليلا ، حتى قربت منه ، فوجدتها هامةً على حَجَرٍ ، وهى التى تسمى البومة فرجعت إلى صاحبى فقلت له : كأن صدرك ضائق ، قال : كيف أخاف ؟ والله لا يمسنا سوء إن شاء الله ؛ فلما ذهب من الليل ثلثه ركبنا رواحلنا وأدلجنا ليلَتَنا و يومنا وأول ليلتنا الثانية حتى نزلنا « العوالى » فى المدينة على رجل من بنى على يقال له دغيمان بن جعيدان ، وهو رجل شجاع كريم مَهِيب فى قومه : فأقمنا فى المدينة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حُبِست بتهمة أن لى دخلا فى الأمور السياسية ، وأمْرُ الحبس صادر من الحسين شريف مكة ، ولـكن لم يثبت علىّ شىء مما اتهمت به ، وأقوى معين لى على الخروج من الحبس هو الرجل الذى كنت

عنده ضيفا لأن السلطة فى المدينة فى ذلك العهد لقبائل حرب ، وليست للدولة .

* * *

٣٢ — وقال عنترة [١] :

بكلِّ هَتُوفٍ عُجْسُها رَضوِيَّةٍ — وسَهْمٍ كسيرِ الحِمْيَرِى المؤنَّفِ

فإن يكُ عِزٌّ فى قُضاعةَ ثابتٌ — فإنَّ لنا برَحْرَحانَ وأسْقُفِ

كتائبَ شُهْبًا فوق كلِّ كتيبةٍ — لواءٌ كظلِّ الطائرِ المتصرِّفِ

رحرحان . جبل عظيم أسود ، يقع جنوبى الحناكية ، يبعد عنها مسافة نصف يوم، وبه يومان من أيام العرب ، وأشهرهما الثانى ، وهو لبنى عامر بن صَعْصَعة على بنى تميم ، وأسر فيه معبد ابن زُرَارة وأخوه حاجب بن زرارة رئيس تميم ، وكان سببه أن الحارث بن ظالم قتل خالدَ بن جعفر ابن كِلاب ، وهما ضيفان عند النعمان بن المنذر ، ثم هرب الحارثُ بن ظالم فأتى بنى زرارة بن عدس فاستجارهم ، فأجاره معبد بن زُرَارة بن عدس ، فخرج الأحوص بن جعفر ثائرا بأخيه خالدٍ ، فالتقوا برَحْرَحان ، فهزمت بنو تميم ، وقال عوف بن عطية التميمى [٢] :

رحرحان

هلا فوارسَ رَحْرَحَانَ هجوتهم — عشرا تَنَاوَحَ فى سِرارة وادِ

يعنى لقيط بن زرارة وكان قد انهزم عن أخيه معبد وأسر يومئذ ، قال جرير :

أتَنْسَون يَوْمَىْ رحرحانَ كليهما — وقد أشرع القومُ الوشيجَ المؤمَّرا

تركتُمْ بوادى رَحْرحان نساءكم — ويومَ الصفا لاقيتُم الشعبَ أوعرا

سمعتم بنى مجد دعَوْا يالَعامِرٍ — فكنتم نَعاماً فى الجزيرة مُنْفَرا

وأسلمتم لابنى أسيدةَ حاجباً — ولاقى لقيطا حَتْفُهُ فتقطرا

وأسلمتِ القلحاءُ للقوم معبداً — تجاذب مخموسا من القِدِّ أسْمَرَا

ومعبد بن زرارة بقى فى أسره فى يدى بنى عامر لم يفلت ، فمات فى أيديهم ، فعيرت العرب حاجبا وقومه لذلك وقولُ جرير .

تركتم بوادى رحرحان نساءكم — ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

يشير إلى شعب جبلة الذى كان فيه يوم عظيم بين بنى عامر وبنى تميم فانهزمت بنو تميم وقتل لقيط بن زرارة ورحرحان باق بهذا العهد ، لم يتغير ، وهو فى بلاد غطفان وبه يوم ثالث عظيم

الشعب

(١) ديوان عنترة ص ١٠٧ وأراد بالهتوف القوس ، وأصل الهتوف ذات الصوت ، ورضوية: أى منسوبة إلى رضوى ، والسهم المؤنف : الذى قد على استواء .

(٢) معجم ٤/٢٣٩

بين العرب المتأخرين فى أوائل القرن الرابع عشر بين حرب وبنى عبد الله بن غطفان ، وبه يوم متأخر أيضا لكنه أقل من الذى قبله ، وكان فيما بين رحرحان وماء الهميج ، بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبى وبنى عبد الله بن غَطَفان ورئيسُهم جهز بن شرار ، فانهزمت حرب ، وعزوة قبيلة الذوبة « إخوان نوره » قال جهز بن شرار أبياتا نبطية منها :

إخوان نوره شافوا المكرهيه ر كبوا على قب سوات الشياهين [1]
ماذمهم والله رقيب عليّه ومعين الله والقبائل معيّين
خلوك ياقاسم زبون الونيه ياماشعى قطعان بدومنيسين
وخلف ربيع الضيف والآهليه ياريف اهل هجن عن الزاد مبطين
خلوه يوم الملح ينقاد فيه وارخوا جلامدها مع الدومقفين
ماوالموا للعزوة العبدليه هابلهم اليوم الذى من وراتين
وش علم ناهس مالتفت فى خوية هو يحسب اللقوات شل البعارين
جتهم اقصصها كلها بالسوية والخيل مجنونة واهلها مجانين

هذا كلام رئيس من بنى عبد الله جهز بن شرار ، ورئيس حرب فى ذلك اليوم ناهس الذويبى وهو رئيس عام لبنى عمرو بطنٍ من حرب ، أما قاسم الذى يقول فيه الشاعر (خلوك يا قاسم زبون الونية) فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم وصاحب غزوات الجيوش يجرها من جهة إلى جهة أخرى ، وعند أهل نجد اسم حديث للذى يغزو بالجيش يسمونه (عقيد) مشتق من انعقاد أمرهم على يده ، وصادف أن قاسما المذكور نهار المعركة حاضر مع الذويبى ، والذى يقول فيه الشاعر : * وخلف ربيع الضيف والآهلية * هو خلف بن ناحل من رؤساء حرب ، وهو أكرم أهل زمانه ، سئل فاجر الذويبى أبو ناهس المذكور فى بعض المجالس ، قيل له : مَنْ أكرمكم يا حرب ؟ ومن أفرسكم على الخيل ؟ فقال للذى سأله أكرمنا خلف بن ناحل ، وأفرسنا مانع بن مريخان ، فالتفت إليه عبدالله الفرم رئيس بنى على فقال : يافاجر ، كيف تجعل الرجلين من بنى سالم ؟ لو جعلت لنا يا مسروح واحداً منهم إما الكريم وإما الفارس ! فالتفت إليه وقال : والله إنى لأحب الصدق ، لما سألنى الرجل وأنا رجل من مسروح لم أرض الكذب ، وجميع بنى حرب القاطنون فى نجد على بطنين : بنى سالم ، ومسروح ، والبطنان أفخاذ كثيرة ، فلما ظفر جهز بن شرار وقومه بالغنائم وهزموا بنى عمرو أخذوا قاسمَ بن بَرَّاك وخلفَ بن ناحل ، ثم منوا عليهما وبعثوا بهما إلى أقرب قبيلة من حرب .

(١) الشياهين : نوع من الصقور ، فصيحه «الشواهين» ، والقب : الخيل الضامرة البطون .

٣٣ — وقال الشماخ [١] :

وأحمى عليها أبنا يزيدَ بنِ مسهرٍ   ببطنِ المراضِ كلَّ حِسْىٍ وساجر

وقال سلمة بن الخُرْشُب :

وأمسوا خَلاء ما يُفَرِّق بينهم   على كل ماء بين فَيْدَ وساجر

ساجر ساجر : منهل معروف من أودية السر ، يتَّجِهُ سيلُه من الغرب إلى جهة الشرق ، وهو الذى يقول فيه عمارة بن بلال بن جرير :

فإنى لعُكْل ضامن غير مُخْفِر   ولا مكذب أن يَقْرَعوا سنّ نادم

وألاّ يحلوا السر ما دام منهمُ   شريد ، ولا الخثماء ذاتَ المخارم

ولاساجراً أو يطرحوا القوسَ والعَصَى   ولا عدلهم أو يُوطَؤا بالمَنَاسِمِ

ذكر هذا الشاعر السر ، وذات المخارم ، وساجرا ، وكل هذه المواضع باقية على أسمائها إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام على السر فى أبيات لامرىء القيس ، وقد مضى الكلام على ذات المخارم فى أشعار زهير ، وأوضحنا أنها تسمى اليوم «الخرما ، وخريمان» وقال السمهرى اللص:

تمنت سليمى أن أقيم بأرضها   وأنى وسلمى وَيْبَهَا ما تمنَّتِ

ألا ليت شعرى هل أزورَنَّ ساجراً   وقد رَويت ماء الغَوَادى وعَلّتِ

ساجر : منهل معروف فى الجاهلية والإسلام من مناهل السر ، يقع من البرود فى الجهة الغربية الشمالية ، والبرود وساجر يقعان من ماءة خف التى تمر بها السيارات شمالا على مسافة أقل من نصف يوم ، بُعِث ساجر فى العهد الحديث فى أوائل القرن الرابع عشر ، ونزله جماعة من الروقة ، وأغلبهم الحفاة والحناتيش ، وهاجروا إليه ، وتركوا البادية ، وتعلموا القرآن ، وشرائع الإسلام ولكن فيهم جماعة من الغلاة يدعون إلى الاجتهاد ، وأحسن حاصلات هذه البلد التمر ، فإنك لتجد نخلة ساجر ممتازة على جميع النخيل بضخامة المنظر وكثرة التمر .

* * *

٣٤ — وقال لبيد بن ربيعة العامرى [٢] :

فأسرع فيها قبل ذلك حِقْبَةً   رُكَاحُ فجنبا نقدة فالمَغَاسِلُ

هذه الأسماء لم تتغير منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

نقدة أما نقدة فهى روضة كبيرة تسمى اليوم « روضة النقد » سميت بهذا الاسم لأن أغلب نباتها

(١) معجم البلدان ٥/٧ ، وليس فى ديوان الشماخ (٢) معجم البلدان ٤/٢٧٨ وديوان لبيد ٣٠ ليدن

النقد ، وشجرة النقد شجيرة صغيرة ، أصغر من العرفجة وأكبر من القفعاء ، زهرها أصفر يمر بهذه الروضة سالكُ الطريق من مرات إلى مكة فيجدها على يمينه .

للغاسل والمغاسل : أودية ذات غسل ، وهى بلد المصنف من مقاطعة الوشم ، والأودية المذكورة مجاورة لهذه الروضة ، لا تبعد عنها أكثر من ساعة ، ونبات النقد مذكور فى كتب اللغة كالقاموس وغيره.

* * *

٣٥ — وقال لبيد (١) :

أَلَم تَلْمِمِ على الدِّمنِ الخوالى لِسَلْمَى بالمَذَانب فالقَفَال

فَجَنْبَىْ صَوْءَرٍ فنعافِ قوٍّ خَوَالِدِ مَا تَحَدَّث بالزوال

قد مضى الكلام على أكثر هذه المواضع ، إلا المذانب .

المذانب المذانب باقية على اسمها لم تتغير إلا تغيراً بسيطا فإن اسمها الآن « المذنب (٢) » وهو بلد كبير عامر كثير النخيل والمياه ، وهى واقعة بين عنيزة وقرى السر ، تبعد عن عنيزة أقل من مسافة يوم وهى فى الجهة الجنوبية من عنيزة ، وتعد تلك الناحية من قرى القصيم .

* * *

٣٦ — وقال طفيل الغنوى (٣) :

* تَربَّعَتْ ما بين مِذْعا وكَبِدْ *

وقال الراعى :

غَدَا ومِنْ عالجٍ رِكْنُ يُعَارِضه عن اليمين وعن شرقيه كَبَدُ

كبد كبد : جبل فى عالية نجد الجنوبية ، أسود المنظر عليه شهبة ، وبه ماءة مرة يقال لتلك الماءة « ماءة كبد » ويقال لذلك الجبل كبد ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير ، يعد من جبال العبلة التى كان يقال لها فى الجاهلية المطلى .

* * *

٣٧ — وقال النَّمِر بن تَوْلب العُكْلى شاعر جاهلى :

تأبَّدَ من أطلال عَمْرة مأسِلُ وقد أقفرَتْ منها شراء فيَذْبُلُ

---

(١) هما مع ثالث فى المعجم ٧/١٣٤ (٢) ورد المذنب فى شعر لبيد أيضا ، وذلك قوله :

سفها ولو أنى أطيع عواذلى فيما يشرن به بسفح المذنب

(٣) المعجم ٧/٢١٢

فبرقة أرمام فجنبا متالع فوادى سليل فالنَّدِىّ فأنجل
ومنها بأعراض المحاضر دمنة ومنها بوادي المسلهمة منزل

أكثر هذه المواضع قد مضى الكلام عليها فى كتابنا ، ومما لم يجر ذكره أنجل ، والمسلهمة .

أما أنجل فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « الأنجل » واقع فى كثيب السر الممتد من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، والأنجل فى القطعة الجنوبية منه ماءه همج ، وهو صالح للابل ، فى المنتصف بين تبراك و بلد القويعية . أنجل

أما « المسلهمة » فهى باقية بما يقرب من ذلك ، لأنها تغيرت بتقديم بعض حروفها على بعض يقال لها اليوم « السلهمِيّة » وهى بئر جاهلية كثيرة الماء ، بين قرى السر والمذنب ، يراها سالك الطريق الذى مر ذكره بعينه ، أحدث فى هذا العهد الأخير فيها قصر ومزارع . المسلهمة

* * *

٣٨ — وقال عنترة :

طال الثَّوَاء على رُسُوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحَرْمَلِ
فوقفتُ فى عَرَصَاتِهـا متحيِّرا أَسَلُ الديارَ كفعل مَنْ لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أَنِيسها والرامساتُ وكلُّ جونٍ مسبل

ذات الحرمل : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إلا أنه قد زيد عليه ياء النسب فقيل «الحرملية» وهو منهل عظيم فى غربى المروت وشرقى عرض شمام فى واد أغلب نباته حَرْمل . ذات الحرمل

* * *

٣٩ — وقال أوس بن بجير يرثى أباه [1] :

لَعَمْرُ بنى رياح ما أَصابوا بما احتملوا وغيرُهُمُ السقيمُ
بقتلهم امرأً قد أَنزلَتْهُ بنو عمرو وأَوهته الكُلُومُ
فإن كانت رياحاً فاقتلوها وآل بجيلة الثأر المُنِيمُ
فإنهمُ على المَرُّوت قوم ثَوَى برماحهم مَيْتٌ كَرِيمُ

وحدث ابن سلام قال : قال جرير وهو بالكوفة :

لقد قادنى من حُبِّ ماويَّةَ الهوَى وما كنت ألقى للجنيبة أقْوَدَا
أُحِبُّ ثَرَى نجدٍ وبالغَوْر حاجةٌ فغار الهوى يا عَبْدَ قيسٍ وأنجدا

---

(١) المعجم ٨/٣١

أقول له : يا عبدَ قيسٍ صبابَةً   بأيِّ تَرَى مستوقدَ النارِ أوقَدَا

فقال : أراها أرَّثت بوَقودها   بحيثُ استَفاضَ الجزعِ شيحاً وغرْقَدَا

فأعجب أهل الكوفة بهذه الأبيات ، فقال لهم جرير : يا أهل الكوفة ، كأنى بابن القَيْن – يعنى الفرزدق – إذا بلغته هذه الأبيات يقول :

أعِدْ نظَرا يا عَبْدَ قيس لعلما   أضاءت لك النارُ الحمارَ المُقَيَّدَا

فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق ، يقول هذا البيت نفسه و بعده :

حمارٌ بمَرُّوتِ السخامة قاربت   وظيفيهِ حوْلَ البيت حتى تردَّدَا

كُلَيبيةٌ لم يجعلِ اللهُ وَجْهَهَا   كريماً، ولم يَسْنَحْ لها الطيرُ أسْعُدَا

المروت

المَرُّوت : أرض متسعة بين نفود السر وعرض ابنى شمام ، وصفراء السر طرفها الجنوبى محاذٍ أسفلَ وادى القويعية ، وطرفها الشمالى يتصل إلى ماءة خف التى تَقِفُ عليها السياراتُ ، وفى جهتها الواقعة بين الحرملية وماءة الأنجل كان يوم من أيام العرب بين بنى قُشَير و بين بنى يربوع من تميم ، ومعهم قوم من تميم ، فكانت النصرة فى ذلك اليوم لبنى تميم ، وقتل فى ذلك اليوم رئيس بنى قُشَير بحير بن سلمة ، قتله يزيد بن أزهر المازنى ، فقال يزيد بن أزهر الصَّعِق يرثى بحيرا :

أواردة علىَّ بنو رياح   بفخرهم وقد قَتَلُوا بُجَيْرَا

فأجابته العوراء من بنى سليط بن يربوع ، وهى تقول :

قُعَيدَكَ يا يزيدُ أبا قبيس   أتنذر كى تُلاقِينَا النذُورا

وتوضع مجمر الركبان أنا   وُجِدْنا فى مِرَاسِ الحرب خُورَا

ألم تعلم قعيدَكَ يا يزيد   بأنا نقمع الشيخَ الفَجُورا

ونقمع ناظريه ، ولا نبالى   ونَجْعل فوق هامته الدرورا

فأبلغ إن عرَضْتَ بنى كلاب   فإنا نحن أقعصنا بجيرا

وضَرَّجْنَا عبيدَةَ بالعوَالى   فأصبح موثَقًا فينا أسيرا

أفَخْراً فى الخَلاَء بغير فَخْرٍ   وعند الحرب خَوَّارا ضَحُورَا ؟

هذا اليوم الذى مر ذكره فى المَرُّوت من أعظم أيام العرب ، والمروت خالية من الجبال والمعاقل ، إلا جبيل واحد متاخم لماءة الحرملية التى مر ذكرها وهى واقعة فى أعلى المروت ، وهذا الجبل يقال له « سوفة » لا يزال يعرف بهذا الاسم الذى أطلق عليه من العهد الجاهلى وهو الذى يقول فيه جرير ، وهو يشير فى هذا البيت إلى اليوم الذى انتصرت فيه قبيلة بنو يربوع على بنى قشير :

بنو الخَطَفَى والخيلُ أيام سوفة   جَلَوْا عنكمُ الظَّلماء وانشَقَّ نورها

سوفة

قال فى معجم البلدان : سوفة موضع بالمروت ، وأنا أعرفها ، جبيل صغير تراه وأنت فى أقصى المروت .

وهذا الموضع بعينه الذى كانت فيه الموقعة فى الجاهلية بين تميم و بين بنى قشير قد حدثت به وقعة أعظم من الأولى فى أوائل القرن الرابع عشر ، بين عتيبة و بين مطير ومن معهم ومَنْ والاهم من قبائل قحطان ، وكان من عادة العرب فى الجاهلية أنه إذا نزل المطر فى جهة من الجهات . وأخصبت انتقل إليها مَنْ لم تخصب منازلهم ، فإن منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغما عنهم واقتتلوا عليه كما قال شاعرهم فى ذلك :

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه و إن كانوا غضابا

فإن شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم و يرعوا معهم ، على أن يصنعوا ذلك معهم إذا أخصبوا ، أما يوم المروت الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقا والروقة ، ورؤساء برقا يومئذ : محمد بن هندى بن حميد وهذال بن فهيد الشيبانى وابن حجنة والهيظل وأبو العلا والدهنية وأبو رقبة والمهرى ، وقد حضر أغلب برقا ذلك اليوم ، ورؤساء الروقة الرباعين والمحيا ، والمياه التى تشرب بها عتيبة : صميغان ، والخيس ، وأبو مروة ، والسديرى ، وجميع هذه المناهل فى أسافل عرض ابنى شمام مُتاخِمة للمَرُّوت ، ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيّص ، ومعه جماعة من برية ، وهم بطن من مطير ، ليس بالكثير ، والحاضرون من قحطان آل روق ، ورئيسهم محمد ابن حشيفان ، وكلا الفريقين على ماءة الحرملية التى مر ذكرها ، وأنا لا أعلم أن عتيبة هُزمت فى يوم من الأيام التى تقع بينها و بين أعدائها فى نجد ، إلا فى ذلك اليوم ، وهو معروف عند أهل نجد «مناخ الحرملية» ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات فى الحرب ، وعدد مطير قريب ثلث عدد العتبان ، وقد انهزمت فى أيام الحرب الأولى المطران والقحطانيون هزائم يسيرة ، وفى بعض هزائم المطران مر فيحان بن زر يبان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضى مذبوحةً راحلتُه ، فعرف فيحان بن زر يبان فقال بعد ما ندبه : لا تتركنى ، وضيدان المذكور من أرمى أهل زمانه بالبندقية ، فعرف فيحان ضيدان ، وقال : اركب ، فلما استوى على ظهرها رماها رجل من رُمَاة العتبان ، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة ، فمشيا على أقدامهما ، فالتفت فيحان ابن زريبان إلى ضيدان العارضى ، فقال : يا عمرى عمراه ، خشية من القتل ، فقال له ضيدان : لا تخف ما دام فى حزامى رصاصة واحدة ، فتقدمهم رجل من آل محيّا على جواده ، فرماه ضيدان

لجندله ، وما لحقهم من الخيل رماه ، فقدمهم رجلٌ يقال له « فلّاج البراق » من جماعة ابن ر بيعان من الروقة ، فسد الثنية ، ومعه بندقية ، فجلس له ضيدان ، فضربه برصاصة من بندقيته ، وهى من الصمع ، فيما بين عينيه لجندله ، فاتسع أمامهما الطريق ، وانفرج لهما فسارا حتى وصلا أهلهما على ماءة الحرملية ، فقال فيحان بن زر يبان أبياتا نبطية يذكر فيها قتل راحلته ، ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقيته :

يا فاطرى ما أرخصت فيها بلا ثمان — إلا بيوم ما يقلب صويبه
رديتها لَمَنْجَّي الحرد ضيدان — ما نيب من بالضيق ينسى أصحيبه
رديتها من ربع سوفة على شان — تنجيه وقت الضيق والا تجيبه
قالت استرح فى كورها يآبو سلطان — وللناس مع هاك الثنايا حطيبه
صيبت وغطانا من الملح دخان — وعج كثير ولا نشوق الظريبه
قال ابتجح بالنصر يابن زريبان — والطير يبشر بالعشا من عتيبه
يا زين ذبحه والملح له ترنَّان — لبن محيَّا عند خشم الجذيبه
ثمن ذبح عندك جوادين وحصان — وفلاج بالدشه وراها رمى به
هذا عشى للضبع والذيب سرحان — أيام بالمروت يرفع قنيبه

أنظر ترَ شعراء الجاهلية ذكروا المروت ، وذكر جرير سوفة فى قصيدته ، لما ذكروا اليوم الواقع فى هذا الموضع ، ومنه تعرف أن المروت فى جانب سوفة ، وانظر هذا الشاعر العربى المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير فى الواقع ذلك الموضع نفسه ذكر المروت ، وذكر سوفة أيضاً . أما الهزيمة الشنعاء فقد كانت فى آخر الآيام على عتيبة ، وانتصر الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان ، لما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان ، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق ، فقال نايف ابن هذال : يا قوم تعلمون أن عتيبة أكثر عددا منكم ، ولكنى سأعرض عليكم رأيا لا ينجح أمركم إلا به ، إنى أرى أن نتناوش فى القتال مع العتبان نحن معشر مطير ، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون إليكم يا معشر قحطان وليكن رئيسكم محمد بن حشيفان ، فإذا التحمت بيننا و بين العتبان فائتوهم مِن خَلْفهم ، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة ، قالوا . سمعا وطاعة ، هذا هو الرأى ، فدبروا هذا التدبير ، فلمّا التحموا جاءت قحطان ومَنْ معها من المطران فأول مَنْ وقعوا عليه الشيابين ورئيسهم هذال بن فهيد ، فانهزموا ، وليست الهزيمة لهم عادة ، بل هم أشد وأجْلَد

الناس فى الحرب ، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب ، وتزعزع ، ثم تزعزعت الميسرة ، ثم كانت الهزيمة .

حدثنى رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة ، قلت له : هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية ، أو أنكم كنتم متراجعين لتتحيّزوا لقتال ؟ قال : لا والله ، بل هزيمة شنعاء ، ولم نتراجع إلا على ماءة عروى ، وهى تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر ، وقال فى حديثه : لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة ، وعليه جوخة حمراء ، وهى عادة الفرسان فى المعارك ، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم ، وكان على أثر العتبان ، بيده سيف ، ومعه رمح ، فإذا لحقهم قريباً أخذ يجالد بالسيف ، و إذا بعدوا عنه أخذ يرمى بالرمح ، فقال مزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه : إنى قد عزمت على قتل هذا الفارس الذى أهلك القوم ، ومع مزيد بن مغيرق بندقية من الصمع فأعَدَّها ومال بجواده ، وأخذ يراقب غريمه ، فلما حانت له الفرصة انتهزها ، وسَدَّد بندقيته إليه ، فكان فيها حتفه ، فسقط عن جواده ، وأخذ مزيد الجواد ، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذى تولى قتله ، فلم ينازعه فى جواده أحد ، وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها ، و إسمها الطرقاء .

كان فارسُ الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه ، فنزل جاراً لصاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان ، وكان فارسا زرِىّ الهيئة قبيح المنظر ، و بعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست فى مر بطها ، ثم وجدوا أثر رجلٍ علموا أنه قد أخذها بليل واتجه بها إلى بلاد عتيبة ، وكان من عادتهم أن هذا العتيبى يمنع عنهم فى سلمهم ، فالتفت ابنُ حشيفان إلى ابنه فقال : ما ظَنُّك بهذا الجار ؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا ؟ قال : لا أعلم ، و إن جارك لا يعجبنى ، والكلام كله فى أذن جارهم فارسِ الدويخ ، ولما أتاهم فى مجلسهم قالوا : ما رأيك فى الفرس ؟ قال : سَنَتْبَعُها ، ونسير على قواعدنا ، فركب الولد والجار على رواحلهما ، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء ، عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا فى وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه ، فلما رآها قال لصاحبه صاحبِ الفرس : أنا رأيت الفرس ولا أحتمل أن أتركها ، ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومى الروسان ، وانتظرنى عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتونى ميتا فتنزلونى قبرى ، وهو محتزم بخنجر ، وهى من سلاح الأعراب كالسكاكين ، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض ، فأمسك بزمامها ، فقال

له ابن عرويل : ماشأنك ؟ قال : شأنى أن أفتكها بيدى أو تقتلنى أو أقتلك ، وقانونُ قبائلنا بينى وبينك ، فلما رأى ابن عرويل الجِدّ ، وخصمهُ شاهر خنجره بيده فكّ حبلها بيده ، وقال : بينى وبينك سلم القبيلة ، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أبياتا نبطية منها :

ماروح والطرقاء تبوج الدواوير   والله ما جنب عن قصيرت عيالى

والله ما أجنب عن رسنها ولاسير   إلا حدينا للمقابر يشال

فصح عندهم أن الفرس جارة له ، فلم يُدَاعوه ، فثبت أنه جار لأصحاب الفرس ، وتركوا مطالبته ، ورجع الولد القحطانى إلى أبيه ، ومدح الجار عند والده ، وذكر ما رأى منه من الجد ، وبقيت كلمة الولد التى يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس فى نفس الرجل ، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابنُ حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى ، ولم يخبره بالسبب ، فأعطاه ناقتين إكراما له ورحل عنهم .

نرجع إلى رئيس مطير « نايف بن بصيص » فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيرى العدد يقال لهم الصعران ، وهم من قبيلة بريه ، ومطير تنقسم إلى قسمين : قبيلة علوى ، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير ، وليس يرأس الدوشان أحد ، بل يرأسون قبائلهم ، القبيلة الثانية بريه الذين منهم الصعران قبيلة ابن بصيص ، ورؤساؤهم كثيرون ، ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لامن الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارَبَ عتيبة وحادهم فى بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال ابن بصيص ، وكانت فى أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناخات بين عتيبة ومطير ، وقد كان فى هذه الأربعة كلها عمودَ مطير وعمادهم ، وسمى الاجتماع فى الحرب مناخا من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة فى مراحها وقْتَ المعارك خشية عليها أن تؤخذ ، فيقال للاجتماع مناخ : المناخ الأول مناخ الحرملية ، وفيه انهزمت عتيبة ، والثانى مناخ الدوادمى ، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بريه ، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش ، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص ، وحربٌ بنو على بطنٌ من مسروح على ماءة عرجا رؤساؤهم عبد الله الفرم وصنيتان الفرم ، وهم عضد للمطران على عتيبة ، وعتيبة على ماءة الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندى بن حميد ومناحى الهيظل وخزام المهرى وأبو العلا وابن جامع وأبو رقبة ، وفى يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر ، ورجع العتبان ، ومحمد بن هندى بن حميد قد نالته إصابة ، ومناحى الهيظل قد نالته إصابة ، وخزام المهرى قد نالته إصابة ، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة ، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا فى يوم

واحد برؤوس الرماح ، ولم ير أحد منهم بأساً ، وامتد المناخ قريبا من عشرين يوما ، ثم رحل المطران من الدوادمى لم ينقص أحد منهم ، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم فى ازدياد ، لأن البلاد بلادهم ، فلما رأوا ذلك ارتحلوا ، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماءة الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماءة عرجا ونهب الذى عضد المطران على حربهم ، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بنى على ، فجدُّوا أول ليلهم وقطعوه فى السرى ، فوصلوا عرجا صباحا ، ولكن ردَّهم الحربيون ردًّا عنيفاً ، وتواقفوا إلى قريب الظهر ، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان ، فلما زالت الشمس أو قرب زوالها أغار العتبان غارةَ رجلٍ واحد ، وهزموا حربا بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين ، وقال التويجر من شعراء الروقة من عتيبة أبياتاً نبطية منها :

ليت نايف حاضر دقلت جملنا والله ان يخلى نجد بالقاب النظيف
رديفكم شلناه من عرجه لاهلنا وأكبر عليكم يا مخلية الرديف

وقول الشاعر «ليت نايف» يعنى به نايف بن هذال الذى رحل من الدوادمى ولم يحضر . انتهى

والمناخ الثالث : مناخ الجنيفاء ، وهو بين عتيبة ومطير ، ولكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال ، وعتيبة لم يحضر منهم إلا قسم من برقاء وقسمٌ من الروقة ، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شرى بن بصيص ، وهو أفرسُ رجلٍ عرفه الناسُ فى زمانه ، وحدثت فى هذا المناخ مناوشات وقتال ، ولم ينهزم أحد ، بل بعد مضى عشرين يوما تصالحوا ، والمطران يشربون من روضة مطربة ممتلئة من المطر الواقعة شمالى العيون عيون السر ، وعتيبة يشربون خبارى ومياه العيون ، فتصالحوا على السلم ، فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم و بين العتبان ، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى ، ورحلت عتيبة قاصدة عالية نجد ، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريبَ الدوادمى عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً ، ورئيس الأمداد من برقاء هذال بن فهيد الشيبانى ، وقسم من الروقة كلٌّ قبيلةٍ برئيسها ، ولما التقى هؤلاء القومُ الغازون بأولئك العائدين قالوا لرئيس برقاء محمد بن حميد : ارجعوا معنا ، فأجابوهم بأنا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتهادنا أياما معلومة ، فلا نستبيح لكم أن تغاروهم قبل مضى هذه الأيام ، فتريثوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجأوا مطيرا وهم غارون يشربون من غدير الحَور بين ضرما ومراة ، فاجتلد الفريقان ساعة من نهار ، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شرى بن بصيص ابن عم نايف بن هذال ، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاما ، على أنه لم يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة ، عرفته فرسان عنزة

وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان ، وفارسُ عتيبةَ على الإطلاق فى مناخ الجنيفاء الذى مر ذكره خزام المهرى رئيس الدغالبة اعترف لتريحيب هذا بالمنزلة العالية فى الفروسية .

وهذه المعركة التى قتل فيها تريحيب هى المناخ الرابع .

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذى قتل فيه تريحيب : لما توجه الغزاة بعد لقائهم لمحمد بن هندى بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتمسون المطران وهم عتيبة : أقسام من برقاء والروقة ، وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودجٍ صغير وهى من قبيلة النفعة من عتيبة ، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القساسمة من ذوى عطية من الروقة ، فقال : ما شأنك أيتها المرأة ؟ قالت : أنا امرأة موتورة قَتَلَ تريحيبُ بن شرى أخاى بالأمس فى المناخ ، ولما أجد فى قلبى من الحرارة والأسى على أخى رغبتُ فى السير مع هؤلاء الغزاة طلبا لثأر أخى ، فقال لها فاجر السلاة : تقتلينه أنتِ ؟ قالت : لا والله تقتله أنت إن شاء الله ، ثم التفتت إليه ثانية فقالت : أتكفى أنت فتقتله ؟ فقال : والله إن رأيته لأذبحنه ، فكانت منية تريحيب على يده ، وفى اليوم الأول الذى قبل مقتل تريحيب بيوم اجتلدت الخيلُ ، فلحق تريحيب خيل الروقة ، فعثرت جواد ابن تنبيك رئيس المراشدة ، وسقط عنها ، فأخذها تريحيب ، فطلب إليه العفو ، فعفا عنه وخلى سبيله ، فلما كان اليوم الثانى وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها ، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يفى بوعده للمرأة فأعدَّ بندقيته من الصمع وهو من الرماة المشهورين ، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماه فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم فى الفرس فسقطت ، وسقط تريحيب معها ، فجاءه ابن تنبيك الذى مَنَّ عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب : امنعنى كما مننت عليك بالأمس ، فقال له ابن تنبيك : لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك ، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام ، و بعد يومين أخذ جميعَ ذلك فاجرُ السلاة الذى كان أصابه ، وهذا عُرْفٌ عند قبائلهم ، يجعلون السلاح والسلبَ وما يمتلكه القتيل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولا فعاقه عن الحرب ، لا لمن أجهز عليه ، وفى اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفا وحوادثها كان الفريقان قد ملّ بعضُهما بعضاً ، فبعث نايفُ بن هذال بن بصيص ابنَ عمه شرى بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين الفئتين ، فأتاهم على جواده فى غَلَس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندى فسلم عليه وعرفه بنفسه ، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناحى الضرة من فرسان

عتيبة المشهورين وهو من الدَّغالبة جماعةِ خزام المهرى ، قتله تريحيب بن شرى ابن هذا الذى يطلب الصلح ، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف بعضُهما عن بعض ، ويرعى أرضَ الله كلٌّ آمن ، فقال : نعطيك ذلك ، فلما قَرُب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندى بن حميد إذا فارسٌ قد أقبل عليهما مسرعا ، فقال ابنُ هندى لشرى بن بصيص : لا تركب جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس ، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهرى الفارس المشهور من عتيبة ، فبقى على ظهر جواده ، ثم قال للأمير محمد بن هندى : أيها الأمير لماذا لم تركب لتسير إلى حَوْمة الوغى ؟ فقال : لقد تصالحنا وأمناهم ، وهذا شرى بن بصيص يطلب الصلح ، فقال له : اللعنة على شرى بن بصيص وابنه تريحيب ، أما علمت أن ابنه تريحيبا قتل ناحى الضرة البارحة ؟ ولن نصالحهم حتى نثأر بفارسنا ؛ فصاح بأعلى صوته ، وشق جيبه ، وقال عتيبة : يا رفاقة ناحى ، يا ثائر ، وهذا نداء جرت به عادتهم ، ثم اندفع خزام إلى جهة المعركة التى كانت بالأمس فاندفعت الخيل فى إثره ، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبةٍ من الخيل على إثرهم ، والتفت عند ركوبه إلى شرى بن بصيّص الذى يطلب الصلح فقال : اعذرنى لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك ، فأغارت خيل العتبان ، فالتفت شرى بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باقٍ عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال : إن الذى وجدوه أمسِ سيجدونه اليوم ، فلما قربوا من خيل مطير إذا هى قد استعدت للجلاد ، فكانت ميمنةمطير هى التى تلى ميسرة العتبان وفيها تريحيب ابن شرى وجملة من فرسان قومه وفيها طامى القريفة وهو فارس مقدام رام بالبندقية ، وقد اتفق مع تريحيب أن يكون هو على جانبفإذا هُزمت الخيل فهو يحفظها ، ومن اعترض أو أسند رَمَيْته بالبندقية ، وحدثنى فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال : لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريحيب منحناه أظهرنا ، فندب بعضنا بعضاً ، فأسند شبيب بن حجنة ، وهو من الفرسان والرماة وبندقيته صمعاء ، فلما اعترضت جواده رماه طامى القريفة ببندقيته فقتلها ، فنزل وسار على قدميه ، وندب فرسان قومه ، فأركبه سرحان بن ثويمر من رؤساء المقطة على جواد عريب ، فانهزمت خيل عتيبة ، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان ، وهو من قبيلة العصمة ، فكأن الحصان انقطع به ، فرفع صوته يندب شبيب بن حجنة أدركنى ؛ فقال شبيب لما سمعه لابن ثويمر : أردع الجواد ، فأبى خشية أن يصيبها مثل ما أصاب جواد شبيب ، فلما مر بحجر قليلٍ وظن شبيبٌ أنه يُخْفيه نزل ، فكمن فى وسطه والخيلُ قريب ، أولهُم صاحبُ الحصان والذى يليه طامى القريفة على جواد حمراء،فرماها شبيب بن حجنة فأصابها ، وَاختفى طامى خشية أن يقتله

شبيب لأنه يعرفه من الرماة ، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامى لإركابه رماها شبيب فقتلها ، فقتل أربعا من الخيل فى موضع واحد ، حتى نجا صاحب الحصان ، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشرى باقٍ فى بيت ابن حميد صالحوهم صلحا جديدا وافترقوا ، وفى الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلى وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد ، وقبل أن ينتهى القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالا من الدلة ووضعه فى مجلسه بين الفرسان وقال : هذا فنجال تريحيب ، اشربوه ، فأبوا ، ثم ندَب بنيه سلطانا وجزا ، ثم ندب العقيلى ، ثم ندب مزيد بن مغيرق قاتل محمد بن حشيفـان ، فأخذ الفنجال فشربه ، ثم قال له : يامشعان أنا أعلم أنك تحب أن أقتل ، ولكنى قد شربت هذا الفنجال ، ووالله لئن رأيت تريحيبا لأقتلنه أو يقتلنى ، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب ، وهما أخواه لأبيه ، وله أخَوَانِ لأمه : أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بنى عبد الله ، والثانى من غير تثبت غلام من قبيلة الملاعبة من مُطَير ، ذكروا أنه فى مناخ الدوادمى لمـا اجتلد العتبان والمطران ، قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا فى الأرض ، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب .

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذى قبل هذا ، وهو المناخ الثانى من الأربعة ، عتيبة تسميه «مناخ الشعْرا» ومطير تسمية «مناخ الدوادمى» وأهل نجد يسمونه « سنة عرجا » حدثنى خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال : أخذ لنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش ، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمى طلبا للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش ، فجئت ناديه ، فوجدت رجلا جميلا مرجّلا شعره جالسا متكئا على رحل له موضوع ومجلسه ملىء بالرجال ، فقلت : السلام عليك يادويش ، وأنا أحسبه عماشا ، فقال : وعليكم السلام ، فجلست فالتفتَ إلى فقال : ما شأنك ؟ فقلت له : أنا أخوك من أهل الشعراء ، أخذت مطيرٌ قبيلتُك إبلى ، وقصدى أنك تؤديها إلى ، فالتفت إلى بعين مغضبة فقال : نبَاَ نأكل إبلك ونأخذكم ؛ لأنكم عتبان فى وسط عتيبة ، ولا لك عندنا وجه ولا عانى ، فسُقِط فى يدى ، ولم يكن هذا عماشا ، وإنما هو ابنه ، فالتفت إلى رجل قريب من مجلسى فقال : هذا ابن عماش ، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد ، فالتفتُّ إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب ، كأنه نائم وليس بنائم ، ملتف فى عَباءة برقاء ، فلبثنا قليلا ثم تحرك وجلس ، فنهض القوم إكراما له حتى جلس ، فلما استوى جالسا نهضتُ إليه وسلمت عليه ، فرد على السلام أحسن رد ، ثم التفت إلى صاحبٍ له ورمى إليه عظما ، فقال : املأه من التتن ، فملأه

وأشعله ، فلما خاص من تتنه التفت إلى ابنه فقال : يا عبد الله ، فقال : لبيك يا أبتِ ، فأول كلمة تكلم بها أنه قال : حسبى الله على والدتك ، غرتنى بحسنها ، والله ما أنت عَريب ، لقد سمعت كلامك مع راعى الشعراء ، كيف تجرؤ على هذا الكلام ؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لايشد ولايمد ولا يغير ولا ينير ، وتقول له : نباَ نأخذك أنت عتيبى فى وسط عتيبة ، ولكن يُغْفيك مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجمعوا له إبله ، ومن امتنع من تسليمها فأتونى برأسه ، فمكث قليلا ، فجاءت الإبل تحدوها الخيل ، فاستلمتُها ، وعزمت على السير إلى بلدى ، فقال : إن لى بك حاجة ، أقم عندنا اليوم ، فلما كانت الغداة جاءت الخيولُ لتتوجه إلى قتال عتيبة ، وجاء ابنه عبد الله ، وحضر جواده ، ورحل على ذَلول من أعرب جيشه ، وقصده أن تكون زاملةً لفرسه ، فالتفت عماش إلى ابنه فقال : ضع عَنْها الرّحل وضعه على جمل ، فإنى أظن ركابكم لايرجع منها شىء ، فأخذ الرحلَ ، فوضعه على جمل ، ومشوا إلى جهة الشعراء ، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخِذت الركابُ ، ولم يرجع الجمل ، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعانى وقال : إذا وصلت بلادك فِزنْ وزنتين من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندى بن حميد وقل له : هذه لك من عماش الدويش تجديدًا لما كان بيننا و بينه من العملة السابقة ؛ فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديداً لها ، و إن أحب أن تنقطع فسيتركها ، قال : فجئت وأخذت القهوة وذهبت بها إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بينى و بين عماش ، فأخذ القهوة وقال : بل نجدِّدها ، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط ، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين فى بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندى مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردها ، ولو أخِذَت إبلُ عماش وجب على ابن حميد أن يردها ، وافترقت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة فى نجد ، فكانت الهزيمة فيها على حرب القاطنين على ماءة عرجاء .

الحوادث الواقعة فى مناخ الحرملية ، وهو المناخ الأول ؛ لأنه فى السنة التاسعة من القرن الرابع عشر ، وقتلُ تريحيب كان فى السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة ، وكان تريحيب أيام مناخ الحرملية صغيرا لم يحسن ركوب الخيل ، وفى مناخ الدوادمى كان يركب الخيل و يرغب أن يحضر المعارك ، ولكن أهله كانوا يمنعونه ؛ فكان يحضر المناوشات الخفيفة ، فلما بلغ سبعة عشر سنة ظهرت مخايله ، وقتل لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره .

فمن حوادث مناخ الحرملية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم عثر جواد محمد بن هندى به وسقط ، وكان الذى يليه من الفرسان فارساً مقداما يقال له « دهنين » من آل روق ، من

قبيلة محمد بن حشيفان ، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه ، وقال : ياقوم ، والله إنى قد أمنته وهو كاذب ، ولـكنه رغب أن يصنع جميلا مع هذا الأمير العاقل ، فتنازع القحطانيون فيه : قسم يحب قتله ، وقوم دهنين عزموا على منعه ، وعندهم شك فى صاحبهم أنه لم يؤمنه ، ولـكن أحبوا تثبيت كلامه ، فمنعوه ، فـكان الذى أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندى بن حميد مقابلة الجميل مائة وعشرين ناقة ، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة ، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر : تارة عشرا ، وتارة أقل ، ولـكنه لم يعطه أقل من ثلاث ، وهذا الرئيس من دُهاة الرجال ، وعنده تروٍّ فى الأمور ، وأناة فى مهمات الأمور ، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة ، حدثنى حشر البواردى من أهل شقرا قال : كنت مع محمد بن هندى بن حميد ، وكنا ضيوفا عند الشريف الحسين فى مكة ، فـكأن الشريف قصر فى إكرامه ، وعنده بعض شيوخ الروقة ، وظن ابنُ حميـد أنه قد وشى به واشٍ عند الشريف ، فلما أحس تقصير الشريف قال لنا : هذا الشريف أنا فى الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامى ، وقد بقيت متحيرا فيما عسى أن يكون هذا الخبر ، فـكانت إقامتنا فى المعابدة ، فركبنا رواحلنا صباحا نقصد الشريف ، فلما دَخلنا عليه ، وكان يُدْنى مجلسَ ابن حميد من مجلسه ، وأخذنا مجالسنا ، وتجاذبنا الحديث ، حتى خضنا فى ذكر الجيش ، فقال ابن حميد : نظرت اليوم ذَلُولا نجيبةً معروضة للبيع لم أر مثلها ، فالتفت إليه الشريف فقال : أين هى ؟ فقال : مررت بها تحت قصر سعود بن عبـد العزيز الأول الذى ملك مكة ، فاضطرب الشريف فى مجلسه وقال له : ليس له قصر ولم يملك مكة ، قال ابن حميد : هذا خبر أكيد ، فسكت ، فافترقا والشريف مُغْضَب ، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحَلَلُ والنقود والـكرامات الزائدة ، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامى ، وله أمور عجيبة ، حدثنى رجل من قومه يقال له راشد بن هذلى قال : قصدنا ماءة الشبيكية الواقعة فى جهـة المخامر ــ وهى اليوم مسكن الدويبى ، عمرت فى هذا العهد ــ ونحن قليلون ، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحدا ، فجاءنا المرتاد فقال : إن على الماء عربا كثيرين ، فرأينا صاحب غنم ، فأمرنى أن أركب جوادى وأسأله عن أولئك القوم ، فركبت جوادى وأتيته فسألته ، فقلت : من هؤلاء العرب ؟ فقال : هذا الدويبى ومعه قبائل حرب ، وابن حميدٍ ومن معه لايستطيعون ردهم وليس لهم بهم طاقة ، فرأيت الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف ، فقال لى : اركب جوادك ، واقصد الماء ، وقل لناهس الدويبى ــ وهو رئيس القبيلة ــ : فى وجه مَنْ وردت هذا الماء ؟ فإذا قال لك « من أين أتيت » فقل له : أرسلنى محمد بن هندى بن حميد ومعه قبائل عتيبة ، وأنا الآن بحيث

لو صحت بأعلى صوتى لسمعونى ، فركب راشد جواده ، وقصد ماءة الشبيكية ، فقال لناهس الذويبى ما قاله له محمد بن هندى ، وردّ عليه ناهس كما ظن ابن هندى ، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه فى رقبته وقال : جِئنا دخلاك من عتيبة ، وترانا فى وجهك ، وقال له : أنتم آمنون ، فرجع إلى صاحبه ، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه ، وانكف بعد ما شرب الماء إلى جهة قومه ، ولكنه مع هذا الدهاء والزكانة كان يخطىء فى بعض الأوقات ، ويتجبر على بعض الأعداء ، يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره ، وأنه مُطَاع فى قومه لا يردون له مقالا .

حدثنى رجل من فرسان المقطة قال : كنا قرب ماءة عروى ، وجاءنا خبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل سعد من قحطان ، وهو من الفرسان المشهورين ، نَزَلَ عند جبيل سوفة الذى مرّ ذكره فقال لقومه : إن الله أخرج هذا الفارس من جباله ومن بلاد قومه وليس معه إلا شرذمة قليلة ، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل الله أن ينصرنا عليه فنقتله ، فقال له رؤساء قومه : أرسل من يرتاد لك الخبر ، فبعث حضريا من سكان قرى العرض ، فقال له : اعرف لى منزله ، وكَمْ معه من الخيل ، فقصده الرجل واستضافه ، وكأنه ينشُدُ ضالة ، فلما رجع إلى ابن حميد قال : وجدته وليس معه من الفرسان إلا عشرة ، قال : هل تعرف منهم أحدا ؟ قال : أعرفه وأعرف أخاه منيفا وضويحى وجديع آل الجرو من قحطان ، فقال : هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارسا ، ولكنى سأسير إليهم بستين فارسا من باب الاحتياط ، فمشى بستين فارسا كلهم على صهوة جواده ، ومعهم ركاب تحمل الماء والكلأ للخيل ، فأغاروا عليهم بجانب سوفة وهم حلول : المرأة منهم تبنى الخباء ، والرجل عند إبله أو جواده ، وكان قبل أن يسير من عند أهله بيوم قال : عُدُّوا لى الرماة ، فإنى أحببت أن آخذهم ، وأمر بهم على طريق قنفيذ فى المعركة ، فيرموه بالبندقية قالوا : نعرف هضال بن درية الذى ينزل الأروى من شعاف الجبال وهى تعدو لا يخطىء سهمه ، والثانى ابن خشيبان ، والثالث طريخم بن حريش من الشلاوى ، فجمعهم وأخبرهم بحاجته ، فاضطلعوا بها وكل قال : إذا رأيته قتلته ، فأخذهم معه ، فلما شن الغارة بجانب سوفة واجتلدت الفرسان أخذ الرماةَ ووضعهم فى موضع وقال لهم : سأستطرد له وأمر به عليكم ، ولكن اجتهدوا فى قتله ، فلما اجتلدوا انهزم ابنُ حميد ليمر به على الرماة ، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندى ، وكانت هزيمته حيلة لم ير منها فائدة ؛ فمر على هضال ولم يرم ، ومر على ابن خشيبان ولم يرم ، فالتفت ابنُ هندى إلى قنيفذ فرمى رمحه قريباً من ظهره ، وصاح يزهم طريخما أعنى ابن حريش ويومىء إليه بيده ، ويقول أُرم أُرم ، ثم ترك التنبيه على الاسم ، وقال أُرم يا شلوى باسم القبيلة ، فلم يرم ،

فالتفت إلى خيله فقال : امنعونى من هـذا الفارس ، وكان زايد بن حريميس [1] من فرسان الروقة يسمعه ، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد ، لجاءه مسرعا عرضا ، فضرب قنيفذاً برمحه على قفاهُوأذُنَيه ، فشرم إحدى أذنيه ، وجرح مؤخر رقبته ، فصاح قنيفذ وزاد جَلَادة ، وقال : الكلب لا يُغلث حتى تقطع أذناه ، وهذه قاعدة عند الأعراب فى كلابهم ، إذا أحبوا أن الـكلب تزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها فى تمر حتى يأكلها ، حتى إنه بقى مثلا عند عامة أهل نجد فى عهدنا هذا ، إذا زاد لَجَاج رجل فى منازعته قالوا « إن هذا أكل أذنيه » ورجع ابن هندى من غزاته هذه بدون طائل ، لم يقتل قنيفذا ولم يقتله قنيفذ ، وقنيفذ هذا من أشجع قبائله ، ولـكنه جِلْف من أجْلاف الأعراب ، فيه خصال لا تحمد ، ذكروا أن معركة من المعارك حدثت بين قحطان وعتيبة قُتل فيها سحمى بن حشر ، وأخذ القحطانيون من العتبان سبعة عشر رجلا كأسرى ، فلما ثبت عند قنيفذ قتلُ سحمى بن حشر قَتَلَ السبعة عشر رجلا المأخوذين وهم فى ذمتهم ، وتعد هذه الفعلة نقطة سوداء فى تاريخه ، قال لهرجل يخاصمه : ما أكثر كلامَكَ ياقنيذ ؟ قال : صدقت ، ولـكن شرى أكثر .

المعارك فى نجد — والغاراتُ فى الجهة الجنوبية فى نجد أكثَرُها بين برقاء من عتيبة و بين قحطان وسبيع أهل رنية والحرمة ، والمعارك التى تـكون فى شمالى نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة ، أو بين الروقة و بنى عبد الله بن غَطَفان ، والمعاركُ العظامُ بين عتيبة ومطير . سُئل راجح ابن لبدة أبو قنيفذ المذكور : كم قلعت من الخيل ؟ قال : والله إنى لا أحفظ عددها ، ولـكن الذى قلعت وأنا أنظر رأس جبلة ثلاثون فرساً .

أما محمد بن هندى بن حميد فهو مُطَاع فى قومه ، محبوب عند الناس ، محبوب عند الملوك ، سمعته يتحدث وهو يقول : والله ما أخذت الحضرى ولا أرضى بأخذه . و نَدِيدُهُ فى مطير نايف ابن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له .

كان ضيدات العارضى الذى قال فيه فيحان بن زريبان يوم الحرملية .

* رديتها لمنجى الحرد ضيدان * نازلا على ماءة قريب الـكويت مع الدوشان ، وهم قوم أهل تجَبُّر ، وهم رؤساء علوى ، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه ، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها :

---

(١) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جعيلان الحافى ، وهو من ذوى صقر من الحفاة بطن من الروقة

هات الدلال وهات من ماء الثميلة   نبغى نسوى تالى الليل فنجـال
عدٍّ سمج لو كثر رعيه وكيله   لعاد ما قطان ماه بن هـــــذال

يعنى نايف بن بصيص ، وهذا الماء الذى كانوا عليه مشاش الطويل بين ماءة الجهرى وماءة الصبيحية ، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك . لقيتُه ثلاث مرات : المرة الأولى فى السنة التى قُتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧ ﻫ ، ولى من العمر سبع سنوات ، ولـكنى كنت بحيث أفهم الحديث ، رأيته عند والدى وأعمامى فى بلدنا « ذات غسل » المجاورة لبلد شقرا فى مقاطعة الوَشْم ، منيخا ركائبه ضَيْفا عندنا ، واتسع الحديث بينه و بين والدى رحمه الله وذكروا الحروب التى تقع بينه و بين عتيبة ، فسمعته يومئذ يقول يخاطب والدى : يا عبد الله ، والله لو يتبعنى عُشَيْرُ عتيبة لأخرجنهم من نجد ، ولـكن الذين معى شرذمة قليلون من قبيلتى الصعران وسّامة الهلال ([   ) وقد جرى علينا نقص عظيم بقَتْل هذا الغلام الذى كنت أحارب به ، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد ، ذلك هو تريحيب ؛ فقد كان إذا سمع الصائح قال لى : أعطِنى السيف والعبية ، أو البندقية والـكحيلة ، طلب السيف والعبية لأنها فرس سابق تَلْحق ولا تُلْحَق ، وطلب البندقية مع الـكحيلة لأنها وَانِية ، فإذا أدركته الخيلُ رماهم . ورأيته المرة الثانية فى بلد الشعراء مع جلالة الملك فى بعض غزواته فى نجد ، وذلك فى مجلس عبد الرحمن ابن خلف من أهل الشعراء ، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبد الله بن جلوى الذى تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه ، ومعه نايف بن هذال المذكور ، وكان أهل الشعرا قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين : الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبد الرحمن ، وفيما هما يتصاولان رمى عبدُ الرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل فيهما أربعةَ رجالٍ وأصاب خامساً ثم قتل هو ، وأما المعركة الثانية فـكان آل ضويان سطوا على آل مسعود ، والجميع حمولة من قبيلة واحدة ، وأخرج آلُ ضويان من البلد ، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان ، فلما شرب جلالة الملك القهوة وعزم على النهوض قال له عبد الرحمن بن خلف : يا طويل العمر ، لا تزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضويان ، ولئن لم تصلحها أنت لم يتم صلحهم ، فقال : أنا معتزم إنفاذ ذلك إن شاء الله ، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع ، فالتفت نايف بن هذال بن بصيص إلى جلالة الملك فقال : يا طويل العمر ، يقولون ابن ضويان بان له قصيرا فوق العبسة بريدان يغير وينير ، فالتفت إليه جلالة الملك قائلا : على عثرة ونثرة ، ورأيت

جلالة الملك يراعيه ويحترمه . وأما المرة الثالثة فقد لقيته فى شقراء مع جلالة الملك ، رأيتهما يمشيان فى سوق شقراء وجلالةُ الملك آخذ بيده يمشى وهو يباريه ، فهذا دليل على أن جلالته يكرمه ويرى له منزلة .

وكان رئيس مطير فى هذه المعارك الأربعة التى مر ذكرها هو هذا الرئيس ، وأنا لا أعلم أن عتيبة انهزموا فى المعارك التى تقع فى نجد ، بل هم الغالبون دائما ، أما هزيمة الحرملية فإنهم لا يرغبون فى ذكرها ، ولو أنك سألت العتيبى وقلت له : أخبرنى عن مناخ الحرملية ، قال : إنى لم أحضره ولا أعلم حديثه ، ولو سألته عن مناخ عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له : اسكت ، وقد عرف أهلُ نجد أنك إذا أردت أن تغضب العتيبى أو تلقمه الحجر فما عليك إلا أن تذكر يوم الحرملية ، ومن الحوادث أن أهل قرية نفى كانوا يتفاخرون ذاتَ ليلة مع جماعة من شعراء العتبان ، فقال شاعر من عتيبة أبياتا نبطية وهم وقوف ، منها :

يا حضران دايم فى البلاد ما ترعون فى الدار العذيه
ولا تدرون عن ركب الجياد دايم حاضره فى كل هيّه

فقال شاعر أهل نفى المعارض لذلك الشاعر :

أخبار القبائل فى فؤادى وأدرى بالكثيرة والشويّه
لا تكثر على من الدوادى فأذكرك يوم الحرمليه

فانقطع الشاعر العتيبى ولم يرد جوابا ؛ لأن الهزيمة صحيحة ، ولا يقدر أن يقول من هزمنا .

فأما ذكر التويجر الشاعر الروقى فى شعره وقعة عرجا ، وقد ذكرنا منها بيتين فى أول هذه العبارات ، وقوله :

ليت نايف حاظر دقلت جملنا والله أن يخلى نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجمل ، وتلك عادة عند جميع عرب نجد ، إذا سارت الكتائب بعضُها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جاريةً من أجمل نساء رؤساء القبيلة ، وتنتخب لها جملا أوضح تضع عليه هَوْدَجا ، ويُحَلَّى ذلك الهودج بالحُلَل من الجوخ وغيره ، ثم تركب فيه الجارية ، وجميعُ رجال القبيلة والرُّماة والفرسان على خيولهم . وأهلُ الركاب يكونون عند هـذا الجمل ، والجارية حاسرة ، لا تضع على رأسها ولا على وجهها شيئاً ، وهى واقفة تندب قومها إلى القتال وتحضهم عليه ، وقد ورد عرجا من الجمال فى اليوم الذى كانت فيه الموقعة ثلاثةَ عشر جملا ، كلُّ جمل يتبعه أكثر من ألف رجل ما بين راكب وراجل ، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغالبة تابعين

لجمل الهيظل ، فلما كان يوم عرجا انفصلت كل قبيلة بجملها ، حدثنى رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال : جاء مناحى الهيظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة ، فتهدَّده وقال : ردوا جملكم وارجعوا إلى جملنا ، فقال : إنا من حين زايلنا أهلنا ونحن علزمون أن نَرِد به عرجا أو نرجع نحن وجملنا ، فزاد بينهما اللجاج ، فجاءهم الرئيس العام محمد بن هندى بن حميد فقال : لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يا مناحى الهيظل ألا تردَّ جملاً يتبعه ألف رامٍ ، وإنما تكون الملاحاة والدعاوى فى غير هذا الموضع ، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت ، وقد كان أبو العلا مصمما على أنهم لو رجعوا جمله يرجع بقومه ، فتركهم واندفع إلى خزام المهرى رئيس الدغالبة فقال له : يا خزام ، ما الذى حملك على أن سيرت هذا الجمل وأنتم وجميع قبائلكم الدغالبة إنما تتبعون جملى ؟ فقال له : تعلمْ أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه ، وكانوا لا يخاطبون خزاما باللهجة التى يخاطبون بها أبا العلا ؛ لأنه فى زمانه فارس عتيبة على الإطلاق ، فتركه الهيظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه ، وناصر من قبيلة الدعاجين التى رئيسها العام هو مناحى الهيظل ، فقال له : اردُدْ جملَكَ وكونوا مع جملنا ، فرده من دون منازعة ، وقد انقطعت هذه العادة فى هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ لأن هذا الملك ــ حفظه الله ! ــ قمع الظالم ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وقدم الشرع ، فسكنت بهمته و بتوفيق الله جميعُ الحركات .

وعربُ نجدٍ لهم عادات حميدة أخذوها عن آبائهم وأجدادهم ، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها ؛ لأن الحاجة لا تدعو إليها ، وسأذكر القليل منها .

عند عرب نجد ثلاث يسمونها « الثلاث البيض » . فإذا قلت : ما الثلاث البيض ؟ قالوا : الضيف السارح ، والطنب السابح ، والبطن ، أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضاف رجلٌ من مطير رجلاً من عتيبة ، ثم سَرَحَ من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذى سَرَح الضيف منه ، و يردُّ عليه جميعَ مايؤخذ منه ، وأما الطنب السابح فهو الجار ، إذا كان رجلٌ من مطير مثلا قد جاور رجلا من عتيبة ، وجاء المطران وأغاروا عليهم ، وأخذوا إبل العتبان ؛ فإنه يجب على الجار أن يرد إبل مَنْ أجاره من قبيلته مطير وما أخذ واله ، وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فنجال قهوة أو كأسَ حليبٍ وأخذت عتيبة إبلَ صاحب الخباء الذى شرب العتيبى فيه القهوة أو الحليب فإنه يجب على العتيبى أن يثور

بما فى بطنه و يؤدى الإبل إلى صاحبها ، وله حق الثأر ما دام لم ينقض هذا الطعام أو القهوة بمثله ، حتى إن بعضهم قد يصنع حيلةً إذا جاءه أجنبى يظن أنه قد يحتاج إليه ، وذلك بأن يخلط بهار القهوة بنوع من اللبان الذى يُظَن أنه يبطىء فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر .

وفيه مسألة أخرى ، وهى الخوى ، إذا جاء السفّار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتيبة أخذوا عتبيا ، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيريا ، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانيا ، ومن ذلك أن أهل شقرا أخذوا ولداً لعبد الله بن سجوان من قبيلة الروسان خويا من عتيبة ، وهم على جمال وحَمير يجمعون الـكلأ ، فجاءهم ركب من الحناتيش بطنٍ من الروقة ، ورئيسهم رجل يقال له حنيـان ، فأغاروا عليهم ، فاعترضهم ولد ابن سجوان ، وقال : إن هؤلاء خوياى ، فلم ينتهوا ، وأخذوا ما كان معهم من زاد وماء فقط ، وتركوا الركاب والحمير ! وأبو هذا الغلام الذى أخذوه خويا كبير السن ، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة ، حسين بن جامع : إنى لا أرضى حتى تقتل حنيان ، فقال : إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلا وماء قليلا ، وقد دفعه إلى ذلك الجوعُ والظمأ ، فغضب الشيخ ورحل إلى بلد قَحْطان وجاور فى قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم ، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها :

يا دحيم ديران الرفاقة امريفه   والى مع الأجناب كنّه على نار
والطير بالجنحان ما حسن رفيفه   والى انكسر بعض الجناحين ماطار
ويمنى بلا يسرى تراها اضعيفه   ورجل بلا ربع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له : ارجع يا أبت إلى وطنك ، وأنا الذى أقتل حنيـان ، ولا تستشير حسينا فى ذلك ، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة ، فأعجب الشيخ ماقاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعرا لتصيد الفرصة فى صاحبه ، لأنها بلد تنتابه الأعراب لأغراضها ، فما شعروا إلا برجل أتاهم فقال : انظر حنيان الحنتوشى فى قصر الرفائع يتغدى عند صاحب القصر ، إبراهيم العجاجى ، فندب الشيخُ ابنَه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود ، فركبا راحلة وقصَداه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع ، وهو على جمل ، ومعه رفيق له ليس من قبيلته ، فأدركاه قائلا تحت شجرة ومعهما سيف ورمح ، فقالا لصاحب حنيان الذى ليس من قبيلتـه : إن أحببت السلامة فأعرض عنا و إلا فإنا نصنع بك مثل ما نصنع به ، فتناولاه بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منـه قسما ، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت ، فمرا على العجاجى وقالا له : قتلنا حنيان ، انظره هناك ، ادفنوه ، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رَمَقًا ، فحملوه إلى قصرهم ،

فبقى سنتين بين الحياة والموت ، ثم سلِم ، فرأيته يركب الخيل وقد جعل فى كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس .

أخذت قحطان حميرا لأهل القويعية ، وهى فى عانية ، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانيين الذين أخذوها ، فقالوا له : ما نسلمها لك حتى تداعينا عند محمد بن هادى رئيس قحطان ، فركب معهم ، فوصلوا عند محمد بن هادى ، فكل عرض عليه ما عنده من الحجج ، فالتفت ابن هادى إلى ابن حصيص وقال : هوانى مرخوص انحا كى ، وهذه لغة قحطان ، قال له : تحاك بالحكى الذى تؤدى فيه الحمير ، قال : أعطوها إياه .

ومن عاداتهم إذا جئت عند قبيلة وأنت ضارب فى الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم : خذوا عصاى فضَعُوا وَسْمَكم عليها ، فمن جاءنى من قبيلتكم عرضتها عليه ، فإذا فعل ذلك فإنه لايمسه أحد بسوء .

قال محرر هذه الأحرف : جئت من الحناكية فى سنة ١٣٣٧ هجرية ، وليس معى خوى ، فصحبت عيراً قاصدةً القَصيم ، فلما كنت عند طمية عجت إلى قرية مسكة فجئت قبيلة من الدلابحة رئيسهم رجل يقال له ملافخ ، فبت عند غيره ، فلما أصبحت قلت عند توجهى : أنا رجل منقطع ، وليس معى رفيق من عتيبة ، وما معى إلا رفيق حضرى ، ونخشى أن يعترضنا أحد من عتيبة قبل أن نصل مقصدنا ، ولكن خذ عصاى فضع وَسْمَك عليها ، فوضع عليها الوسم(١)على هيئة المغزل وهو وسم قبيلته ، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعى صاحبى الحضرى فلما كنا فى عريق الدسم أغار علينا جيشٌ فناديتهم : ليس فينا طَمَاعة ، فقال رئيسهم : إن كنتم من عتيبة أو فى وجيه عتيبة فأنتم آمنون ، فأتونا فإذا ركائبهم عليها هذا الوسم(١)و إذا هم من قبيلة الحماميد التى يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودون فى العهد الأخير ممن أدركناهم : قبيلة عتيبة ، وهم اليوم أقواهم وأكثرهم ، وقبيلة قحطان ، وقبائل مطير بنو عبد الله ، مساكنهم من القصيم إلى المدينة ، وعلوى و بريه مساكنهم من سدير إلى الكويت ، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبلى طى ، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدها وعاداتها ، فأما القبائل التى سكنت نجدا فى الزمن القديم فالقبيلة التى كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هو بنو لام ، قال صاحب الروضة رميزان التميمى وهو فى القرن العاشر ، فى قصيدة له نبطية عند حكره لوادى سدير ووضعه لسبعين العرصة التى تسيل منها بلاده الروضة :

حكرنا لها وادى سدير غصيبة   بسيوفنا إلى مرهفات حدودها

حكرنا لها الوادى وسالت نخيلها وفى القيظ من جم البطاحى رودها
إلى صدر اللامى والأجناب قلطت حيضانها فإما نزدها ترودها

وهذا الشعر يدل على أن بنى لام هم أهل البلاد فى القرن العاشر ، والدليل على ذلك قول رميزان :

* إلى صدر اللامى والأجناب قلطت *

صاروا هم أهلَ الوطن ومن عداهم أجانب عنه ، وامتد بقاء بنى لام فى نجد فى أواخر القرن التاسع وجميع القرن العاشر ، و بنو لام ثلاثة بطون عظيمة : كثير ، ومغير ، وفضل ، فأما آل مغيرة فهم فى عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم ، و يسكن وادى الشعرا ، و يتجول فى بقية بلاد العرب ، و يوجد الآن قصر له آثار فى وادى الشعرا يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر عجل بن حنيتم ، ولا يسكن تلك النواحى أحد من الأعراب إلا فى جواره ، تقول ابنة عجل فى قصيدة لها نبطية :

ألا يا بلاد جنب تيما مقيمة ما دامت الشعرا هيام قليبها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من وردها يجيبها

تيما : جبل فى أعلى وادى الشعرا .

والرئيس الثانى من رؤساء بنى لام : ابن عروج ، يرأس آل فضل وآل كثير ، ومساكنهم فى أسافل نجد ، ولا ينازعه فيها أحد ، لا عند الكلاْ ولا عند غيره ، وتقول امرأة ابن عروج من قصيدة نبطية :

مشى منْ العارضْ بجيْش يهيفى يتلُوْنُ بنْ عرَوجْ مقدمْ بنى لامْ
ياما انقطعْ فى سَنْتهْ منْ عسيفى ومنْ فاطرٍ تلقطْ على الهجنْ قدّامْ

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم فى الأفول . و بلغنى عن الثقات فى تاريخهم أن سبب ذلك هو الخيانة ، وعدم المبالاة بالعهود والمواثيق والجوار ، وما يتصل بها من عادات حميدة وقد ، انقرضوا وجَلَوْا عن نجد ، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير ؛ فلما دخل القرن الحادى عشر امتد جناحُ عنزة على نجد ، ألقَوا بجرانهم فيه ، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن ؛ فظهرت مطير ، فشاركتهم فى نجد ، فلما دخل القرن الثانى عشر نازعتهم مطير ، وعزموا على إخراجهم منها ، و بدأ النزاع بين الطائفتين عنزة ومطير ، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن ، وكانت الانتصارات فيها لمطير ، وابتدأ النزاع الحاسم فى أوائل القرن الثالث عشر ، و إليك عبارةً من عبارات ابن بشر فى تاريخه فى حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيما ذكره عن الإمام سعود بن

عبد العزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب : وإذا أرادت قبيلة من قبائل بَوَادى نجد العظام كمطير وعنزة وقحطان (تأمل فى هذه العبارة فإنك لا تجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم ، وهم فى أقصى الشمال يرحلون وينزلون فى أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفته ، نشأ على ذلك الصغير ، وشاب فيه الكبير ثم قال : وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير ، والحميدى بن عبد الله بن هذال رئيس عنزة ، وكان هؤلاء أشدَّ البوادى عداوةً بعضهم لبعض ، عند سعود فى صيوانه ، وهو مقيم على الرس ـ البلدِ المعروف فى ناحية القصيم ـ وذلك فى غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ، وتنازعوا بين يديه ، وتفاخروا ، وأظهروا نخوة الجاهلية فقال أحدهما للآخر : أحمد الله على نعمة الإسلام ، وسلامة هذا الإمام الذى أطال الله عمرك بسببه ، وكساك الشيب ، بعد أن كان آباؤك لا يَشيبون ولاينتهون إلى حده ، بل كنا نقتلهم قبل ذلك ، فقال الثانى : أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذى كثر الله بسببه مالَكَ ، وسَلَّمَ عيالَكَ ، ولولا ذلك لم تملك ماهنالك ، ولا نزلت فى تلك الدار ، ولا استقر بك فيها قرَار ؛ فنهض الإمام وزَجَرهم وذكرهم ما أنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات . انتهت عبارة ابن بشر . وانتهت دولة[1] عنزة فى نجد ؛ فقد بدأ النقص فيها حتى تقلص ظلها ، وتغلبت مطير على تلك النواحى من نجد على رَعْى الكلأ والماء ، واستوطنوا أعلاه وأسفله ، حتى إنّ قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا فى المعارك ، فيقول فارسهم : « خيال صبحا جبلى » وصبحا هى الهضبة المعروفة فى عالية نجد التى يقال لها فى الجاهلية «يذبل »

ومحسن الهزانى الشاعر صَاحِب بلدة الحريق فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر صحب الدوشان ، وأكثر من قرض الشعر فيهم ، منهم فى زمنه مِصْلَط الدويش ، ووطبان الدويش ، وعُلَيق الدويش ، قال فى قصيدة نبطية يذكر امرأة من نساء الدوشان :

---

(١) وآخر من غادر نجداً من عنزة : ابن مجلاد ، ولما علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو فى جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك ، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد ، ثم توجه قاصداً بلاد قومه ، وكان له صانع ماهر فى صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له نبطية :

يا هل المهار الصفر والضمر السود   الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطت الخمس بالعود   وانتم عليكم ريها بالعسام

ضبطت الخمس بالعود : يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر ، والعسام هو القتام . المؤلف .

شدّوالها مَنْ فوقْ وثنّاتْ الاجمالْ   فوقْ أشْقَحْ زينْ لمناكبْ اصعيْني
نَصوسْهوم بَيْنْ أبانَاتْ والخال(١)   حاميٖنها بمذلقاتْ العَرَيْنى

وفى أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادى بن قرملة رئيس قبائل قحطان ، وامتد نفوذه فى نجد واتفق مع الدويش فى رَعْى الكلأ وشرب الماء ، وله ذكر حسن مع الولاية فى تاريخ ابن بشر ، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادى ، وأخرج مطيرًا جميعهم من نجد ، فلم ينازعه فى نجد أعرابى ، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها « مُوَيْضى الْبرازِيّة » تؤلب قومها على قحطان :

نجْدًا حَمَيْنَاهَا مِنْ أَولادْ وايلْ   واليومْ عدّونا سَكَنْ وادى الراكْ
أما احتميناها بِحَدِّ السَّلايلْ   والا عطينا الشاة ذوْلا وذولاكْ

أما قول البرازية « سكن وادى الراك » فهى تعنى قحطان ؛ لأن الراك لايوجد إلاّ فى بلادهم ، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب ، كانوا إذا ضعُفت القبيلة وهى فى بلاد غير بلاد قومها ، وعندهم قوم أقوياء ، ذبحوا لهم شاة ، ودَعَوْهم عليها وحالفوهم عند ذلك ؛ فتكون تلك القبيلة منهم

و بقى محمد بن هادى بن قرملة وقبيلته قحطان فى نجد لا ينازعهم فيها أحد ، وكان من أراد الرعى من مطير أو من عنزة أو من حرب أو من عتيبة المقيمين فى الحجاز يأتى إلى هذا الشيخ ، فيأخذ منه الأمان ، ثم يرعى حيث شاء .

حدثنى عثمان الهاجرى — وهو إمام يصلى بمحمد بن هادى وجماعته — قال : كنا مقيمين فى فيضة وادى أوراط فى العتك أيامَ الربيع ، فجاء فى يومٍ واحدٍ خمسٌ من الخيل هَدَايا كلٌّ فرس واحدة مع وَفْد على حدَته يطلبون الجوار والامتداد فى نجد ، قال : وكنا يوماً عند « المضباعة »(٢) أيام الربيع ، فجاءه « تركى بن حميد » من رؤساء قبيلة عتيبة ، وأناخ عند محمد بن هادى بن قرملة يطلب الجوار ، فسأله عن أهله ، فقال : تركتهم على ماءة بُرَيْم الماء المعروف فى أسفل جبل حضن ، وحدثنى فراج بن طويق الحافى قال : ركبنا مع مِصْلَطِ بن ربيعان ، وأهلْنا على ماء الشماس الواقع

---

(١) الخال هو خال الدفينة . انظر كيف توغلت قبيلة مطير فى نجد ، فقد سكنوا فى جميع أنحائها .
(٢) هى جبيل صغير يقع فى الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك . وهى لماء الأنجل أقرب . وتبراك هو الذى يقول فيه جرير :

إذا حلت نساء بنى نمير   على تبراك خبثن الترابا   المؤلف

فى حوى[١] كشب ، وأتينا ابن هادى ، ومعنا جيش وخيل هدايا ، أتيناه على ماءالشعرا نطلب منه الجِوار ، فقال لنـا : أنتم فى وَجْهى ، ارعوا حيث شئتم إلا جبل النيّر ، مَنْ دخله فهو خارج من الأمان الذى طلبه ، وظنى أن هذا الأعرابى يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه .

انظر تقلب الدهر بأهله ؛ فإنه ما كاد ينقضى نصف القرن الثالث عشر حتى غاض معين مجده ، وتقاص ظله ، وأفل نجمه ، ذلك لأنه لم يعبأ بنقض العهد ، وخفر الذّمة ، فاختلف مع قبيلة عتيبة ، وكانوا إذ ذاك يخرجون من تهامة والحجاز كأرْجَالِ الجراد ، ومَن استوطن نجداً لم يرجع ، وكان رئيس برقا تركى بن حميد ، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان ، وكان سبب هزيمة ابن هادى وردّهِ إلى حدوده التى خرج منها فى جهة الجنوب فى بيتٍ واحدٍ من قصيدة نبطيّة لتركى بن حميد وهى طويلة يخاطب فيها ابن هادى حين تغيّر عليهم ، وعزم على ألا يفى بما بينه و بينهم ، وهو أن يؤدى ابن حميد ما تأخذه عتيبه ، و يؤدى ابن هادى ما تأخذه قحطان ، ولـكنَّ ابن هَادى لم يؤد ما أخذه القحطانيون ، فقال تركى قصيدة منها هذا البيْت الذى ذكر فيه خفر الذمّة :

اَدّيْتْ انا ارْبَعْ قحصْ[٢] خامَسْهِنْ التومْ وقعودْ[٣] زبنْ اللى بغىٰ ما حصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة ، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة ، ورئيسهم فى تلك المعارك تركى بن حميد ، وكان الذى هدم هذا العز الشامخ الذى لم ير مثله فى جميع الأعراب هو تركى ابن حميد ، هَدَمه من أسه ، فلم يبق له ذكر .

فأما فى عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمستْ تلك العوائد جميعها ، فلا يحتاج أحد إلى (خوى) ولا إلى (اخاوه) ولا إلى (جار) ولا إلى (عانى) ولا إلى (عِلْقَه) جميع تلك العوائد انقطعت ، وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف ، فإنه لا يعرف مثيلٌ لهذا الأمان لا فى الأوائل ولا فى الأواخر .

ذكروا أن الناس كانوا فى زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الـكبير فى أوائل القرن الثالث عشر يعيشون فى هدوء وأمان فى جميع الأنحاء التى امتدَّ عليها رِوَاقُ ملـكه ، فقالوا : إنه كان فى وادى العقيق أعراب قاطنون على ماء عشيرة ، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوى ، فجعلواهم وأهلُ الماء يَتَسَاجلون ، فقال شاعر الشلاوى :

---

(١) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التى حوتها حرة كشب ، الجبل المعروف فى عالية نجد . ومياه الحوى ثلاثون منهلا تقريباً . (٢) القحص هى الخيل . والتوم : حصان . (٣) وزبن : رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه . وهو فى خفارة ابن هادى .

نَبَا نقضى اللازمْ ونركبْ ركايبنا   واهَلْنا مَنْ الجوبةْ(١) إلَيْنَ القطانيةْ
نَبَا شاعرٍ منكم إلى الصّبْحْ يطْربْنا   قمرْ عَشَرْ واضحْ والثريا رقابيـةْ

فقال الشاعر الثانى الذى من العرب القاطنين على ماء عشيرة وهم من عتيبة :

أنا خايفْ إن الْعِلْمْ ياصَلْ مْعَزّنْـا   يشيله طريْقِىّ عَلَى كورْ عمليّهْ(٢)
تضيعونْ فى نَجْدْ وحنا يعاقْبنا   وحنـا على المالاشْ نَجْعَهْ ولا نيهْ

لاشك أن هذا دليل على الأمان ، فقد خاف الشاعر – وهو على ماء عشيرة – من إمام فى الدرعيّة ، ولـكنه أمان معتدل ، وأما أمان عهدنا الزاهر فلم أر مثله ، ولم أقرأ عن نظيره فى جميع ماقرأت من صفحات التاريخ ، إذ قد مد الأمان جناحه على مقاطعة نجران ، والطرف الثانى على الحدود الشماليّة ، فجميع تلك الأقطار لايوجد فيها قاطع طريق ، وكان اللص يبقى الشهر فى قمم الجبال خشية أن يرى أثره إذا نزل فيؤخذ ، فيقذف فى السجن ، فإذا احتاج إلى طعام بعث امرأته ، والحمد لله الذى أحيانا حتى رأينا هذه الحال .

وقد أطلنا الـكلام على ذكر الحرمل والأنْجَل والمرُّوت وسوفة لـكثره ما يتصل بها من المعارك والأخبار .

* * *

٤٠ — وقال الأعشى صاحب منفوحة (٣) :

مَا بُـكَاءُ الْـكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ   وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةٌ أَقْفَرَتْ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـــفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صباً وَشَمَالِ
حَلَ أهلى وَسْطَ الغَمِيْسِ فَبَادُو   لِى وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةٌ بِالسِّخَالِ
ترتع السفح فالـكثيب فذاقا   ر فروض القطا فذات الرئال

هذا مطلع قصيدة قالها الأعشى فى الأسود الـكندى أحد رؤساء اليمن .

الغميس

الغَمِيس : موضع معروف فى جهة القَصِيم ، ما كان عن بلدة عنيزة غربا وجنوبا جميعُ تلك الناحية إلى قرب رامة يقال له « الغميس » وهو من المواضع التى يحميها أهل عنيزة ، ويدخرون فيها الـكلأ لأغنامهم وإبلهم ، وفيه يوم من أيام العرب ، قال شاعر أعرابى :

(١) الجوبة هى جوبة ركبة المشهورة . والقطانية : بئر تردها الأعراب فى وادى قطان فى الجهة الجنوبية منه . (٢) العملية نوع من نجائب الجيش . سميت العملية لاستعمالها وإرسالها فى الأمور الهامة . والطريق : تصغير طرق ، وهو المتوجه من جهة إلى جهة أخرى (٣) معجم البلدان ٣٠٧/٥

أيا نَخْلَتى وادى الغميس سقيتما   وإن أنتما لم تنفعا من سقاكما
فما تسود الأثل حسناً وتنعما   ويختال من حسن النبات ذراكما

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تعرفه عامة أهل نجد .

أما بادولى فهى معروفة هى والسخال إلى هذا العهد بهذا الاسم .

السخال

السخال : هضبات متصل بعضها ببعض ، حمر ، فى حدود الهضب الشرقية ، طرفها الشرقى خارج من الهضب ، وطرفها الغربى منعقد فيها ، وهى الهضبات التى بها منهل « مأسل » و « مويسل » . ومأسل هذا هو الذى يقول فيه امرؤ القيس :

* وجارتها أم الرَّبَابِ بمأسل *

وهى معروفة بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، يقال لها « السخال » قال ابن مقبل :

حَىِّ دارَ الحى لادار بها   بسخالٍ فأثالٍ فخرم

بادولى

وأما بادولى فهى هضبات قرب السخال ، يقال لها إذا جمعت « بدوات » . ويقال لمفردها « بدوة » معروفات بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال : بنى بدوة ، و بنى بدوات ، وذكروا أن بلاد الروقة كوادى الجرير وجهة كشب أجدبت ، وأخصبت تلك الناحية التى فيها السخال و بنو بدوة ، فانتجعت الروقة الكلأ ، فلما وصلوا إلى بدوة والسخال كأنهم كرهوا البلاد ، فقال شاعر من شعراء الروقة أبياتاً نبطية منها :

وصلتْ بدوهْ وهضباتْ السخالْ وشِفْتْ مشعابْ
وودانىِّ ارجعْ ولا لى بالديارْ اللى وراها
وقودْ أهلْها الدمنْ وإن شاف أبو قبَّاسْ مشهابْ
رمى بعمرهْ عليـــهْ ونَارهم يطفى سناها

أبو قباس : نوع من الفراش يسقط فى النار ، أما مشعاب الذى ذكره فهو جبل يقع فى شمالى الهضبات المذكورة على مسافة يومين . والسفح : يطلق على كل سفح جبل أو على كل سفح وادٍ . والكثيب : يطلق على كل ما ارتفع من الرمل ، وربما كان « السفح » علما على مكان بعينه ، وذو قار : موضع ، وقد تقدم الكلام عليه ، وروض الغضا : فى شرقى القصيم ، ولا أعرفه بهذا الاسم اليوم ، وذات الرئال كذلك ، وقد مضى الكلام عليهما ، وهضبات السخال متاخم لها جبل الحَمَل ، يقع عنها مما يلى مطلع الشمس .

* * *

٤١ — وقال لبيد بن ربيعة [1] :

(١) بيت لبيد وأبيات عامر فى معجم البلدان ٣/٣٧١ وبيتا مليح الهذلى فيه ٣/٣٧٢ .

وأضحى يقتري الحومان فرداً كنَصْل السَّيْفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ

وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعرى هل تَغَيَّرَ بَعْدَنا صَرَائم جَنْبَىْ مُخَيَّطٍ وجنائبه

وهل تَرَكَ الحومان بعدى مكانه وهل زال من بطن الجوى تناضبه

فوالله ما أدرى أيغلبنى الهوى إلى أهل تلك الدار أم أنا غالبُـهْ

فإن أستَطِعْ أغلِبْ ، و إن يَغْلِبِ الهوى فمِثْلُ الَّذِى لاقيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

وقال مليح الهذلى :

وقام خراعِبٌ كالموز هزت ذوائبها يمانيــة زخور

لهن خدودُ جِنَّةِ بطنِ حَوْمَى وللرمل الروادفُ والخصور

الحومان — هذه الأبيات المختلفة الموضعُ المشار إليه فى كل منها واحد ، فهناك فى عالية نجد هضبات متصل بعضها ببعض ، و يطلق عليها أسماء متعددة مادتها الأصلية واحدة ، فيقال لها « الحُومَيّاتُ » و يقال لها « الحَوْم » و يقال لها « الحومِيّة » إذا جاءنا أعرابىٌّ من جهتها فقلنا له : أَين أهلك ؟ و قال : بالحوميات ، ثم جاءنا آخر وقلنا له : أين أهلك؟ قال:بالحومية ، ثم جاءنا ثالث وقلنا له : أين أهلك قال : بالحَوم.؛ فمنزل هؤلاء واحد ، وكلهم صادقون ، وهى معروفة بهذه الأسماء عند عامة أهل نجد لم تتغيّر ، ولون تلك الهضبات بين الحمرة والسَّوَاد .

مخيط — أما مخيط فهو يقع شرقى الحوميات ، موقعُه فى كثيب الصّحة ، جبيل مرتكز طويل معروف بهذا الاسم إلى هــذا العهد ، وهناك جبل آخر فى عرق سبيع فى القطعة الجنو بية منــه يقال له « مخيط » ولا أعلم أيهما قصد الشاعر ، وكلاهما متاخم لجبال الحَوم .

قال كاتب هــذه السطور : الحديث ذو شُجون يجر بعضُه بعضاً ، صحبتُ صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبْد العَزيز آل سعود أثناء خروجه للقنص فى عالية نجد ، فى منزل من منازله على غدير[1] « برة المطلى » وأعراب نجد تسمى منزل الأمير فيصل هناك فى ذلك العام

(١) البرة : قد مضى الكلام عليها ، وهى جبيل صغير منفرد من جبيلات المطلى ، إذا نظرت إليه عن بعد رأيته منفرداً كاليتيم ، وتسميها أعراب نجد اليتيمة ، قال مخلد القثامى يذكر إبله ومرباعها من قصيدة له نبطية :

مرباعها يم الحصــاة اليتيمة ومصيافها عردان تشرب خباريه

وعردان هنا : هو الذى ذكره عبيد بن الأبرص فى معلقته بلفظ عردة .

« مرباع الأوادم » لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن ، وكل شيء تميل إليه النفس ، فأخذت الأعراب تختلف إليه من جميع الجهات ، وكان أكثر ما اصطدناه من أنواع الحبارى فى اليوم الواحد يقدر بستين تقريبا ، أما الظباء فقد اصطدنا منها فى آخر يوم من أيام الصيد عدداً كبيرا ، وكنا بين ماء الأيسرى وجبل الشهبلا شرقى عرق سبيع ، وقد بلغ ما حملناه فى السيارات مائة وستة وستين ظبيا من الآرام الكبار ، وعند انصرافنا إلى منزلنا جاءنا صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل فقال لوالده : هنا خمسة وعشرون ظبياً لم نقدر على حملها ، انظر إلى سياراتنا لا تقدر أن تحمل غير ما حملناها ، فالتفت صاحب السمو الملكى الأمير فيصل إلى أعراب وقوف عندنا ، وقال : خذوها ، ثم ذهبنا إلى منزلنا و بتنا ونحن لا ندرى كيف نصنع بهذا الصيد ، ولما حضرت السيارة التى ستقل سُمُوَّه الكريم إلى مكة دعا ــ حفظه الله ! ــ حاجبه فهد بن غشيان وقال له : فرقوا هذه الظباء على الحاضرين هنا من الأعراب والفقراء ، ولاتبقوا منها شيئاً ، لم يزد على هذه الكلمات ولم ينقص ، وسار إلى مكة .

وهضبات الحوم المذكورة لم تغب عنا يوماً واحداً فى هذا المقنص .

فأما المقنص الثانى فقد كنا على ماءة سجا ، وعنده عيد بن حويريش رجلٌ من المقطة مضحك للملوك والأمراء ، أذكر ليلةً خاطبَه الأمير فتكلم هو ثم نهض وقال : أنا ولد حراث ، ندب أباه فى خطابه ، فسكت الأمير ، وسكت الناس ، فالتفتَ إلى الأمير وقال : ياطويل العمر ، لم لم تقل إذ ذكرت والدى « ونعم » ؟ فقال الأمير : إنى لا أعرف والدك ، ويمكن أن يكون فى هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه ، فتكلم أعرابى من الحاضرين فقال : الذى يستأهل « ونعم » هو الذى أعطى أباك بعيره أيام كانوا فى الحوميات ، فقال الأمير : خبرنا من هو ، فقال : إذا سمح عيد بن حويريش أخبرتكم بالموضوع ، فقال ابن حويريش : أخبرهم ، فقال الأعرابى : جاء عقيد من سبيع من بوادى رنية والخرمة ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر راكباً تقريباً ، فأغاروا بعد غروب الشمس فى جهة الحومية على إبل المقطة ، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويريش . ثم فروا بها فى سواد الليل .

وكان هذا العقيد مجربا تام الحنكة ، وكانت بلده فى جهة الغرب ، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب ، فلما قرب من أخبية حويرش وقومه ومنازلهم ، وهو يقتنص الظباء ، وكان على ظهره ظبي ــ اعترض حويرش الإبل والركب ومعه بندقيته ثم ألقى ظبيه عن ظهره ، وقال : من أنتم أيها الركب ؟ قالوا له : من جماعتكم الدعاجين ، والدعاجين : بطن من عتيبة ، فقال : الحذيه

يوم الله رزقكم ، فالتفت رجل من الركب إلى رئيسهم وقال ، أأقتله ؟ فقال له الرئيس : إن البندقيه إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم ، بل نعطيه بعيراً ، فردوا إليه بعيراً ، فلزمه ، وأناخه ، واندفع الغزاة تحت سواد الليل ، ثم جمع الحبال التى معه ، فعقل أربعة : أى اربع قوائمه ، وأخذ ظبيه وأخفى الجمل عن إخوته خشيةَ أن يطلبوه منه ، واشتغل بالظبي وطبخه ، وأكله ، فلما مضى من الليل ثلثه جاءهم رجل على جمل من مَرْعى الإبل المنهوبة فقال لهم : هل بلغكم الصَّريخ ؟ لم لم تفزعوا ؟ قال له حويرش : ما الخبر ؟ قال : إبلك أخذت ، فقال : إنى قد اعترضت إبلا يَحْدُوها ركب ، ولكنهم يقولون : نحن دعاجين ، وقد أعطونى منها جملا فعقلته هناك ، أظن أنه من إبلى ، فانطلقوا إلى الجمل ، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس ، فقال الأمير للمتكلم : هذا الحديث صحيح ؟ قال : إى والله صحيح أيها الأمير .

أما البرة فتبدو للناظر إليها من بعيد جبلا واحدا ، فإذا وصلها ألفاها جبلين أحدهما أكبر من الآخر ، وفى شعراء العرب من يذكرها مفردة ، ومنهم من يذكرها مثناة ، وهناك موضع آخر فى طريق الذاهب من مراة إلى الرياض يقال له « البرة » ومنهم من يسميه « البرتين » كيحيي بن طالب حين قال :

خليلىّ عوجا بارك الله فيكما   على البرة العليا صدور الركائب

ولكن التمييز بينهما سهل ؛ فالبرة الواقعة قرب سجا يقال لها « برة المطلى » والأخرى يقال لها « برة اليمامة » فإن كان الشاعر الذى ذكرها تميمياً أو حنفياً فهى البرة الواقعة فى اليمامة ، وإذا كان الشاعر عامرياً فهى برة المطلى ، والبرة الواقعة جنوباً عن ماء سجا بمسافة يوم يقع فى شرقيها على مسافة يوم تقريباً جبالٌ سود منعقد بعضها ببعض ، يقال لها رغبة ، والبرة الواقعة فى اليمامة يقع فى شرقيها الشّمالى بلد يقال لها رغبة ، تبعد عنها بمسافة يوم تقريباً ، وهذا من غرائب المصادفات .

* * *

٤٢ — قال ذو الرّمة[١]

سَرَتْ مِنْ مِنًى جنْحَ الظلام فأصْبَحَتْ   بِبُسْيانَ أيدِيها مَعَ الفَجْرِ تَلْمَعُ

بسيان — بسيان : حزم أسود فى ركبة يمر به الصّادر من ماء المحدثة فى وادى العقيق إلى ماء مُرّان ، تراه من بعيد كأنه جبل ، وإذا وصلته وجدته حزماً أسود صغيراً ، وسبب ظهور ارتفاعه أنه فى أرض مستوية وليس حوله جبال ، وكانت به وقعة مشهورة من وقائع العرب ، وهو الذى يقول فيه المساور بن هند :

(١) معجم البلدن ١٨٣/٢ .

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعصَا ونحن قتلنا يوم بسيانَ مسهرا

ومن التصَادف العجيب أنه عند مقتل مسهر الذى ذكره المساور كانت معركة بين العرب فى العهد الحديث ؛ فقد بعث الشريف حسين بن على آخر ولاة مكة سَرِية يرأسهـا « راقى الفرد » من المقطة ومحمد العبّود من القشمة ، وكانت هذه السرية منتخبة من أفضل رجال الحسين فى الشجاعة والرماية ، وكان جلالة الملك عبد العزيز وفقه الله يبعث السرايا لمصادمة سرايا الحسين ، فقد خرج خالد بن منصور بن لؤى أمير الخرمة من بلده لهذا الغرض ، فلما ورد ماء المحدثة عرف أن سرية الشريف المذكورة قد وردت هذا المـاء ؛ لأنه وجد آثار استقائهم وفضلة المياه التى حملوها ظاهرة على وجه الأرض لم تنضب ، ولما كان ذلك الأثر جديداً فقد عزموا على أن يسيروا فى أثرهم ، و بعد مضى ساعة ونصف ســاعة من مسيرهم من ماء المحدثة وصلوهم قريب بسيان فى موضع يقال له « الحرج » فاقتتلوا قتالا شديداً ، وقتلت سرية الشريف عن آخرها ، ولم ينج منهم إلا واحد ؛ فإنه لما رأى الأمر الذى ليس معه حيلة رمى بنفسه بين القتلى ، ولمـا غاب عنه أعداؤه انسلَّ من بين القتلى على قدميه عَدْوًا حتى وصل مناهِلَ وادى العقيق ، ثم نجا بنفسه إلى مكة ، وهو الذى أخبر بقتلهم ، وهم فى انتظار الغنـائم ، وقد قتل راقى الفرد ، وقُتل محمد العبّودى ، وهذان الرجُلاَن فى عشـائرهم يعدل الواحد منهما مائتى رجل ، ولـكنهما غودرا فى ذلك الموضع جزر السباع كما ترك مسهر الذى يقول فيه المساور بن هند :

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعصا ونحن قتلنا يوم بسيان مسهرا

مابين جدة والرياض من المواضع

قال كاتب هذه السطور : إن أغلب المواضع لم تتغير أسماؤها كالجبال والمياه والبقاع ، فإنى إذا سلـكت الطريق من مكة إلى جهـة الرياض ومررت بجبل أو ماء أو أرض وذكرت اسم الموضع تبادرَ إلى ذهنى أن له ذكراً جاهلياً ، وقد عزمت على ذكر الطريق النافذ من جدة على ساحل البحر الأحمر إلى الرياض ، ثم إلى الـكويت على الخليج الفارسى .

جدة

جدة : مدينة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، وشُهْرتها تغنى عن تحديدها ، إذا خَرجْت من جدة متجهاً إلى جهة الشرق أتيت « الرَّغَامَة » قال أهل اللغة : الرغام يطلق على الناعم من التراب ، وقال الأصمعى : يطلق على الرمل الذى لايسيل من اليد ، قالت امرأة من بنى مرة :

أيا جَبَلَىْ وادى عُزَيِّزَة التى نأت عن نَوَى قومى وحُمَّ قدومها
ألا خَلِّيَا تجرى الجنـوبَ لعـله يداوى فؤادى من جواه نسيمُها
وقولا لركبـان تميمية غدت إلى البيت ترجو أن تُحَط جرومها

فإنَّ بأكناف الرغام قريبة مُوَلَّهَةً ثَكْلَى طويلٌ نئيمها[1]

وادى غليل

ولا أعرف فى بلاد العرب موضعاً يقال له الرغام إلا هذا الموضع ، إذا كنت فيه والتفتَّ جهة يمينك رأيت وادياً يقال له غليل ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقال شاعر من مزينة :

أوَ الحَقَ بالعنقاء من أرض صاحة أو الباسقات بين رَوْق وغُلَيِّلِ

فى هذا البيت يحتمل أن الباسقات نخيل وادى فاطمة

وادى سلم

فإذا جعلت الرغامة ووادى غليل خَلْفَك أتيتَ واديا يقال له « وادى سلم » قال يا قوت فى معجمه[2] : ووادى سلم بالحجاز عن أبى موسى ، قال الشاعر :

وهل تَعُودَنَّ لَيْلاتى بذى سلم كما عهدتُ وأيامى بها الأوَلُ
أيام لَيْلَى كَعَابٌ غيرُ عانسة وأنت أمرد معروفٌ لك الغزَلُ

وقال الرضى الموسوى :

أقول والشوقُ قد عادت عَوَائده لذكر عهد هَوًى وَلَّى ولم يَدُمِ
يا ظبيةَ الأنس هل أنسٌ ألَذُّ به من الغداة فأشفى من جوى الألم ؟
وهل أراك على وادى الأراك ؟ وهل يعود تسيمُنَ يوماً بذى سلم ؟

بحرة

وفى أثناء مسيرك فى الطريق تمر ببحرة ، قال فى معجم البلدان : بحرة موضع من أعمال الطائف قرب لِيَة . قال ابن إسحاق : انصرفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُنَين على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بُحْرة الرغا من لية ، فابتنى بها مسجداً ، فصَلَّى فيه صلى الله عليه وسلم ، فأقاد ببحرة بدم ، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل من ليث قَتَلَ رجلاً من هذيل فقتله به . انتهى . وأنا لا أعلم موضعاً يقال له بحرة إلا هذا الموضع ، وقال فى معجم ما استعجم[3] : بحرة موضع ببلاد مزينة ، وقال معن بن أوس المزنى :

تُسَاقِط أولادَ التَّنُّوطِ بالضحى بحيث يُنَاصى صدر بُحرة مُخْبِرُ

قال فى شرح هذا البيت : قال السكرى : مخبر قرية بين عِلاف ومَر .

وقول السكرى يدل على أن بحرة هى المعروفة بهذا الاسم فى عهدنا هذا بين جدة ومكة .

حدة

ثم تخرج من بحرة متجهاً إلى مكة فإذا انعرج بك الطريق بين بحرة والشميسى فانظر على شمالك فإنك ترى قصوراً ونخيلاً ومزارع يملكها صاحب المعالى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان فى موضع يقال له « حده » وهذا هو اسمها الجاهلى ، و إليك الشاهد الواضح قال أبو جندب الهذلى :

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٦٥ (٢) معجم البلدان ١١٢/٥ (٣) انظره ١ / ٢٢٨

بغيتهمُ ما بين حــداء والحشـا وأوردتهم مـاء الأثيـل فعَاصِما

قال السكرى فى شرح هذا البيت : حداء بالحـاء فى طريق جده . وقال ياقوت : حداء وادٍ فيه حصن ونخيل بين مكة وجدة يسمونها اليوم « حدّةٌ » بفتح الحاء .

مر الظهران (وادى فاطمة)

ثم تمرُّ بالوادى الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » . وكان يقال له فى الزمن القديم « مر الظهران » قال عوف بن أيوب الأنصارى الخزرجى :

فلما هَبَطْنَا بطن مَرّ تخزعت خُزَاعـة منا فى حـلول كراكر

حَمَتْ كلَّ وادٍ من تهـامة واحتمت بصُمِّ القَنَـا والمرهفـات البـواتر

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أبا كرة فى الظاعنين رمـيمُ ولم يُشْفَ متبول الفؤاد سـقيم

عَشِيَّةَ رحنـا ثم راحت كأنهـا غمامة دَجْنٍ تنجلى وتغيم

فقلت لأصحابى انفِرُوا إن موعداً لـكم مَرُّ فليرجع على حكيم

قال عرام بن أصبغ السلمى فى كتابه عن جبال تهامة ومياهها : مَرُّ القرية ، والظهران هو الوادى ، و به عيون كثيرة ونخل وجميز ، وهو لأسلم وهُذيل وغاضرة ، قال فى معجم البلدان على ذكر الظهران : الظهران : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها مَرُّ نضاف إلى هذا الوادى فيقال « مر الظهران » وروى ابن شميل عن ابن عوف عن ابن سيرين أن أبا موسى كسا فى كفارة اليمين ثو بين ظهرانيين ومعقداً . قال نصر : الظهرانى يُجَاء به من مر الظهران ، ومر باق بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا ، قرية معروفة فى أعلى وادى فاطمة، تبعد عن عين القشاشية التى اشتراها صاحبُ السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل مسافَةَ يومٍ ، فى الجهة الشمالية الشرقية منها .

الحديبية (الشميسى)

فإذا جُزْت وادى فاطمة أتيت الموضع الذى يقال له اليوم « الشميسْى » وكان يقال له فى الزمن القديم « الحديبية » قال فى معجم البلدان : هى قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحتها . قال الخطابى فى أماليه : سميت الحديبية بشجرة حَدْبَاء كانت فى ذلك الموضع ، و بين الحديبية ومكة مرحلة ، و بينها و بين المدينة تسع مراحل ، وفى الحديث أنها بئر ، و بعض الحديبية فى الحل ، و بعضها فى الحرم ، وعند مالك ابن أنس أن جميعها من الحرم ، وقال محمد بن موسى الخوارزمى : اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم عُمْرَة الحديبية ووَادَعَ المشركين لمضى خمس سنين وستة أشهر للهجرة النبوية .

الرصافة

ثم تندفع من الشميسى وتقطع « الرصيفة » المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى تصغير

رصافة ، وهذا الموضع كان يقال له فى الجاهلية « رصافة » ألا ترى أنهم لما ذكروا الرصافات فى كتب المعاجم قالوا : ورصافة الحجاز ، قال أمية بن أبى عائذ[1] .

يؤم بها وانتحت للنَّجا ء عين الرصافة ذات النجال

وادى فخ (الشهداء)

ثم تخرج إلى وادى الشهداء ، وهذا اسم حديث قتل فيه أناس من بنى هَاشم وقبروا هناك . وقبورهم على شمال الذاهب من مكة إلى التنعيم للاعتمار ، فى شعب صغير ، سموا ذلك الموضع «قبور الشهداء » ثم تركت لفظة القبور ، و بقيت لفظة « الشهداء » وتغلبت هذه الكلمة على جميع ذلك الوادى ، ولا يعرف اليوم إلا بهذا الاسم ، وكان يسمى فى الجاهلية « وادى فخ » قال بلال مؤذِّنُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، لما وَعَكته حُمّى المدينة :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنّ ليلةً بفَخٍّ وحَوْلى إذخِرٌ وجليل

وأشرب ماءً من مياه مجنة وهل يَبْدُوَنْ لى شامة وطفيل

شامة وطفيل فى تهامة ، بين الليث وجدة ، جبيلات لم تتغير أسماؤها إلى هذا العهد

ذو طوى

ثم تجعل الشهداء خلفك قاصداً الَحجُون ، وتمر فى طريقك بذى طوى ، وهى بئر معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموضعها الآن بين بيت الوزير العام للمالية فى هذا العهد الشيخ عبد الله السليمان و بيت أخيه وكيل وزارة المالية الشيخ حمد السليمان ، وقال شاعر من هذيل :

إذا جئت أعلى ذى طوى قِفْ ونادها عَلَيْكِ سلام الله يارَبَّةَ الخدْر

هل العين رَيًّا منكِ أم أنا راجعٌ بِهَمٍّ مقيم لا يَرِيم من الصدر

وقال أبو خراش الُهذَلى :

وقتّلْت الرجال بذى طواء وهدّمت القواعد والعروشا

الحجون

ثم تعرج على الَحجُون ، وهذا اسمه الجاهلى ، ويعرف به الآن ، وقد ذكرته العرب فى أشعارها ، وحسبك بيت الجرهمى الذى شاع وذاع وهو قوله :

كأن لم يكن بين الَحجُون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامر

ثم تتجه إلى جهة الشرق ، فإذا أنت اجتَزْتَ المعمورَ من وادى المعابدة فالتفت على يمينك لترى الطريق الواقع بين قصر صاحب السمو الملكى الأمير فيصل وطرف جبل الخندمة ، إذا انقطع فهناك خمسة مواضع متصلٌ بعضها ببعض أول أسمائها حرف الميم ، وهى : المنحنى ، والمحصب ،

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٥٥

ومنى ، ومحسر ، والمزدلفة ، وكل أسماء هذه المواضع قديمة معروفة بها منذ العصر الجاهلى . قال مليح الهذلى :

تحملن من خمّ وعرجْنَ ساعةً   على الواد بين المنحنى والمحصب

فذكر المنحنى والمحصب .

وقال كثير :

فلما قَضَينا من منًى كلَّ حاجةٍ   ومسَّح بالأركان من هو ماسح
أخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالَتْ بأعناق المطى الأباطح

وقال العرجى :

نَلْبَثُ حولاً كامِلاً كلـه   ما نَلْتَقى إلاّ على مَنْهَـج
فى الحج إن حجت ، وماذا مِنًى   وأهــله إنْ هى لم تَحْجُـج

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ياصاحبىّ قفا نُقَضِّ لُبَانَةً   وعلى الظعائن قبل بينكما اعرضا
ومقالها بالنَّعف نعفِ محسرٍ   لفتاتها : هل تعرفين المعرضا ؟
هذا الذى أعطى مَوَاثق عهدِهِ   حتى رَضيتُ وقلت لى : لن ينقضا

وقال الفضل بن عباس بن عتيبة اللهبى :

أقول لأصحابى بسفح مُحَسِّرٍ   ألم يأن منكم للرحيل هبُوب
فيتبعكم بادى الصبابة عاشق   له بعد نوم العاشقين نحيبُ

وقال ابن حجاج ذاكراً مزدلفة ، ولو وجدنا غيرها لما ذكرناها :

اسقنى بالرطل فى مزدلفَهْ   قهوةً قد جاوَزَتْ حـد الصّفه
ودَعِ الأخبار فى تحريمها   تلك أخبار أتت مختلفـه
ياأبا القاسم باكِرْنِى بها   لا تكن شيخاً قليل المعرفه
إنما الحجُّ لمن حَلَّ منًى   ولمن قد بات فى مزدلفه

حراء (جبل النور)

ثم اسلك الطريق القاصد إلى نجد ، والتفت جهة شمالك ، ترَ الجبل الشاهق الذى كان يقال له فى الجاهلية « حراء » وتسميه العامة فى هذا العهد « جبل النور » ولكنه لايزال مع ذلك معروفا باسمه الجاهلى فى هذا العهد ، قال أبو طالب بن عبد المطلب :

وثور ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانه   وراقٍ ليَرْقَى فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكةٍ وبالله إن الله ليس بغـافِلِ

وقال حسان بن ثابت يذكر وقعة بدر فى قصيدة مطلعها :

عَرَفْتُ ديار زينب بالـكثيب كخط الوحى فى الوَرَق القشيب

إلى أن قال :

بمـا صَنَعَ المليكُ غـداة بدرٍ لنـا فى المشركين من النَّصيب

غـداة كأن جَمْعَهمُ حـراء بَدَتْ أركانه جنـح الغروب

فـلاقينـاهمُ منّـا بجَمْـعٍ كأسْـدِ الغـاب مُرْدانٍ وشـيب

وادى المغمس

وفى أثناء سيرك فى ذلك الطريق تمر على وادى « المغمّس » وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هـذا العهد ؛ قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

إن آيات ربنـــا ظاهراتٌ ما يُمَارى فيهنّ إلا الـكَفُورُ

حبس الفيـلَ بالمغَمّس حتى ظلّ يَحْبُو كأنه معقـور

كلُّ دينٍ يومَ القيامة عند اللـــه إلا دينَ الحنيفـة بورُ

وقال نفيل دليلُ أبرهة من الطائف إلى مكة :

ألا حييت عنـــا يا رُدَيْنَا نعمناكم مع الإصبـاح عينـا

رُدَيْنَـة لو رأيت ولن تريه لدى جنب المغمس مارأينـا

إذاً لعذرتنى ورضيتِ أمرى ولن تَأسَىْ على مافات بينـا

حمدت الله أن أبصرت طيرًا وخِفْتُ حجـارةً تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علىّ للأحْبـاش دينا

وقال ثعلبة بن غيلان الإيادى يذكر خروج إيادٍ من تهامة ، ونفى العرب إياها إلى أرض فارس :

نحن إلى أرض المغَمّس ناقـتى ومِنْ دونها ظهرُ الجريب وراكسُ

بهـا قطعت عنـا الوذيم نساؤنا وغرقت الأبنـــاء فينا الحوارس

وهى قصيدة طويلة . والجريب وراكس قد مضى الـكلام عليهما . والمغمس يعرف بهـذا الاسم الجاهلى إلى هذا العهد .

وادى الشرائع

فإذا جزت وادى المغمس خرجت على « وادى الشرائع » وقد عمره فى العهد الحاضر وكيلُ وزارة المالية الشيخ حمد السليمان الحمدان وقبلت تربتُه جميعَ ما ألقى فيها من بذور .

واسم الشرائع اسم حديث ، وزعم بعضِ المعاصِرين أنها حُنَيْن المشهورة فى التاريخ الإسلامى

والتى ذكرها الله تعالى بقوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وأن تلك العيون هى عيون حنين ، وأنا أقول : إن وادى حُنين ليس فيه عيون ، ولو كان فيه شىء من ذلك لما أغفله أصحابُ السّير ، والصحيحُ أن حنيناً هو الوادى الذى يُحَاذى الشرائع على يمين الذاهب من مكة إلى الطائف ، يَبْعد عن الشرائع إلى جنوبيه بمسافة ثلاثة آلاف متر ، نذكر هذا التحديد مستندين إلى قول صحيح ذكره ابنُ هشام فى سيرته عند ذكر معركة حنين ، قال ابن هشام : ولما نزل المشركون بأوطاس قال دريد بن الصمة،وكان مع هوازن ، وهو شيخ كبير : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا: بأوطاس ، قال : أنزلوا ، نعم مَجَال الخيل ، لا حزن ضرس ، ولا سهل دهس ، فكانت المعركة فيه ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى الآن ، وامتدت المعركه إلى قرب أميال الحرم ، ثم أنهزمت هوازن وامتدت المعركه إلى ما يقارب « الزيمة » .

وأهلُ السير قالوا فى ذكر منزلهم : فنزلوا الشعب من حنين ، ونأخذ من ذلك أنهم نزلوا فى وادٍ وتبين لنا من قصة دريد أن ذلك الوادى هو أوطاس ، وليس ببعيد أن الشعب يقال له أوطاس ، والوادى يقال له حنين ؛ لأن فى شعب أوطاس آثارَ آبارٍ قديمة ، قال الشاعر فى ذكر أوطاس :

يا دَارُ أَقْوَتْ بأوطاسٍ وغَيّرها ... من بعد ما هولها الأمطار والمور
كم ذا لأهلك من دَهْرٍ ومن حِجَجٍ ... وأَيْنَ حَلَّ الدمى والكُنَّسُ الحور
رُدِّى الجواب على حَرّانَ مكتئبٍ ... سُهَاده مطلق ، والنومُ مأسور
فلم تُبَيِّن لنا الأطلالُ من خبر ... وقد تُجَلِّى العماياتِ الأخابيرُ

وأوطاس : من أودية بنى سعد ، قال أبو وَجْزة السّعدى :

ياصاحِبَيَّ انظُرَا هل تؤنسانِ لنا ... بَيْنَ الْعقيق وأوطاس بأحْدَاج ؟

وفى أعراب تهامة مَنْ يسمى الوادى المجاورَ للشرائع من جهة اليمن بحنين إلى هذا اليوم ، قال شاعر من بنى نصر(١) :

نَصَرُوا نبيَّهُمُ وشدوا أزْرَه ... بحنينَ يوم تواكُل الأبطال

وقال خديج بن العوجاء النَّصْرى ، وهو مع القوم المهزومين ، وهم هوازن بنو نَصْر بن معاوية :

ولما دَنَوْنَا من حُنَين ومائِهِ ... رأينا سَوَاداً منكَرَ اللون أخصفا
بمَلْمُومة عَمْياء لو قذفت بها ... شماريخ من عروى إذاً عاد صَفْصَفَا
ولو أن قومى طاوعتنى سَرَاتُهم ... إذاً ما لقينا العارض المتكشفا
إذا مالقينا جُنْدَ آلِ محمدٍ ... ثمانينَ ألفاً واستمدوا بخندفا

---

(١) معجم البلدان ٣/٣٥٤

ثم جُزْ وادى الشرائع ، وأنت على جادّة الطريق ، فإذا انعرج بك الطريق فانظر صَوْبَ يمينك تَر وادياً فى أعلاه ثنيةٌ يخرج سالكها إلى بريّةِ الطائف وجباله ، وهذا الطريق سلكته هوازنُ المنهزمة من حنين ، والأثقال سارت على طريق أزيمة ، وذكروا أن دريد بن الصمة ومَنْ معه لما قربوا من أزيمة خرج من ثنية « يدعان » فارسان من بنى سليم ، فقتلا دريد بن الصمة هناك ، وإذا كنت فى ذلك الطريق ورأيت أزيمة على شمالك فإنك ترى ثنية يدعان ، وهى الطريق المشهور للابل ، واسمه الجاهلى بالياء ، ويقال له فى هذا العهد « جدعان » بقلب الياء جيما ، وهو بسبب من فصيح العربية على ما ذكرنا فى تعليق سابق .

يدعان

وادى أزيمة

ثم اهبط وادى « أزيمة » وهو أول وادى نخلة ، وهو الذى يقول فيه الشاعر المعاصرُ محمد بن إبراهيم بن قرنة :

مَرْتَعى فى بلاد نَخْلة فى الصيـ ـف بأكناف سولة وأزيمهْ

سولة

وسولة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد لم تتغير ، وأزيمة زادتها الألسن لاما فتقول «لزيمة» وقد سألت هذيلاً عن الجبلين الشاهقين المناوحين لقرية الشرائع فقالوا : إن الذى على يمينك يقال له « لبن » والذى على شمالك يقال له « مسعود » فأما مسعود فليس له اسم جاهلى ، وأما لبن فقد كان يعرف فى الجاهلية بهذا الاسم ، قال فى معجم البلدان : لبن جبل من جبال هذيل بتهامة ، قال مسلم بن معبد :

مسعود ولبن

جلاد مثل جندل لبن فيها خبور مثل ما حسف الحساء

وقال الأصمعى : لبن الأعلى ولبن الأسفل فى بلاد هذيل

قبر أبى رغال

وقبل أن تصل إلى « لزيمة » ترى جبالا يقال لها « ردوم لزيمة » وهى التى تعرف فى التاريخ بقبر أبى رغال ، وأقربُ مايكون لتلك المواضع موضع يقال له « ردام » وذكروا أنه بالحجاز قال قيس بن الحنان الجهنى :

أفاخرة على بنو سليم إذا حلُّوا الشَّرَبَّةَ أو رداما

وكنْتَ مُسَوَّداً فينا حميداً وقد لا تعدم الحسناء ذاما

أما الشربّة فهى بعيد عن الحجاز ، وأما ردام فقالوا : إنه جبل بالحجاز

صلب

فإذا اتجهت من قرية « لزيمة » قاصداً السيل رأيت على يمينك جبالا يقال لها « صلب » ولم أجد لها ذكرا ، ولكنهم يذكرون الصلب الواقع فى جهة الصمّان ، وسيأتى الكلام عليه .

المحاصير

ثم تتجه إلى جهة السيل فترى جهة يمينك جبالاً يقال لها « المحاصير » تعرف اليوم بهذ

الاسم ، وكانت تعرف فى العهد الجاهلى بالمحيصر ، قال جرير :

بين المحيصر فالعَـزَّاف منزلة كالوَحْى من عهد موسى فى القراطيس

الغرَّاف : موضع معروف بين نخلة الشامية والمدينة ، لكن هـذا الشاهد ليس بالقوى ؛ لأن قائله ليس هُذَليًا ، ولكنه تميمى ، ويظهر لى أن الغَرَّاف هو الواقع فى بلد الخرج ، وفى جبال المخاصير مواضع يقال لها « رويعات السرف » فأما سرف الذى تضاف تلك الرويعات إليه فهو اسمه الجاهلى ، وهو باق عليه إلى هذا العهد ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

الغراف

رويعات السرف

لم تَكَلَّمْ بالجلهتين الرسُومُ حادثٌ عهدُ أهلها أم قديمُ

سَرِفٌ منزل لسلمة فالظهـران منهـا منازل فالقَصِيمُ

هذا الموضع الذى ذكره عبيد الله بن قيس الرقيات هو الموضع المجاور لوادى نخلة اليمانية التى تضاف إليه رويعات السرف ؛ لأنه قرنه بالظهران ، وسيول تلك الجهة تصب فى مر الظهران الذى يقال له فى هذا العهد وادى فاطمة .

ثم تتجه إلى جهة السيل فيبدو لك جبل « غراب » فتتركه على يمينك ، وهذا اسمه الجاهلى ، قال ابن هشام فى غَزَاة النبى صلى الله عليه وسلم لبني لحيان : خرج من المدينة فسلك على غراب . قال المصنف : أما بنو لحيان فهم قريب من هـذا الجبل ، وأما المدينة فبعيدة منه . قال مَعن بن أوس المزنى :

غراب

تأبد لأى منهمُ فعقائده فَذُو سلم أنشاجه فسواعده

فمندفع الغلان من جنب منشدٍ فنعف غراب خطبه فأساوده

وتمر على يمينك وأنت مُتَّجه إلى السيل فترى جبالاً وأوديةً يقال لها اليوم « الظبيان » وكان اسمها الجاهلى « الظباء » قال فى معجم البلدان : قال أبو بكر بن حازم : الظباء ــ بضم الظاء ــ وادٍ بتهامة ، ثم استشهد بقول أبى ذؤيب الهذلى ــ وهذا الموضع من بلاده ــ قال أبو ذؤيب :

الظبيان

عرفت الديار لأم الدهيـ ـن بين الظباء فوادى عشر

فهذا شاهد قوى على هذا الموضع .

ثم تتجه إلى جهة السَّيْل فترى على يمينك جبالاً يقال لها اليوم « ضهايا » واسمها الجاهلى « ضهاء » قال ساعدة بن جُؤية الهذلى يرثى ابنا له هَلَكَ بهذه الجبال :

ضهاء

لعمرك ما إنْ ذُوضهاء بهَيِّن على ، وما أعطيته سَيْبَ نائلى

وهذا الشاعر الهذلى أضاف ابنه إلى ضهاء لأنه دُفِن فيه ، وقال أميّة بن أبى عائذ الهذلى أيضا :

لمن الديار بعَلْىَ فالأخراص فالسودتين فمجمع الأبواص
فضهاء أظلم فالنطوف فصائف فالنمر فالبرقات فالأنحَاص

استدلَلْنا على تلك الجبال بأشعار أهلها هذيل .

جبل مبارى — وترى وأنت متجه إلى السَّيل جبلا يقال له « مبارى » وأهل نجد يسمونه « مناحى » ولا أعرف موضعاً جاهلياً يعرف بواحد من هذين الاسمين ، بل أعرف جبلا من جبال نخلة اليمانية يقال له « مبعوق » وأستدل على ذلك بقول أبى صخر الهذلى الشاعر المشهور ، والعداء المعروف ، حين قال :

إن المنى بعد ما استيقَظْتُ وانصرَفَتْ ودارُها بَيْنَ مبعوق وأجياد

الوقبة — ثم تسلك الطريق إلى السَّيل ، وتلتفت صَوْبَ يمينك فترى جبل « الوقبة » و به شعب ماء وقْتَ الرَّبيع ، ولكنى لا أعرف الاسم الذى كان يطلق عليه فى الجاهلية

مهير — وترى وأنت متجه فى طريقك جبلاً يقال له « مهير » وهو اسمه من العهد الجاهلى إلى اليوم ، وفيه يقول ساعدة بن جؤيَّة الهُذَلى يصف سحابا :

مزن مسف كجبال النّير أرْوَى حنيناً وذرىٰ مهير

حفايل — ثم تمر على جبل « حفايل » وهو واقع على يمينك ، و به ماء ، وهذا اسمه اليوم وفى الجاهلية لم يتغير . قال أبو ذؤيب الهذلى :

تأبط نَعْلَيْه وشقا مريرةً وقال : أليس النّاسُ دون حَفَايل

الأنسومين — ثم تمر على جبل « الأنسومين » وهكذا يسميهما أهل نجد اليوم ، فأما قدامى العرب فقد كانوا يسمونهما عند التثنية « يسومين » ، و إن أفرد أحدهما قيل له « يسوم » قال شاعر من هذيل:

* حلفت بمن أرْسَى يسوم مكانَهُ *

فذكر أحدهما مفرداً فى الشطر المذكور من البيت ، وقالت ليلى الأخيليّة :

لاتغزوَنَّ الدهْرَ آل مطرفٍ لا ظالماً أبداً ولا مظلوما
قومٌ رباط الخيل وَسْطَ بيوتهم وأسنة زُرْقٌ يُخَلْنَ نجومَا
لن تستطيع بأن تحوّل عزّهم حتى تحول ذا الهضاب يسومَا

وقال شاعر هذلى :

سممت وأصحابى تُحَثُّ ركابُهُمْ   بنا بين ركن من يَسُومَ وفرقد
فقلت لأصحابى : قفوا لا أبا لكم   صُدُورَ المطايا إن ذا صوتُ مَعْبَدِ

هذه الشواهد على إفراد أحدهما ، وقال راجز من هذيل فى تثنيتهما بهذا الاسم :

ياناقُ سيرى قد بَدَا يسومان   واطريهما يبدو أقنانُ غزوان

جبل هلال — ثم تلتفت ناحية يمينك وأنت متجه إلى السيل فترى جبل « هلال » بضم الهاء ، قال فى معجم البلدان[1] :هو بضم الهاء وآخره لام ــ هُلَال: عَلم مرتجل ، ثم قال: و به شعب يجيء من السَّراة من ناحية يَسُوم . هذه رواية صاحب معجم البلدان ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو قريب من جبل يَسُوم .

ثم تسير فتجد الشِّعْب الأحمر على يمينك ، ولم أجد لهذا الجبل ذكراً فى كتب اللغة . ثم تمر على جبل الكفو وأنت متجه إلى السيل ، و به وادٍ تَصُبُّ منه سيول وادى المحرم ، وهذا اسمه القديم ، ذكره الرداعى الذى رسم الطريق من صنعاء إلى مكة فى أرجوزة له حين قال : — جبل الكفو

توارك للكفو واليَسُوم   قواصداً للمسجد المعلوم
لضيعة الطَّلْحى مستقيمة   صادرة مِنْهَا تؤمُّ زيمه
ثم على سبوحة القديمة

ذكر هذه الأرجوزةَ الهَمْدَانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » وفى هذه الأبيات فوائد فإنه ذكر فيها الكفو ، و يسوم ، وضيعة الطلحى ، وهى المزارع التى تَصِلها قبل أزيمة إذا قصدت مكة ، وذكر أزيمة ، وذكر سبوحة ، وسبوحة هى المزارع التى تمر عليها إذا كنت قاصداً مكة بعد خروجك من أزيمة . — سبوحة

ضلع البنت — ثم تطلع على ضلع البنْت، وهو جبل على يمينك، ولم أعثر على هذا الاسم بين الأسماء الجاهلية فلعله يسمى اليوم باسم غير اسمه القديم .

جبل عقل — ثم تمر وأنت قاصد السَّيْل فتجد جبل « عقل » عن يمينك ، وهذا اسمه الجاهلى ، ولا يزال يعرف به إلى الآن لم يتغير ، قال شاعر جاهلى من أهل تلك الناحية :

قتلت بهم بنى ليث بن بكرٍ   بقتلى أهل ذى حزنٍ وعَقْل

جبل كتف — ثم تمر على جبل كتف ، وهذا اسمه اليوم ، ولم أجد له ذكراً فى أمهات المعاجم القديمة ، فلعلهم أغفلوه لأنهم لم يرووا فيه شعراً ، أو لعلهم كانوا يسمونه اسْماً آخر .

هذه الجبال التى تمر بها عن يمينك من « أزيمة » إلى « بهيتة » وأما التى تكون عن شمالك

(١) معجم البلدان ٨ / ٤٧٠

جبل الأبرة فمنها جبل « الأبرة » وهو المُطِلُّ على بلاد القناوية ، وهناك جبلان قريبان منه ، مُطِلَّان على قرية

أبام وأبيم أزيمة ، يقال لأحدهما « أبام » وللآخر « أبيّم » قال شاعر من أهل تلك الناحية :

وإن الذى بالشعب بين أبيّم ... وبين أبام شُعْبَةٌ من فؤاديا

وقال ساعدة بن جُؤَيّة الهُذَلى غير أنه أسقط الهمزة :

تحمّلن أظعان الأحبّة بالضحى ... على إثرها أغنامها ورعاتها

سلكن نقاباً بين بام و بيّم ... ولا وقفت قبل الأصيل حُدَاتُهَا

جبل المسعودية فإذا تركت خلفك باماً و بياً متجهاً إلى جهة السَّيل على شمالك مررت بجبل المسعودية وجبل

وجبل العوصاء العوصاء ، فأما العوصاء فهذا اسمها فى هذا العهد ، وهو اسمها فى الجاهلية أيضا ، وفى أخبار بنى صاهلة :

كانت إبل عمرو بن قيس الهذلى هاملة بشعب من شعاب العوصاء ، ولها قصة طويلة ، وأوردوا فى آخر القصة قول عمرو بن قيس الهذلى :

أصابك ليلة العوصاء عمداً ... بسهم الليل ساعدة بن عمرو

جبال مرخة ثم تتجه إلى جهة السيل فتأتيك جبال « مرخة » السفلى ، ثم جبال « مرخة » الوُسْطَى ، ثم جبال « مرخة » العُلْيا . وهذه أسماؤها فى هذا العهد ، وهى أسماؤها فى الجاهلية أيضا . قال صاحب معجم البلدان[1] : المرختان موضع فى أخبار هذيل وأشعارها ، خرج منها عمرو بن خويلد الهذلى فى نفرٍ من قومه يريدون بنى عَضَل ، وهم بالمرخة القُصْوَى اليمانية ، حتى قدم أهلاً له من بنى قريم بن صاهلة ، وهم بالمرخة الشاميّة ، فهذا دليلٌ على أن هناك أسماء قديمة لتلك المواضع ،

جبل البراق وفى مرخة الوسطى جبل يقال له « البراق » وهذا اسمه الجاهلى ، قال حميد :

أرَبّتْ رياح الأخرجين عليهما ... ومستجلَب من ذى البراق غريب

جبل العمود و بين المرخة الوسطى والعليا جبل « العمود » و يعرف بهذا الاسم فى يومنا هـذا ، وهو اسمه القديم أيضا ، ذكره صاحب معجم البلدان .

جبال عشر وعلى شمالك وأنت متجه إلى السيل جبال يقال لها « جبال عشر » وهذا اسمها فى هذا العهد ، وهو اسمها القديم الجاهلى أيضا ، قال فى معجم البلدان[2] : وعُشَر شعب لهذيل ، يصب من داءة ، يحجز بين نخلتين ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

عرفْتُ الديار لأم الدهيـــن بين الظباء فَوَادِى عُشَرْ

«١» معجم البلدان ٨ / ١٩

«٢» معجم البلدان ٦ / ١٧٩

وفى تلك الجبال جبل يقال له « خيشان » فى هذا العهد ، واسمه القديم خيش ، قال عمر ابن أبى ربيعة :

جبل خيشان

تَرَكُوا خَيْشا على أيمانهم ... ويَسُوماً عن يَسَار المنجِدِ

قال فى معجم البلدان عن نصر : خيش جبل بنخلة ، يُذْكر مع يسوم .

ثم تجوز الأنسومين اللذين كان يقال لهما فى الجاهلية « يسومان » فتجد على شمالك جبل « قردد » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلى أيضاً ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وأورد منها أحسن شاهد ، قال مالك بن نمط الهمدانى لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد هَمْدان وأسلم وكتب له كتابا ، قال :

جبل قردد

حلفت برب الراقصات إلى مِنًى ... صوادِرَ بالرُّكْبَان من هَضْب قردد

بأنَّ رسولَ الله فينا مُصَدَّق ... رسول أتى من عند ذى العرش مُهْتَدِ

فما حملت من ناقةٍ فوق رَحْلها ... أبرَّ وأوْفَى ذمةً من محمّد

وأعطى إذا ما طالبُ العُرْف جاءهُ ... وأمْضى بحَدِّ المَشْرَفِى المهنّدِ

ثم تسير فى طريقك جاعلاً عن شمالك جبل « حبين » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلى أيضاً ، قال رافع الهذلى :

جبل حبين

ونحن أخذنا ثأر عمك بعد ما ... قتلناهُمْ بالهَضْب هضب حبين

وهناك مواضع أسماؤها تقارب هذا الاسم ، وكلها واقعة فى اليمن ، وهى : حبونى ، وحبونن ، وحبيًّا . والباقى منها بهذا الاسم فى جهة اليمن على ما أعرف : حبونا ، وحبيّة .

ثم تتجه إلى السَّيْل ، وعلى شمالك جبل يقال له « ضهية » ضهية العرقوب ، أما ضهية فهذا اسمه اليوم ، واسمه الجاهلى الضهيأ ، وإليك عبارةَ صاحب معجم [1] البلدان : قال أبو منصور : الضَّهْيأ شعبان قبالة عُشَر من شق نخلة ، وبينها وبين يَسُوم جبلٌ يقال له المرقبة ، قلت : وظنى أن هذا هو جبل العرقوب . وهو آخر جبال نخلة اليمانية المذكورة فى أشعار الجاهلية ، ولم نستقص الجبال التى لم يورد لها ذكر .

ضهية

فإذا جُزْت وادى نخلة طلعْتَ على وادى قرن ، وهو وادى السَّيْل ، وهو ميقاتُ أهل نجد ، يقال له « قرن المنازل » ويقال له « قرن الثعالب » بسكون الراء ، وهو الذى يقول فيه عمر ابن أبى ربيعة :

قرن المنازل

(١) معجم البلدان ٥/٥٤٣

ألم تسأل الرّبع أنْ ينطقا بقَرْنِ المنازل أن يخلقا

وهو معروف عند جميع الناس بقرن المنازل ، وتعرفه العامة بوادى السيل ، وأما وادى قرن الذى فى أعلاه فهو ميقات أهل اليمن ، وميقات الطائف ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

لا تعمرنّ على قرن وليلته لا إن رضيت ولا إن كنت مغتضباَ

هذا شاعر مرّ على رجل من قريش بَنَى داراً بقَرْنٍ ، و بنى عندها مسجداً ، فقال قصيدة منها هذا البيت الذى ذكرناه .

قال كاتب هذه السطور : كنت فى قَرْن المنازل يوماً مع فضيلة الشيخ عبد الله السليمان البليهد ـ رحمه الله ! ـ ونحن جلوس على حجر فى ضفة وادى قرن مما يلى الغرب ، فالتفَتَ عن يمينه ونحن متوجهون إلى القبلة ثم قال : أُنظر هذا الجبل الأحمر ، هذا هو قرن الذى سمى الوادى به

المناقب

أقول : وهذا الوادى مُطِل عليه ثلاثة أنقابٍ كانت تسمى فى الجاهلية « المناقب » يسميها الناس فى هذا العهد « الريعان » أما منقبة الأولى فهى تخرج إلى الطائف ، وتمر على قران وادٍ وجبيلات فى جهة السيل الصغير ، لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى يقول فيها الرداعى اليمانى لما رسم طريق مكة من صنعاء ، وهى أرجوزة طويله :

وخلفت قران [1] للمناقب وشربا فى جنح ليل واقب

المنقبة الثانية هى التى تسمى اليوم « ريع الصهلوج » ينفذ إلى ماء القرشية وسامودة والمبعوث وتلك النواحى .

المنقبة الثالثة الريع السالك إلى نجد ، المُفْضى إلى عشيرة ، قال صاحب معجم البلدان [2] : المناقب جمع منقب ، وهو موضع النقب ، وهو اسم جبل معترض حول قرن المنازل . قالوا : وسمى بذلك لأن فيه ثنايا وطرقاً إلى اليمن و إلى اليمامة و إلى أعالى نجد و إلى الطائف ، وفيه ثلاث مناقب وهى : العِقاب ، مفردها عَقَبة ، يقال لأحدها : الزلاّلة ، والأخرى فِبْرَين ، والثالثة البيضاء ، قال أبو جُرَيَّة عابد بن جويه النصرى :

ألا أيها الركب المخبون هل لكم بأهل العقيق والمناقب من علم ؟
فقالوا : أعن أهل العقيق سألتنا أولِى الخيل والأنعام والمجلس الفخم ؟
فقلت : بلى إن الفؤاد يهيجه تذكر أوطان الأحبة والخدم

(١) قد حددناه تحديداً شافياً فى آخر كتابنا هذا عند كلامنا على عكاظ ، وهو باق بهـذا الاسم إلى هذا العهد . (المؤلف) (٢) معجم البلدان ١٦٦/٨

ففاضت لما قالوا من العين عَبْرَة ... ومن مثل ما قالوا جَرَى دَمْعُ ذى الحلم
فظَلْتُ كأنى شارب بمُدَامةٍ ... عقار تَمَشَّى فى المفاصل واللحم

وقال عوف بن عبد الله النصرى :

وخَذَلَ قومى حَضْرَمِيَّ بن عامر ... وأَمْرَ الذى أسدى إليه الرغائبا
نهاراً وإدلاج الظلام كأنه ... أبو مدلج حتى يَحُلُّوا المناقبا

وقال أبو جَنْدل الهذلى أخو أبى خِراش :

أقول لأم زنباع : أقيمى ... صدورَ العِيس شَطْرَ بنى تميم
وغربت الدعاء ، وأين مِنِّى ... أناس بين مَرَّ وذى يَدُوم
وحَيٌّ بالمناقب قد حَمَوْهَا ... لدى قران حتى بطن ضيم

ثم اسلك الريع للطريق العام السالك إلى نجد ، فإذا علوت تلك الجبال المرتفعة قبل أن تصل إلى عشيرة فارْفَع بصرك تر رأس الطراة كأنها قطعة من الغيم ، حَرَّة سوداء تقع فى الجهة الشمالية من ماء عشيرة ، وهذا اسمها الجاهلى ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال الفرزدق :

فى جحفل لَجِبٍ كأن زهاءه ... جبل الطراة مُضَعْضع الأميال

وقال تميم بن مُقْبل يصف سحاباً :

فأمسى يَحُطّ المعصمات حَبِيّه ... وأصبح زيَّاف الغمامة أقمرا
كأن به بين الطراة وراهق ... وناصفة السوبان غاباً مسعرا

فإذا رأيت آبار عشيرة وقصر البنزين فالتفت على شمالك تر « بس » حَرَّة سوداء ، تراها وأنت منحدر إلى الماء متجه إلى وادى العقيق ، ولا تزال معروفةً بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال عباس ابن مرداس السُّلَمى فى يوم حنين :

حرة بس

هَزَمْنَا الجمع جمع بنى قسىٍّ ... وحكت بَرْكَهَا ببنى رئاب
ركَضْنَا الخيلَ فيهم بين بس ... إلى الأورال تنحط بالنهاب
بذى لجب رسولُ الله فيهم ... كتيبتُهُ تعرض للضراب

وقال العاهان :

بنون وهجمة كإشاء بس ... صفايا كنة الآبار كوم

وقال رجل من بنى سعد بن بكر :

أبت صحف القَرْبى أن تقرب اللوى ... وأجراع بس وهى عم خصيبها

أرى إبلى بعد اشتمات ورتعةٍ ترجع سَجْعاً آخر الليل نيبُهاَ
وأن تهبطى من أرض مصر لغائط لها بهرة بيضاء رباً قليبها
وأن تسمعى صوت المكاكى بالضُّحى بغناء من نجدٍ يساميك طيبها

وقال الحصين بن الحمام المرى :

فإن دياركم بجنوب بسٍ إلى ثقفٍ إلى ذات العضوم

فإذا خرجت من عشيرة سالكا طريق نجد وسرت نصف ساعة فى السيارة فالتفت صَوْبَ شمالك تر رأس بسيان كأنه جبل عظيم ، فإذا وصلته وأنت قاصدُه وجدته حزماً أسود ليس بالكبير وهذا اسمه الجاهلى ، وكانت به وقعة لبنى قُشَير على بنى أسد ، قال دريد بن الصمّة :

رأس بسيان

رَدَدْنَا الحى من أسَدٍ بضَرْبٍ وطعن يترك الأبطال زورا
تركنا منهمُ سبعين صرعى ببسيانٍ وأبرأنا الصدورا

وتلك المواضع كانت تنتابها اللصوصُ من عهد قديم إلى قرب منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ، وحينما تولّى جلالة الملك الحجاز انقطع دابر اللصوص من تلك النواحى ، وكان من عاداتهم أنهم يسرقون الحاج عند دخولهم مكة وعند خروجهم منها ، وخذ هذه الأبيات لسليمان ابن عياش ، وكان لصاً :

تقر لعينى أن ترى بين عصْبةٍ عراقية قد جز عنها كتابها
وأن أسمع الطُّرّاق يلقون رفقة مخيمة بالسّى ضاعت ركابها
أتيح لها بالصحن بين عنيزة وبسيان أطلاس جرود ثيابها
ذئاب تعاوَتْ من سُلَيم وعامرٍ وعَبْس وما يلقى هناك ذئابها
ألا بأبى أهل العراق وريحُهم إذا فتشت بعد اطراد ثيابها

هذا اللص أتاه السرور من جهتين : الجهة الأولى : أن الحجاج المخيّمين بالسّى ضاعت ركابهم ويمكنهم أن يتداعَوْا لنهبهم من كل ناحية كما قال فى شعره :

ذئاب تداعت من سليم وعامرٍ وعبس وما يلقى هناك ذئابها

الجهة الثانية : أنهم إذا فتحوا العياب بعد أخذها وجدوا الثياب العراقية والأطياب العراقية وهذا الموضع الذى يقال له « السى » هو القطعة الواقعة بين منهل مران ومنهل المحدثة ، قال فى معجم البلدان لما ذكر السى : هو عَلَم لفلاة على جادّة البصرة إلى مكة ، يأوى إليها اللصوص وهو فى القطعة الشمالية من ركبة ، وهو فى القسم الذى يسمى وجرة ، قال جرير :

إذا ماجعلت الشى بينى و بينها　　وحرة ليـلى والعقيق اليمانيـا
دَعَوْت إلى ذى العرش ربِّ محمد　　ليجمع شـعباً أو يقرّب نائيا

واللصوص تجتمع فى تلك الناحية لانتظار الحاج ؛ لأن هذه الأرض هى المتاخِمة لريعان مكة وبها يقرب الحاج ، وأما الأرض النائية فهى تتسع على اللصوص و يمكن أن يخطىء اللص الحاج فيها ، واللصوص تفضّل حواج العراق على غيرها ، أو حواج عمان ؛ لأن فى حجاج البلاد النائية غرة ولا يحسنون الاحتفاظ من اللصوص، وأما حجاج البلاد القريبة فهم يحتفظون من اللصوص أى احتفاظ ويحرسون منزلهم من أول الليل إلى آخره .

وفى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر كان ثمة جماعة من اللصوص البارعين كانوا أجرأ من جَحْدر وغيره من الذين لهم ذكر ، وأكثر لصوص تلك الناحية من قبيلة الشيابين ، ذكروا أن شويمى الشيبانى فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة كان من اللصوص البارعين فى اللصوصـية والفتك واستلاب الأموال ، وذكروا أن حرس حاج العراق أمسكه مرة ، والباشا المحافظ على الحاج يقال له « عثمان » فأسروا شويمى ، ورحلوا به إلى عرفة أسيراً ، وكان من العَدّائين ، وقد جمعوا يديه إلى ظهره ور بطوهما بحبل ، وجَمّالتهم من هذيل و بنى سفيان ، و بينا هم يسيرون فى عرفة إذ هرب ، فركبوا الخيل على أثره ففاتهم عَدْوًا ودخل جبلاً من جبال عرفة ، فقال عند ذلك قصيدة نبطية منها :

حمدت اللى وقانىْ منْ هذيلْ ومن بنى سفيانْ　　مربطة أيدينى بالحبال وطلقْ رجليَّـه
بعد صكوا علىَّ الجيشْ الأدهمْ بشروا عثمانْ　　كسى إللى بشروه دفافْ والحقهـم رياليـه
رمونى رميــة منها العطبْ وأنا ولد شـيبانْ　　ونجـانِى وليّ العـرشْ ماجا فى أماريّهْ
وخلونى ورا ضلع القرينْ ومن تحتْ نعمانْ　　وطراهم ذبحتى لاشكْ ربى مارضىْ فيّه
كنّى مقطع العانى واعينه واشبـع الجيعان　　بحقى دون وجهى واجب تتميم عانيّه
وانا مالى بعارين ولا معزى ولا لى ضان　　يقع ماحصلت يمنایْ فى وسط الحراميه

ثم أُخِذَ هذا اللص مرة ثانية ، فأسر وقطعت يده ، فتأثرت قبيلة عتيبـة القاطنة فى نواحى الحجاز ، فقالت مرسى العطاوية الشاعرة قصيدة نبطية منها :

شويمى معرفه مار ذكره يجينى　　جلعنك ما تستاهل القطع يمناه
ياما قطع من راس كبش سمين　　وله دلة دايم على النار مركاه

ومن اللصوص المعروفين شنبر بن كاحل ، من الشيابين أيضا ، من قبيلة ذوى خليفـة ، وهو

لص محنك ، قال لى بعض أصحابه من الحاضرة ممن يستعمل طريق مكة للاتجار و يأخذ شنبرا «رفقا» عن قبيلته عتيبة ، إذا ورد الحضرى صاحب شنبر ماء سجا وجد شنبرا فى انتظاره ، قال لى : فإذا دخلت مكة غاب فلم أره ، فإذا قرب رحيلى أتانى وواعدنى مَنْهَلَ البرود الواقع فى وادى المغمس النافذ على طريق جدعان ، فإذا أتانى كان معه أربعة جمال أو خمسة أو ثلاثة مُوقَرة من الأرز وغيره من المواد الغذائية ، قال كاتب هذه السطور : حججت سنة ١٣٣٢ وحينما دخلنا أول ركبة ونحن نحرس ، ولا يمضى علينا ليلة إلا وقد طردنا فيها اللصوص نحن ثلاث مرات أو أربع ، إلى أن دخلنا الربع ووصلنا الأرضين المحفوظة بضمانة أهلها ، ويقال لها المدارك : مدرك بنى فلان ، ومدرك بنى فلان ، فلما انقضى الحج تأخر حاجُّ مدينة شقرا ، وعزمنا نحن على الخروج من مكة ، فتواعدنا منهل البرود ، فلما اجتمعنا عليه جميعُ أهل قرى الوشم وأهل الشعراء والدوادمى مشى بعضنا إلى بعض ، و بحثنا فى مسألة الخوىّ الذى من عتيبة نربط به العانى حتى نصل بلادنا ، فقال بعضنا لبعض : كل خبرة معها عتيبى وتربط عانيها به ، فلا تعلم الأعراب أن ليس معكم أحد ، فنفَّذنا هذه الرغبة ، وكان الذى معى من عتيبة هزاع أبو ثنية من قبيلة الروسان ، وليس له قبيلة حجازية وعندى شك فى أنه يستطيع أن يمنعنا فصرحت له ، فقال : لا تخف ، سَلْم قبيلتى سأمشى عليه ، ولو أنى رجل واحد ، وكان شنبر اللص الذى مر ذكره مع صاحبه عبد الكريم الخراشى من أهل أشيقر ، وأنا أرغب أن أعلق عانينا عليه ، وهو مع رفقائه أهل بلد أشيقر يبلغ عددهم ثمانين رجلا وإبلهم يبلغ عددها مائتين تقريبا ، وكان رؤساؤهم يركبون الركاب نحو عشر من الهجن ، وشنبر ورفقاؤه مع الحملة ، فإذا جاء آخر الليل عملوا خبزاً من الثريد وقسموه إلى نصفين : نصف يضعونه فى مطبقة من المعدن خلفهم ، ونصف يجتمعون عليه كلهم : أهل الحملة وأهل الركاب ، فقال شنبر لرفقائه : الثريد الذى يرفع أين يذهب به ؟ قالوا : يأخذه أهل الجيش معهم فيضحون عليه إذا انتصف الضحى عند مايشربون القهوة ، فقال قصيدة نبطية منها :

يا قرص ياللى تقفاه الخراشى راح قسمين   قسم يحطه خلاف وقسم حطه فى جرينه
يالربع خوفوا من الله والحقوا بالقرص عجلين   لا تشعبون الركاب وكل ساعة فارسينه

قال أهل الركاب لشنبر الشاعر : نبا نستفزع بابن بليهد فيجيبك على كلامك هذا ، فقال لرفقائه أهلِ الحملة : إذا رأيتم ابن بليهد فأخبرونى ، فمررت بهم وهم فى وادى أم الخروع بين الربع وماءة عشيرة ، فما شعرت إلا وهو يدعونى ، فأتيته ، فوجدت رجلاً طويل القامة قد وخَطه الشيب عاريا من اللحم ، كأنه سبع ، فقال : إنى قصدت لى قصيدة وأحببت أن أسمعكها ، قال ذلك وهو

را كب على جمل بين كيسين من القهوة ، فقلت : أسمعنى إياها ، فنهض واعتدل ثم رفع صوته بها حتى أتى على آخرها ، فسمعت قصيدة لم تـكن لتصدر إلا عن شاعر بليغ ، فقال بعـد انتهاء القصيدة : ترانى داخل على الله ثم عليك ، اتركنى أنا وأهل أشيقر ، قلت : على شرط أن نـكون فى وجهك أنا ورفقائى حتى نصل الشعراء ، قال : لا ، بل حتى تصلوا بلدكم ذات غسل ، وكان معنا خبرة حاج من أهل حوطة بنى تميم ليس معهم رفيق ، وعند شنبر خبر بذلك ، فقال لهم : علقوا علىّ أن أمنعكم من اللصوص ، فأبوا ، فلما وردنا ماء عشيرة ، وكانت عادة منزلة الحاج كالحلقة للتحفظ ، وكان منزل أهل الحوطة فى جهة المنزل الشرقية ، وكان وراءهم ثنية تطلع على الحرة على طريق نجد يقال لتلك الثنية « سنيد » ومنزل أهل الحوطة بين منزل شنبر و بين ريع سنيد ـ فلما صلينا المغرب ارتفع شنبر ونحن على ماء عشيرة على أكمة صغيرة ورفع صوته قائلا : يا من حولنا بالشعيب ، إن كنتم تبغون العشاء تراه بيننا و بين سنيد ، إشارة إلى الخبرة التى بيننا و بين سنيد أنهم ليس معهم رفيق ، فلم يكمل صوته إلا ولأهل الحوطة صياح من كثرة اللصوص ، ثم نادوا شنبرا فقالوا له : نحن فى وجهك ، فنادى نداء ثانيا فقال : ليس بيننا و بين سنيد لـكم عشاء ، بل العشاء عندنا ، فأتى اللصوص من كل ناحية نحواً من عشرين نفراً ، وأكلوا معنا ، و باتوا عندنا .

ركبة

نرجع إلى موقفنا فى تلك القطعة ـ هذا أول ركبة ، ونحن بين عشيرة والعرف ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال صاحب معجم البلدان[١] : إنها أرفع موضع فى نجد ، وفى كتاب فضائل مكة لأبى سعيد المفضل بن محمد بن تميم الجندى الهمدانى بإسناد له أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لأن أخطىء سبعين خطيئة بركبة أحبُّ إلىَّ من أن أخطىء خطيئةً واحدة بمكة » وجهتها الشمالية يقال لها « وَجْرة » وقد مضى الـكلام عليها .

العريفة

فإذا اندفعت قليلا ، و بَدَا لك أوَّل العرف فانظر على يسارك تر قطعة منه يقال لها «العريفة» وهى التى يقول فيها براك بن سحمان الشيبانى من أبيات نبطية :

يااليتنى مع شارعْ [٢] التَّومْ وفهيدْ　　مَنْ فَوْقْ عَيْرات تقارَعْ ابْدَرْها[٣]
وَ بْيُوتهم يَمْ الْعريفَهْ مَشَاييدْ　　فى رَقَّةْ ما حْلى تَخَالُفْ زَهَرْها

والعرف ، والعريفة : بريثات صغار وحجر كأنه حجر حَرَّة ، والعرف هذا هو الذى ذكره ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلى حين قال يذكر غزالا :

---

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٧٨　　(٢) شارع التوم : رئيس من الشيابين ، وفهيد : هو الخضرى أبو محمد العقيد المشهور . مؤلف　　(٣) العيرات : الجيش ، والبدر : هى القرب .

فإن تتق بالعرف عن عين قانصٍ وقد جَنَّه عنها شرى وجلامد
يُراقبها غارى الأشاجع كامناً يراها وقد ضاقت عليه الفدافد

وفيه يقول الكميت بن زيد الأسدى[١] :

أأبكاك بالعرَف المنزلُ وما أنت والطلل المحوِل ؟
وما أنت ـ ويك ! ـ ورسم الديار وسنك قد قاربت تكمل ؟

وقال عباس بن مرداس السلمى[٢] :

خفافية بطن العقيق مصيفها وتحتل فى البادين وجرة والعرفا

جبل حضن

فإذا جُزْتَ العرف متجها إلى جهة الشرق وأنت فى بطن الجوبة جوبة ركبة فالتفت على يمينك تر حَضنا قد سدَّ الأفق اليمانى ، قال فى معجم البلدان[٣] : هو اسم جبل فى عالية نجد ، وهو أول حدود نجد ، وفى المثل « أنجد من رأى حضنا » قال جرير :

لو أن جمعهمُ غداةَ مخاشن يُرْمَى به حَضَن لكاد يزول

وقال يزيد بن حداق فى أخبار المفضل الضبى :

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا
أكابن المعلى خلتنا وحسبتنا صراريَّ نعطى الماكسين مكوسا
فإن تبعثوا عيناً تمنى لقاءنا يرم حضنا أو من شمام ضبيسا

الحلمة

وحضن : من أشهر جبال نجد ، فإذا اندفعت مع الجوبة فى بطن ركبة ساعةً فى السيارة ، فانظر صوب شمالك تر « برثا » كأنه حرة ، هذا البرث يقال له الحلمة ، ويتصل به بربثات ، قال فى معجم البلدان : الحلمتان موضع[٤] ، ولم يزد عن هذه العبارة ولم ينقص ، ولكن الشاهد القوى على ذكر الحلمة هو قول اللص المحاربى ، وهو يلتمس الحجّاج فى تلك القطعة من الأرض ، يقول فى أرجوزة له :

نلتمس الطّراق وقت العتمه وللسباع وَهَج وَهَمْهَمَهْ
فى مَهْمَه يجيزه مَنْ علمه ونهتدى فيه برأس الحلمه

جبل كشب

فإذا حاذيت الحلمة على شمالك فارفع بصرك إلى الشمال تر «جبل كشب » قد اعترض كأنه قطعة من الغيم ، معترض من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، به حِرار عظيمة ، و به مناهل سائحة

(١) معجم البلدان ٦ / ١٥٠ (٢) معجم البكرى ٩٣٣ .
(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٩٥ (٤) انظره ٣/٣٢٢

على ظهر الأرض ، ومن أشهر مياهه المحطة المشهورة لحاج العراق ، وهى منهل مرّان الذى هلك عليه عمرو بن عبيد المعتزلى ، وقبره هنـاك ؛ فأما جبل حضن فهذا اسمه اليوم ، وهو اسم جاهلى . وأما جبل كشب فهو اسمه الجاهلى ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، قال بَشَامة بن عمرو :

* فمرت على كَشْبٍ غداة وجاوزت *

جبل بريم

فإذا انقطع عنك جبل كشب فالتفت على يمينك تر « جبل بريم » منقطعا من حضن ، وبه منهل . وهـذا اسمه الجاهلى الذى كانت العرب تعرفه به فى الجاهلية ، وهو اسمه إلى اليوم ، قال الأصمعى : بريم ماء لبنى عامر بن ربيعة بنجد ، وتشاركهم فيه بنو جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، قال ابن مقبل :

وأمست بأكناف المراح ، وأعجلت ‏ ‏ ‏ بريمًا حجاب الشمس أن يترجّلا

وقال الراجز :

تذكرت مشربها من تصلبا ‏ ‏ ‏ ومن بريم قصـبًا مثقبـا

وتصلب التى ذكرها الراجز : منهل معروف فى غربى حَضَن يقال له اليوم « صلّبة »

وادى قطان

فإذا جُزْتَ الحلمة وما حولهـا عرّجت على وادى « قطان » وهو واد معترض يأتى سَيْلُه من جهة الجنوب . ويصب إلى جهة الشمال فى الصباخى المجاورة لـكشب ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الـكلام عليه فى كتابنا هذا ، ولـكنى أحب أن أعيد الدليل على اسمه الجاهلى ، وهو قول الحطيئة :

أقاموا بهـا حتى أبنّت ديارهم ‏ ‏ ‏ على غـير دين ضـارب بجران

عوابس بين الطلح يرجمن بالقنَا ‏ ‏ ‏ خروجَ الظباء من حراج قطانِ

الرحى

فإذا خرجت من وادى قطان فالتفت صـوب شمالك تر كشباً وحِرارهُ . وإذا التفت عن يمينك رأيت أبارق وأكيمات وجبيلات صِغارا ، يقال لتلك الناحية «الرحى» وهذا اسمها الجاهلى وهى باقية عليه إلى هذا العهد . قال حميد بن ثور :

وكنت رفعت الصوت بالأمس رفعةً ‏ ‏ ‏ بجنب الرحى لما اتلأبّ كؤدها

وقال الراعى النميرى :

عجبت من السارين والريح قرّة ‏ ‏ ‏ إلى ضـوء نارٍ بين فَرْدَةَ والرحى

إلى ضوء نارٍ يشتوى القـد أهلها ‏ ‏ ‏ وقد يكرم الأضياف والقد يُشْتَوى

فلمـا أتونا واشتـكينا إليهمُ ‏ ‏ ‏ بَـكَوْا وكلا الحيـين ممـا به بـكَى

وهى مقصورة طويلة . واكتفينا منها بالشاهد . وذكر فى معجم البلدان موضعاً آخر سماه « رحى بطان » وأنا أظنه غلطا ، وظنى أن الصحيح « رحى قطان » ؛ لأن الرحى المذكورة فى أعلى وادى قطان ، وجميعُ سيولهـا وما حولها تصب فى وادى قطان ، واستدل على هذا اللفظ بقول تأبّط شراً :

ألا من مبلغ فِتْيَـان قومى بمـا لاقَيْتُ عند رَحَى بطان
فإنى قـد لقيتُ الغُولَ تهوى بسهب كالصّحيفة صَحْصَحان

وهى قصيدة طويلة ويمكن أن يكون أصل قول تأبط شراً * بما لاقيت عند رحى قطان *

وجميعُ جبال كشب التى يتركها الطريق على شماله المنقطعات من الجبل كالنفروات والحلى جميعُها لها ذكر فى المعجم . ولـكنى لم أر عليها شواهد شعرية .

جبل هكران — فإذا جُزْت قطانا وما حوله وخرجت متجهاً إلى جهة المويه طلع عليك جبل « هكران » وهذا اسمه فى الجاهلية ، ولم يتغير . ذكره صاحب معجم البلدان[1] ولم يذكر عليه شاهداً من الشعر .

ثم تسير من منهل المويه ، وبه مركز وإمارة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فإذا اتجهت قاصداً الشرق ، ثم انعرجَ بك الطريق إلى جهة الشمال ، فالتفت جهة يمينك تر جبلا

الأكوم — أسود عنده جبيلات صغار ، يقال له « الأكوم » وهذا اسمه فى يوم الناس هذا ، وهو اسمه الجاهلى أيضا ، قال عدى بن الرقاع :

لما غدا الحى من صرخٍ وغيّبهم من الروابى التى غربيُّها الـكم

قبـاء — ثم تتجه إلى جهة الشمال حتى تحاذى ماء « قباء » وهو منهل عظيم فى شرقى كشب ، يمر به الحاج الذى يمر على مرّان ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو اسمه فى هذا العهد أيضاً .

الدفينة — ثم تنعرج على يمينك قاصداً ماء « الدفيْنَة » فتخرج من الصّباخى على أبارق صغار يقال لها « أبرق الجلبة » وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم . وهـذا الأبرق هو الذى يقول فيه دليم الطر المرشدى من الروقه ، وقد أغار عليهم مقبول بن هريس الشلوى من قصيدة نبطية :

يَمْ أبْرَقْ الجَلْبَهْ جَرَى لِى عَشِيّهْ لاَ وْهـنِى اللى عنْ أسْبَابِهَا غَابْ
جانا مع ابن هريس قوم رويّه جونا وجيناهم نرمى بالأسـلابْ
يا ليتنى يوم الدخنْ قاد فيّـــه ولا معى مسسلوبة كنّها الدّابْ
مهيبْ جبعـا عقـرة فى يديّهْ وارمى بها رمى كثير ولا صـابْ

---

(١) معجم البلدان ٨ / ٤٦٩

إلى اعتزينا العزوة المزحميّه   نادى عليهم قال ياولاد حطّابْ

وهى قصيدة طويلة .

وإذا خرجت من هذا الأبرق فانظر جهة شمالك تر شرقى كشب ، وفيه ماءة الشماس ، وماءة الريمة ، والحرب ، واللساسة ، منقطعات من كشب فى جهته الشرقية ، وذكر الشماس فى معجم البلدان بغير شاهدٍ من الشعر ، وقال كثير على ذكر الريمة :

التماس

ببياض الدماث من بطن ريم   فبمفضى الشحون من الجام

الريمة

وقال كثير أيضاً[1] :

عرفت الدار قد أقوت بريم   إلى لأى فمدفع ذى يدوم

وقال كثير أيْضاً :

ارْبَعْ فحى معالم الأطلال   بالجزع من حَرَضٍ فهنَّ بَوَالى

فشراج ريمة قد تقادم عهدها   بالسفح بين أثيّل فثعالِ

وأما الحرب واللساسة فهما جبلان منقطعان من كشب ، لا يعدان منه ، وإذا ذكر أحدهما فلا بد أن يذكر الثانى معه ، والحرب هذا هو الذى عناه امرؤ القيس بقوله :

الحرب

خرجنا نريغ الوحش بين ثُعالةٍ   وبينَ رحيّات إلى فج أخرب

وهو الذى يقول فيه جرير :

يقول بنعف الأخربيّة صاحبى   متى يرعوى قَلْبُ النوى المتقاذف

وهو الذى يقول فيه الشاعر :

بليت ولا يبلى تعار ولا أرى   ببئر ثميل نائياً يتجـــدد

ولا الأخرب الدانى كأن قلاله   بَخَاتٍ عليهن الأجِلَّةُ هجّد

وهو الذى يقول فيه طهمان بن عمر الـكلابى :

لن تجد الأخراب أيمن من سَجَا   إلى النعل إلاّ ألأم النّاسِ عَامِره

وجميع هذه المواضع باقية بأسمائها إلى هذا العهد .

ثم التفت عن يمينك ترَ « خال الدفينه » شاهقاً فى السماء ، لايبعد عنها ، وهذا اسمه الجاهلى وهو اسمه اليوم ، وقد أوردنا ذكره فى كتابنا هذا .

خال الدفينة

ثم اهبط إلى « وادى الدفينة » الماء المشهور بهذا الاسم ، وهو اسمه فى الجاهليّة أيضاً ، وقد أوردنا ذكره فى كتابنا هذا .

(١) معجم البلدان ٤/٣٥٢

فإذا خرجت منْ ذلك الوادى ، وكنت فى الموضع الفاصل بين سنْقَى الدفينة والرماحيّات ، فالتفت على يمينك ترَ رأس جبل ظلم ، وتر رأس عردان الذى كان يقال له فى الجاهلية « عردة » .

جبل ظلم

ثم التفت على شمالك تر رأس جبل حِبِر ، وتر رأس جبل « الغرابة » وأنت فى مكانٍ واحدٍ وجميع هذه المواضع على أسمائها التى كانت لها فى الجاهليّة : ظلم ، وحبر ، وعَرْدَة ، والغرابة ، وقد أوردناها فى كتابنا هذا : عردة وحبر فى معلقة عَبيد ، وظلم فى أشْعَار زهير .

الذنائب

ثم اندفع متّجها إلى عفيف ، ثم التفت على شمالك تر « الذنائب » . وهذا اسمها الجاهلى ، وقد مضى الـكلام عليها فى كتابنا هذا ، وكانت بهـا معركة بين بكر و بنى تغلب ، وهى التى أشار إليها المهلهل فى قوله :

فلو كشف المقابر عن كليب　　سَيَعْلم بالذنائب أىُّ زير

جذيب الحضارة

ثم تطلع على « جذيب الحضارة » وهى جبال سُود صغار يقال لها « سمر الحضارة » فى هذا العهد ، وهى التى تقول فيها مرسى العطاوية :

وادى الجريْر إلى حَدَر منْ عَلاويْه　　وخشم الذنيبه والجذيْب امتساوى

وقد مر ذكر تلك المواضع فى كتابنا هذا ، إذا كنت على تلك الجبال فانظر ، فما كان سيله منها مشرقاً فهو يصب فى وادى الجريْب ، وما كان مغرباً فهو يصبّ فى الشّعْبة ، ويتجه إلى جهة المدينة ، ثم تأتى وادى الحضارة ، وهو وادٍ كثير الشجر ، يصب سيْله فى الجريب ، ثم تخرج منْه وأنْتَ قَاصِدُ الشّرقِ ، ثم تلتفت على شمالك فترى « أجلى » وهو جبل ذو ثلاث قطع حمر ، هضَبات متصل بعضُها ببعضٍ ، ولها ذكرٌ فى أشعَار العَرَب الجاهليين ، وهَذَا اسْمُهَا الجاهلى قال الراجز :

أجلى

حلّت سليمى جانب الجريب　　بأجَلَى محـــلة الغريب

وقال النمر بن تولب :

خرجْن مِنَ الخوار وعُدْن فيه　　وقد وازنّ من أجلى برَعْنِ

قال أبو عُبيْد البكرى فى معجم ما استعجم(١) : أجَلَىٰ هضيبات حُمْر بين فلجة ومطلع الشمس ، وماؤهن الثعل ، اجتمع فيه النصى والصّليان والرمث بجهراء من نجد طَيّبة ، والجهراء الصحراء ، ولذلك قالت بنت الخس ـ وقد سئلت : أى البلاد أمرأ ؟ ـ قالتْ : خياشيم الحزن أو جِواء الصمان ، قيل : ثم أى ؟ قالت : أزهاء أجلى أنَّى شئت ، وقد أوردنا فيما مضى بعض هذه العبارة ، وهى التى يقول فيها القتال الـكلابى :

(١) انظره ص ١١٤

عفت أجَلَى من أهلها فقليبُهَا ‏ ‏ إلى الدَّوْم فالرنْقاء قَفْر كثيبُهَا

وهى معروفة بهذا الاسم إلى هَذَا العَهْد .

ثم التفت على يمينك تجد « وادى الثعل » والثعل : اسم لمنهل فى أعلى هذا الوادى يقال له فى هذا العهد « الثعل » وكان فى الجاهلية يقال له ثعال ، وهو الذى قال فيه امرؤ القيس : ‏ وادى الثعل

ورحنا نُريغ الصيد حول ثعالةٍ ‏ ‏ و بين رحياتٍ الى فج أخْرُبِ

وهو الذى يقول فيه الشاعر :

أيام أهلونا جميعاً جيرة ‏ ‏ بَكتانة ففراقد فثعال

ثم اقطع هذا الوادى جاعلا ثعال عن يمينك وأجَلَى عن شمالك فإنك تطلع على أرض مرتفعةٍ يقال لها « المشف » فى هذا العهد ، وسيلها ينقسم قسمين : ما غَرَّبَ منه يصب فى الجريب ، وما اتجه مشرقاً يصب فى وادى الشبرم ، فالتفت على يمينك تر العلامات المطلة على ماءة سَجَا ، وهى هضبة فيهـا أبارق يقال لها « أم السباع » وسجا : منهل جاهلى ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وقد وَرَدْته قبل أن يعمره صاحب السمو الأمير فيصل ، وكان الناس لا يستقون منه إلا بالكد والمشقة ؛ إذ لا تخرج منه الدلاء إلا بالشَّطَن حبالٍ ثانيةٍ غير حبالها ، وقد قال الراجز الجاهلى : ‏ المشف ‏ سجا

* ساقى سَجَا يميد مَيْدَ المحور *

وقال الراجز الثانى وهو يَمْتح دلوه :

لا سَلَّمَ الله على خرقا[1] سجا ‏ ‏ من ينج من خرقا سجا فقد نجا
أنكد لا ينبت إلا العرفجا ‏ ‏ لم تتركِ الرَّمْضَاء منّى والوجَا
والنزع من بعد قعر من سِجا ‏ ‏ إلا عروقاً وعروقاً خُرَّجا

وقال غيلان بن الربيع اللص :

إلى الله أشكو مَحْبِسى فى مخيّس ‏ ‏ وقرب سجا يا ربّ حين أفيل
وإنى إذا ما الليل أرخى سُتُوره ‏ ‏ بمُنْعَرَج الخل الحفىّ دليل

وكان سجا قبل أن ينظمه صاحب السمو الملكى الأمير فيصل و يأمر بطىّ آباره من أصعب مياه

(١) هذا كلام العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام على صعوبة مورده وذم نباته ، ولكنه فى هذا العهد أصبح ولا يعلم فى جزيرة العرب منهل أمرأ من منهله ، ولا مرتع أحسن من مرتعه ، إذ توجد جميع النباتات الصالحة للابل فى أرض سجا المجاورة له .

نجد مورداً ، وكان مثلاً عند أهل نجد ، كل أمر صعب يقولون فيه « الله يغنى عن سجا وورده »

رأس مثلثة — ثم التفت على شمالك تر رأس مثلثة ، وهى هضبة سوداء ، سميت مثلثة لأن لها ثلاثة رؤوس وهى فى وادى الشبرم ، ولم أر لها ذكراً فى أشعار الجاهلية ، ولها ذكر فى أشعار الأعراب المتأخرين قال شاعر من عتيبة من قصيدةٍ نبطيّة :

هَاضَنِي مَبْدايْ فِى حَيْدٍ زَمَابِيْ — فِى سَنَافُ الْمَطَّرَقْ مَالِي رِعيَّهْ

فِى يَدِى مَطْرَقْ فَرَنْجِيَّ هَبَابِي — ذَخْراً بوىْ مِنْ الصَّنُوعْ الْجَاهْلِيَّهْ

يَاحَلِي مِنَ الْمَهَاتَاعْ الرَّقَابِي — حَازْبَيْنُ مُثَلَّثِهْ وَالشَّبْرَمِيَّهْ

لَيْتَنِي عَانَقْتَهُمْ بأَوَّلْ شَبَابِي — يَوْمْ مَجَّاتْ الصَّبَا فِيهِمْ وُفِيَّهْ

الشبرمية : ماء قرب مثلثة ، فى وادى الشبرم .

العفيف — ثم اهبط إلى عفيفٍ المنهلِ المعروف فى الجاهلية بهذا الاسم ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وقد أوردنا عليه هذا الشاهد عن ابن الأعرابى :

وما أم طفل قد تجم رَوْقه — تغرى به سدراً وطلحاً تناسقه

بأسفل غلان العفيف مقيلها — أراك وَسدر قد تحضّر وَارِقه

جبل النير — ثم تذهب فى طريقك متجهاً إلى الشرق ، وإذا خرجت من أبقار الأودية المتصل بعضها ببعض إلى وادى المعلّق فالتفت عن يمينك تَرَ جَبَل النّيرِ معترضاً من الغرب إلى جهة الشرق قَدْ سَدّ الأفق الجنوبى ، وهو الذى يقول فيه جَحْدَر اللص :

ذكرت هنداً وما يغنى تذكرها — والقومُ قد جاوزوا ثهلان والنيرا

وهذا اسمه الجاهلى .

ثم التفت على شمالك تر جبل « شعر » و « العَرَائس » و « الخنفسيات » و « أرينبة » و « الكودة » وجميع هذه المواضع معروفة بهذه الأسماء فى يومنا هذا ، وهى أسماؤها فى الجاهلية ،

العرائس — قال ذو الرمة ذاكراً العرائس وشعر :

أقول وشعر والعرائس بيننا — وسمر الذرى من هضب ناصفة الحمر

أرينبة — وقد ذكرنا الشواهد على تلك المواضع ، وقال عنترة على ذكر أرينبة :

وقفت وصحبتى بأرينبات — على أقتاد عوج كالسهام

الخنفسيات — الخنفسيات : هضبات معروفة ، لا تبعد عن العرائس وشعر ، قال الشاعر :

وقالوا : ما تريد ؟ فقلت : أرمى — جموعاً بالخنافس ذى أثول

وقال آخر :

صبحنا بالخنافس جمع بكر   وحيا من قضاعة غير ميل

ماءة القاعية والسكودة

ثم تسلك الطريق متجهاً إلى ماءة « القاعيّة » وعلى يسارك « السكودة » الهضبةُ المعروفةُ وقد أوردنا عليها الشاهد فى غير هذا الموضع .

أم الفهود

ثم تجزع على طرف هضبة منقادة من النير يقال لها « أم الفهود » قال جرير :

رأوا بثنيــة الفهدات ورداً   فما عَرَفوا الأغرَّ من البهيم

ولست أدرى هل عنى جرير بقوله هذه الهضبة ، أو أنه يعنى الفهدة المعروفة قرب ثرمداء .

نضاد

ثم تطلع على ماءة القاعية ، وعلى يمينك جبل النضاديه ملاصق النير ، متاخم لمنهل القاعيّــة ، فى الجهة الجنوبية منه ، واسمه فى الجاهلية « نضاد » ويعرف فى عهدنا هذا بالنضادية قال الشاعر :

لو كان من حضن تضاءل ركنه   أو منْ نضاد بـكى عَليْه نضاد

وقال كثير :

كأن المطايا تتقى من زبانة   مناكد ركن من نضاد ململم

وقال قيس بن زهير العبسى من أبيات له :

إليك ربيعة الخير بن قرط   وهـوباً للطـريف وللتـلاد

كفانى ما أخاف أبو هلال   ربيعـة فانتهت عنِّى الأعادى

تظل جيـاده يجمزن حولى   بذات الرمث كالحدأ الصوادى

كأنى إن أنخت إلى ابن قرط   علقت إلى يلملم أو نضـاد

ذات الرمث : واد قد مضى الـكلام عليه ، وهو فى النير يقال له « الرميثى » وأما نضاد هذا فإذا كنت منتزحا عن جبل النير فهو أرفع ماترى منه ، قال ابن دارة :

وأنت جنيب للهوى يوم عاقل   ويوم نضاد النير أنت جَنِيبُ

ذريع

فإذا جزت منهل القاعية تركت النير على يمينك حين تكون متجهاً إلى بلد الدوادمى ، فيبدو لك حينئذ « ذريّع » وهو اسم لجبلين صغيرين كان يقال لهما فى الجاهلية « ذراعان » و بقى اسمهما فى عهدنا هذا على هيئة تصغير ذراع ، يتركه السالك على يمينه ، قالت امرأة من بنى عامر ابن صعصعة :

سـقياً ورعيـاً لأيام تشوقنا   من حيث تأتى رياح الهيف أحيانا

إلى أن قالت :

ياحبـذا طارقاً وهنـاً ألَمَّ بنا   بين الذراعين والأخراب من كانا

جبل خنوقة — وقد أوردنا هذا الشاهد فى كتابنا هـذا ، وعلى يسارك جبل « خنوقه » وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باقٍ به إلى هذا العهد ، قال القحيف العقيلى :

تحملن من بطن الخنوقة بعـد ما ... جـرى للثريا بالأعاصـير بارح

وهذا الشاهد قد أوردناه ، ولـكن دعت الحاجة له ولمثله على ذكر الطريق .

شهلان — وترى وأنت متجه على يمينك جبل « شهـلان » وجبل « شطب » المنقطع منه ، وقد أوردنا شواهد تلك المواضع بتمامها ، وهى باقية بأسمائها إلى هذا العهد .

جبلة — ثم التفت على شمالك تر « جبلة » وقد أوردنا عليها الشواهد ، وهى باقيـة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وادى الرشا — ثم تهبط « وادى الرشا » وقد مضى الـكلام عليه ، واسمه الجاهلى الرشأ ، ثم تطلع على جبال

البيضتين — الدوادمى فترى « البيضتين » على شمالك كأن أصلهما واحد ، وأعلاهما هضبتان معروفتان عند عامة أهل نجد بالبيضتين ، وهذا اسمهما الجاهلى ، قال الفرزدق :

حبيب دعا والرمل بينى و بينه ... فأسمعنى ، سـقياً لذلك داعيَا

أعيـذكما الله الذى أنتما له ... ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

الدوادمى — ثم تهبط بلد الدوادمى ، وأنا لم أجد لهذا البلد اسماً يقرب من اسمها اليوم .ثم تخرج منها متجهاً إلى جهة الشرق ، فتأتى على وادى الضال ، ولم أجـد له ذكراً ، إلا أن فى معجم البلدان ذكر

التسرير — موضع يقال له « ضليلى » وتنحدر على التسرير ، وهـذا اسمه منذ العهد الجاهلى لم يتغير . قال أعرابى مرض فى الشام ، فبعث له الوليـد بن عبد الملك أطباء ، فجاءوا يجسّون نبضه ، فقالوا له : ماتشتهى ؟ فقال[١] :

جاء الأطبـاء من حمص تخالهم ... من جهلهم هل أداوى كالمجانين

إذا يقولون ما يشفيك قلت لهم ... دخان رمث من التسرير يشفينى

ممـا يضم إلى عمران حاطبـه ... من رمث غرّب جزلاً غير موزون

غرب : تتفرع منها سيول التسرير ، وقال الراعى :

حى الديار ديار أم بشـير ... بنويعـين[٢] فشاطىء التسرير

لعبت بها عصف النعامى بعد ما ... زوارها مـن شمـأل ودبور

---

(١) معجم البلدان ٣٨٩/٢ وفيه « من الجنينة جزلا غيرموزون » (٢) النويعين : جبلان صغيران يقال لأحدهما فى عهدنا هذا النويع ، وللآخر النايع . ويقعان عند وادى الرمة جنوبا . مؤلف

فإذا كنت بين الضال والتسرير فالتفت عن شمالك تر « جمران » و « غربا » فأما جمران فجبل أسود مرتفع إلى السماء ، وأما غرب فخمس أكمات صغار سود ، فى شرقيه على مسافة أقل من نصف يوم ، وجمران وغرب على اسميهما منذ الجاهلية لم يتغيرا . قال مالك بن الرَّيْب :

جمران وغرب

علىّ دماء البدن إن لم تفارقى أبا حَرْدَب يوماً وأصحاب حردب

سرى فى دجى ليل فأصبح دونها مفاوز جمران الشريف فغرّب

تطالع من وادى الكلاب كأنها وقد انجدت منه فريدة ربرب

وعليهما شواهد كثيرة .

ثم تتجه مع الطريق الذى يخترق ثنية القرنة ، وهذا اسم قديم لها ، وظنى أن تسميتها بالقرنة لأنه يأتى وادى حمَّيان من الجهة الغربية الجنوبية منه ، ووادى التسرير يأتى من الجهة الغربية الشمالية منه ، ويقترنان فى تلك الثنية ، وتتجه سيول الواديين معه حتى يمر على ماءة « خف » و « خفيف » وظنى أنها التى يقول فيها لبيد بن ربيعة العامرى :

ثنية القرنة

وغداة قاع القرنتين أتيتهم رهواً يلوح خلالها التَّسْويم

بكتائب رجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجوم

فارتث قتلاهم عشية حزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم

والعرب تثنى المفرد إذا أرادت جانبيه أو ناحيتيه ، كقولهم لرامة : رامتين .

ثم تتجه إلى جهة الشرق الشمالى ، فما كان على يمينك من مسلك الطريق إلى نفود السر فهو من « المروت » الذى قد مضى الكلام عليه عند ذكر المروت الذى به يوم من أيام العرب ، وذكر يوم الحرملية لأنها فى المروت ، وذكر سوفة لأنها فى المروت ، وينعرج بك الطريق إلى جهة الشمال حتى تصل ماءة خفيف ، وهى حد المروت الشمالى ، وقد مضى الكلام على هذا المنهل ، وأوردنا عليه شاهدا ، وهو قول الراعى :

المروت

رعت من خفاف حيث نقَّى عبابه وحل الروايا كل أسحم ماطر

ثم تمشى قاطعا نفود السر ــ وقد مضى الكلام عليه وعلى شواهده ــ ثم تخرج منه متجها إلى جهة « مرات » تاركا صفراء الوشم على شمالك وكثيب قنيفذة على يمينك فإنك ترى ثنية وادى النميرى الذى يصب عند ذات غسل ، وذكروا أن سبب تسميته النميرى أن بنى نمير عاثوا فى البلاد وأفسدوا فيها ، وأخذوا حاج العراق فى خلافة المستعين العباسى ، وأرسل إليهم جيشاً يرأسه قائدٌ من قواده يقال له بُغَا فالتجئوا إلى هذا الوادى ، وأطالوا المكث فيه ، فسمى باسمهم بعد التجائهم إليه

ذات غسل

وأما ذات غسل فكانت لبنى العنبر فى الزمن الجاهلى ، وهم بطن من تميم ، ووواديها يقال له «العنبرى» من العهد الجاهلى إلى هذا اليوم ، ولم يبق فيه فى هذا العهد من بنى العنبر رجل واحد .

مراة

ثم تصل مراة ، وهى البلد التى كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ؛ منهم من قال : إنها بلد امرىء القيس الكندى الشاعر المشهور ، ومنهم من قال: إنها بلد امرىء القيس التميمى ، وأنا مع من قال : إنها بلد امرىء القيس التميمى، فإن كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضع يلتبس علينا ، ولو أن كميتا الجبلَ المطلَّ عليها ينطق لأقسم بالله أنه لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندى ، بل ولم يمر بها فى تجولاته ؛ لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا فى جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو من الكتاب أن الدَّخول وحَوْملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جُلْجل فى اليمامة ، فقد أخطأ ، وغلطه أعظم من غلط من قال : إن مراة هى بلد امرىء القيس الكندى ، بل المواضع التى مر ذكرها موجودة بأسمائها يُرَى بعضها من بعض كما أوضحناه فى كتابنا هذا عند الكلام على معلقته ، وهى فى عالية نجد الجنوبية منها ، و بلد مراة هى إحدى قرى الوَشْم من جهته الجنوبية ، قال ذو الرمة [1] :

فلما وردنا مرأة اللوم غلقت   دَسَاكر لم ترفع لخير ظلالها
ولو عبرت أصلابها عند بهنس   على ذات غِسْلٍ لم تشمس رحالها
وقد سميت باسم امرىء القيس قريةٌ   كِرَامٌ غوانيها لئـام رجالها
تظل الكرام المرملون بجوِّها   سواء عليهم حملها وحيالها
إذا ما امرؤ القيس بن لؤم تطلعت   بكأس الندامى خيبتها سِبَالُهَا

انظر قول الشاعر عن ذات غسل و إكرامها للضيف ، و إدخالها للركاب ، وأهلها لم تشمس رحالها ، وهذا الكرم باق فى أهل تلك البلد إلى هذا العهد .

وأقدم قرى الوَشْم التى من العهد الجاهلى : بلد مراة ، وهى لبنى امرىء القيس التميمى ، و بلد ثَرْمَداء ، وهى لبنى سعد من تميم ، وأثيثية، وهى لبنى يربوع من تميم ، وذات غسل ، وهى لبنى العنبر

---

(١) ووجه الدلالة من هذه الأبيات أن ذا الرمة كان كثير الهجاء لبنى امرىء القيس التميمى ، وفيه يقول :

يعد الناسبون إلى تميم   بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد   وعمرا ثم حنظلة الخيارا
ويسقط بينها المرئى لغوا   كما ألغيت فى الدية الحوارا

من تميم ، وأشيقر للرباب من تميم ، تلك القرى المذكورة من أقدم قرى الوشم ، والوشم اسم جاهلى قديم ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال صاحب أشىٍّ :

متى أمر عَلَى الشقراء مُعتسفا خَلَّ النقا بمَرُوحٍ لحمُها زِيَمُ
والوشم قد خرجت منه وقابلَهَا من الثنايا التى لم أقلها ثرم

الصفراء

فإذا خرجت من بلد مراة متجها إلى الجنوب على الطريق تترك على يمينك صفراء مراة المتصلة بصفراء الوشم ، والصفراء : هى الجبال الصُّفر المتصل بعضُها ببعض ، وعريق الوشم على يسارك ، وهذا الكثيب يُسميه أهلُ الوشم « نفود الوشم » وتسميه الأعراب « عريق البلدان » لأن جميع قرى الوشم إما فى شرقيه وإما فى غربيّه ؛ فالقرى التى بغربيه : أشيقر ، والفرعة ، وشقراء ، والقرائن، وذات غسل ، و بلد الوقف ، لا يفصل بينها إلا وادى العنبرى وأثيثية وثرمداء و بلد مراة ، وهى طرف الوشم من الجهة الجنوبية ، والقرى التى بشرقيه : الداهنة ،والجريفة، والحريّق،والقصب، والمشاش.

الحبل

ثم ينقطع عنك ذلك الكثيب إذا طلعت على بلد البرة ، وهناك مشهور ، واسمه « طُرَيْف الحبل » وقد أوردنا على ذكر الحبل أشعاراً كثيرة ، منها أشعار لهذيل ، ذكروا أن هذا الحبل قريب عرفة ، وقصيدة للحسَيْن بن مطير منها :

خليلى من عمرو قِفَا وتعرَّفا لسهمة داراً بين لينة والحبل

وهذا الحبل من الحبال المتصلة بلينة من الجهة الشمالية من نجد ، قال فى معجم البلدان : وحبل : موضع باليمامة ، وفى حديث سراج بن مجاعة بن مرارة بن سلمى عن أبيه عن جده قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأقطعنى الغورة وغرابة والحبل ، و بين الحبل وحجر خمسة فراسخ ، قال لبيد يصف ناقة :

فإذا حركْتُ غَرْزِى أجمزَتْ وقرابى عَدْوُ جون قد أبل
بالغرابات فزرّا فاتهـــا فبخنزير فأطراف حبــل
يسئد السير عليها راكب رابط الجأش على كل وجل

أما الغرابات فهى معروفة فى العتك بين القصب وثادق ، فإذا كنت فى الغرابات فطريف هذا الحبل الذى كنا فى ذكرهٌ يقع عنك جنوبياً أو أرفع من الجنوب إلى جهة الغرب ، ونفيّد بنبان المعروف بهذا الاسم اليوم يقع عنك فى جهة مطلع الشمس ، والكثيبان يقعان من الغرابات كل واحد منهما على مسافة يوم ونصف منها ، والذى كنا فى ذكره أقرب للصواب من كثيب بنبانْ .

جبل عريض — ثم تندفع إلى جهة البرة قاصداً الجنوب وعلى شمالك جبل عريض ، وقد ذكر الشعراء عريضا في مواضع كثيرة : منها عريض المدينة ، وعريض عالية نجد الذى ذكره امرؤ القيس ، وعريض المذكور الذى كنا فيه يقال له « عريضة » قال جِرانُ العود النميرى :

تذكرنا أيامنا بعريضةٍ وهضبٍ قساء ، والتذكُّرُ يشعف

أنت الآن فى شمالى قرقرى تارك البرة على شمالك ، البرة التى يقول فيها يحيى بن طالب :

خليليّ عوجا بارك الله فيكما على البرة العليا صدور الركائب

العويند — ثم تخرج على العويند وعلى قصره ومزارعه ، وقد ذكره صاحب المعجم بهذا الاسم ، وذكر العويند الواقع فى عالية نجـد ، قال فى معجم البلدان : العويند قرية باليمامة لبنى خديج إخوة بني منقر ، عن الحفصىْ ، هذا الذى كنا فى ذكره . وقال أيضاً فى المعجم : قال أبو زياد : من مياه بنى نمير العويند ببطن الـكُلاَب ، هذا هو الواقع فى عالية نجد .

الحجيلاء — ثم تتجه من العويند قاصداً الرياض ، تاركا الحجيلاء [١] على شمالك البئرِ المشهورة هناك بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى يقول فيها يحيى بن طالب :

وأشرب من ماء الحجيلاء شربة يداوى بهـا قَبْل الممات غليل

ماءة الغزيز — تراها بعينك وأنت على قارعة الطريق ، وهذا الموضع مُحَاذٍ ماء الغزيز عندما ينعرج الطريق قبل دخوله عارض اليمامة ، وهذا اسمه الجاهلى ، يقع فى صفراء الوشم ، فى الطرف الجنوبى منها ، بين مراة وضرمى ، منهل معروف بهذا الاسم فى الجاهلية ، وهو باقٍ إلى هذا العهد . قال جرير [٢] :

فهيهات هيهات الغزيز ومَنْ به وهيهات خل بالغزيز نواصله

وهو معروف أنه من مياه بنى تميم لبنى عطارد بن عوف بن سعد ، وقيل للأحنف بن قَيْس وهو مريض : ما تتمنى ؟ قال : شربة من ماء الغزيز ، وماء الغزيز مر ، وإنما تمناه الأحنف لمحبته الوطن ، ومات الأحنف بالـكوفة وهى على شاطىء الفرات . وماء الفرات عَذْب ، فلم يتمنّ منه

---

(١) الحجيلاء — بئر تقع جنوبى البرة ، على مسافة نصف يوم أو أقل ، وهى التى لما خرج صالح الحسن أمير بريدة من سجن الرياض وحداه الظمأ إلى تلك البئر بقى عليها (يحذر عترته) وهى فى لسعته حتى اتصل الماء ثم يعتصرها بفمه ، فشعر به أهل البرة فأتوه وألقوا عليه القبض ، لأنه قد أخبرهم الإمام عبد الرحمن بخروجه فجاءهم الأمير محمد بن عبد الرحمن فقتله . وقبره هناك فى البرة . المؤلف

(٢) يروى هذا البيت « فهيهات هيهات العقيق ومن به » وهكذا هو فى كتب النحاة واللغويين

شربة . وهذا الطريق هو الذى سلكه خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ! عند ذهابه لقتال مسيلمة . قال علماء السير والمغازى : وسلك خالد بن الوليد رضى الله عنه وادى الأحيسى، وقد صار هذا الاسم « وادى الحيسية » .

ثنية غرور

فإذا انقسم بك السيل بين مشرق ومغرب ظهرت لك ثنية غرور ، وهى التى سلكها خالد ابن الوليد ــ رضى الله عنه ! ــ والطريق اليوم لا يمر بتلك الثنية ، بل يسلك الوادى . ثم تسلك وادى الحيسية من بين أودية الخمر . وظنى أن هذا اسم حديث ؛ لأنى لم أر له ذكراً فى كتب المعاجم ولا فى أشعار العرب .

وادى العمارية

وتتجه إلى جهة الغرب فى وادى الأحيسى ، وعلى يمينك وادٍ عظيم يقال له « وادى العماريّة » بينك و بينه جبل . قال فى معجم البلدان : العمارية منسوبة إلى عمار قرية باليمامة لبنى عبد الله ابن الدؤل ورىما كان عمار هذا من بنى الدؤل ، وهم أهل هذا الوادى الذين يقول فيهم الشاعر :

فما علمت بأن الدخن فاكهة حتى مررت بوادى آل عمار

العيينة

ثم تدخل فى خرائب « العيينة »[1] . ولم أر لهذا الاسم ذكراً لأنه حديث ذكر صاحب معجم البلدان جميعَ العيون المضافة والعيون المثناة ؛ ومما ذكره « عينين » فى جهة البحرين على الساحل الشرقى .

الجبيلة وعقرباء

ثم تصل قرية الجبيلة ، ولم أر لها ذكراً فى كتب المعاجم . ثم تخرج من وادى الجبيلة على عَقْرباء ، وهى أرض مصطحبة ، ذكرها صاحب معجم البلدان ، وفى ذكره خطأ وصواب فى تحديده . قال : إنها كانت ملكاً لمحمد بن عطاء أحد فرسان ربيعة المذكورين ، وخرج إليها مسيلمة الكذاب لما بلغه مَسْرَى خالد بن الوليد إلى اليمامة ، فنزل بها لأنها فى طرف اليمامة ودون الأموال ، وجعل ريف اليمامة وراء ظهره ، فلما انتهت الحرب وقتل مسيلمة قتله وَحْشى مولى جُبَير ابن مطعم قاتلُ حمزة رضى الله عنه ! قال ضرار بن الأزور :

ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت عشية سالت عَقْرباء وملهم
وسالت بفرع الواد حتى ترقرقت حجارته فيه من القوم بالدم[2]
فإن تبتغى الكفار غير ملتية جنوب فإنى تابع الدين مسلم
أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة ولله بالمرء المجاهد أعلم

(١) وهى مقر المعمر فيما سلف ، وهى قاعدة إمارتهم ، فلما خربت انتقلوا إلى بلدة بنى سدوس وهى بلد قديمة جاهلية ، ذكرها صاحب معجم البلدان .

(٢) فى هذا البيت إقواء.

وقد مضى الـكلامُ على هذه الأبيات .

الرياض ثم تتجه إلى جهة الرياض تاركا وادى حنيفة على يمينك ، ثم تصل بلد الرياض بعد ما تمر فى شرقى بلد الدِّرْعية ، ولم أر لها ذكراً فى كتب المعاجم ، ثم تصل الرياض عاصمة نجد ، ولم أجد للرياض ذكراً أستدل به على هذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان لما ذكر الرياض وما تضاف إليه قال : وروضة السلى ، وقال على ذكر روضة ثانية : وروضة القمعة،ذكرها ابن أبى حفصة من نواحى اليمامة ، وفى نفس الرياض موضع يقال له القميعة فى هذا العهد ، وروضة السلى تقرب من هذا الموضع ، وأما اسمه الجاهلى فهو يعرف بحجر اليمامة ، ويمكن أن يكون هذا الاسم الحديث «الرياض» قد كان اسما لهذه الرياض المذكورة ، فلما عمرت فى مكانها البلد بقى الاسم على حاله ، قال فى معجم البلدان : قال ابن الفقيه : حجر هو مصر اليمامة ، ثم جو ، ثم الخضرمة ، وهى من حجر على يوم وليلة ، وبها بنو سحيم ، و بنو ثمامة من حنيفة ، بلغنى أن قرب منفوحة موضعا يقال له فى هذا العهد الخضرمة ، وفى بلد منفوحة بطن يقال لهم بنو سحيم إلى هذا العهد ، وظنى أنهم البطن المذكور من حنيفة ، وهذه الرواية فى معجم البلدان على ذكر الحضارم ، وقد سألت رجلا من بنى سحيم أهلِ منفوحة : ممن أنتم من قبائل العرب ؟ قال : من الدواسر ، وأنا أظن أنه لم يضبط نسبه ، والصحيح الثابت أنهم من حنيفة ، وقد أورد صاحب المعجم(١) قول طهمان الشاعر المشهور :

ولا خير فى الدنيا وكانت حبيبةً ... إذَا مَا شمـال زايلتها يمينها

وقد جمعتنى وابْنَ مروان حرة ... كلابية فرع كرام غضونها

ولو قد أتى الأنباء قومى لقلصت ... إليك المطايا وهى خُوصٌ عيونَهَا

وإن بمحجر والخضـــارم عصبةً ... حَرُورِيةً حبنا عليك بطونها

إذا شبَّ منهم ناشىء شبَّ لاعناً ... لمروانـ والملعونُ منهم لعينُهَا

قال فى معجم البلدان : وخضراء موضع باليمامة ، وهى نخيلات وأرض لبنى عطارد ، واستدل بقول الشاعر(٢) :

إلى الله أشـكو ما ألاقى من الهوى ... عشيةَ بانت زينبٌ ورَميم

فبانُوا من الخضراء شُزْراً فودَّعوا ... وأما نَوَى الخضراء فهو مقيم

وأما الخضراء بهذا الاسم فلم أجد لها ذكراً فى هذا العهد فى نواحى اليمامة ، ويمكن أن تـكون معروفة عند أهل تلك الناحية .

الـكويت ثم تتجه من الرياض إلى الـكويت ، فتمر بالمطار الموجود فى الرياض ، تجده على شمالك

(١و٢) معجم البلدان ٣/٤٤٦

وأنت متجه بين الشرق والشمال . ثم تجيز وادى بنبان فى موضع يقال له « المخر » واسمه الجاهلى بنبان ، لبنى سعد بن تميم ، قال الشاعر :

قد علمت سَعْد بأعلى بنبان   يوم الفريق والفتى رغمان

وقال الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه   بمحتسب التَّقْوَى ولا متوكّل

مقيم على بنبان يمنع ماءه   وماء وشيع ماء عطشان مُرْمِل

تكلم الحطيئة فى شعره بلسان بنى تميم فإنها تستعمل الشين عوضاً عن السين فقول الحطيئة وشيع هو وسيع الماء المعروف اليوم فى شرق العرمة فى جهتها الجنوبية .

وادى السلى

ثم تجيز وادى السُّلَىّ فى الجهة الشمالية منه ، وهذا اسمه الجاهلى لم يتغير ، قال فى معجم البلدان: قال أبو زياد : السلى بين اليمامة وهجر ، وقال أيضاً : السلى رياض فى طريق اليمامة إلى البصرة ، ووادى الطنب ، فأما ذكره فى هـذه العبارة رياضاً فهى مقاربة لموضع الرياض اليوم ، وقال أبو الحسن على ذكر السلى : السلى واد من حجر ، وهذا أقربهم للصواب ، لأنه مخالط حجر اليمامة ، قال الشاعر[1] :

لعمرك ما خشيت على أبىّ   مَتَالِف بين حجر والسلىّ

ولكنى خشيت على أبىّ   جريرة رمحه فى كل حى

من الفتيان مُحْلَوْلٍ ممر   وأمّار بإرشـــــادٍ وغىّ

واسمه السلى إلى هذا العهد .

جبل العرمة

ثم يبدو لك جبل العرمة وثناياها وطرقها ، وهذا اسمها الجاهلى ، ولا تزال تعرف به إلى هذا العهد ، وقد أوردنا شواهدها وشواهد بنبان فيما مضى .

ثم تتشعب الطريق إلى طريقين : فإما أن تصعد عقبة البويب ، أو تأخذ بذات اليمين على طريق يقال له التريبى ، والتريبى أسهل من طريق البويب ، ولكن جلالة الملك ـ حفظه الله !ـ أمر بإصلاح طريق عقبة البويب ، فعبدت ، فكانت فى مأمَنٍ من انقلاب السيارات وغيرها .

منهل رماح

ثم ترد منهل رماح ، وعليه مركز و إمارة ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو من مناهل بنى تميم فى الجاهلية ، ولم يتغير اسمه بحرف واحد ، قال جرير فى قصيدة حائية مشهورة له مدح بها عبد الملك ابن مروان وهذا[2] مطلعها :

أتصحو أم فؤادُكَ غير صاحٍ   عشية همَّ أهلُكَ بالرّواح

(١) المعجم ١١٨/٥   (٢) المعجم ٢٨٢/٤

يكلفنى فؤادى من هواه ظعائن يجتزعن على رماح

إلى أن قال فى مدح الخليفة :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ورماح باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومنهل رماح هو آخر مناهل العرمة مما يلى الدهناء فى هذا الطريق فى شرق العرمة ، ولها طريق ثانية ، وعليها مناهل ، وآخر منهل « وسيع » وهو الجنوبى منهـا ، ومنهل سديرة ، ومنهل أبو جفان ، ومنهل سعد ، ومنهل رملان ، ومنهل رماح ، ومنهل حفر بنى سعد ، وهذه مناهل العرمة التى على الطريق طريق الأحساء والسكويت وعينين ، وينعقد فى طرف العرمة الشمالى جبل مجزل ، ويمتد إلى جهة الشمال وفيه مناهل : فى جهته مما يلى الدهناء منهل تمير ، ومنهل أثمريه ، ومنهل مبايض ، ومنهل بوضاء ، ومنهل الدجانى ومنهل البتيراء ، ومنهل القاعية ، ومنهل أم الجماجم ، ومنهل الأرطاوية الهجرة المشهورة لمطير ، ومنهل أم جريف ، ومنهل جراب ، ومنهل المشـاش ، جميعُ هذه المناهل متصلة فى جبل مجزل ، قال فى معجم البلدان : مجزل جبل باليمامة ، والأرض الواقعة بين مجزل والدهناء والعرمة يقال لها « البطينيات » وأعظم الطرق للسيارات القاصدة للـكويت هذا الطريق الذى يمر برماح .

الدهناء

ثم تخرج من رماح متجها إلى الدهناء ، وهى قريب منك ، وللدهناء ذكر فى أشعار العرب وأخبارهم ، وذكروا أنها فى بعض المواضع سبعة جبال من الرمل وبين كل جبلين مسافة طويلة ، وفى بعض المواضع خمسة جبال من الرمل ، ومسافتها التى بين طرفها الغربى إلى طرفها الشرقى لا تقل عن اليوم ، وفى بعض المواضع تزيد عنه ، قالوا فى ذكر الدهناء : إنهـا إذا أخصبت تحمل جميع أعراب نجد ، وذكروا فى تحديدها أن طرفها الجنوبى يبرين ، وطرفها الشمالى حزن الينسوعَة ، وهو الذى يقال له اليوم الحزل ، قال فى المعجم على ذكر جبالهـا الخمسة التى يرتـكم فيها الرمل : الجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بنى سعد هذا هو حفر العتك يقال له خشاخش ، لـكثرة مايسمع من خشخشة أموالهم فيه ، والجبل الثانى حماطان ، والثالث جبل الرمث ، والرابع مبعر ، والخامس جبل حُزْوَى ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وبالأخص ذو الرمة ، وقال أعرابى حبس بحجر اليمامة :

هل الباب مفروج فأنظر نظرة بعينٍ قلت حجراً فطال احتمامُهَا

ألا حبذا الدَّهْنَا وطيبُ ترابهـا وأرض خلاء يَصْدَح الليل هلمُهَا

ونَصُّ المهارى بالعشيات والضحى　　إلى بَقَر وحش العيون أكامها

وقالت العيوف بنت مسعود أخى ذى الرمة :

خليلى قوما فارفعا الطَّرْفَ فانظرا　　لصاحب شوق منظراً متراخياً

عسى أن نرى والله ما شاء فاعلٌ　　بأكثبة الدهنا من الحىِّ باديا

وإنْ حال عرض الرمل والبُعْدُ دونهم　　فقد يطلب الإنسان ما ليس رائياً

يرَى الله أن القلب أضحى ضميره　　لما قابل الرَّوْحَاء والعَرْجَ قالياً

واسم الدهناء باقٍ إلى هذا العهد لم يتغير .

فإذا جزت الدهناء ـ أى أكثبة الدهناء ـ فالتفت على يمينك تر « حُزوى » **منقطعة من الدهناء** واختصت بهذا الاسم وهى قطيعة رمل من رمل الدهناء ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، واسمها لم يتغيّر إلى هذا العهد ، وأعرف ثلاثة مواضع تسمى « حزوى » موضع فى عالية نجد بين جبل الحمار وعرق سبيع ، والموضع الثانى فى سدوس باقٍ إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وإليك عبارة من عبارات معجم البلدان عن اليمامة قال محمد بن إدريس بن أبى حفصة : حُزْوى باليمامة ، وهى نخل بحذاء قرية بنى سدوس ، وحزوى التى كنا فى ذكرها المنقطعة من الدهناء وهى على حد الصلب ، قال ذو الرمة :

خليلى عُوجَا من صُدُور الرواحل　　بجمهور حُزْوَى فابكيا فى المنازل

لعلَّ انحدار الدمع يُعْقِب راحةً　　إلى القلب أو يَشْفِى نجىَّ البلابل

وقال أعرابى :

مررت على دار لظمياء باللّوى　　ودارٍ لليـــلى إنهُنّ قِفَار

فقلت لها يا دار غيرك البلى　　وعصْرانِ ليل مرة ونهار

فقالت نعم أين القرون التى مضت　　وأنت ستَفْنىْ والشباب مُعَارُ

لئن طال أيام بحزوى لقد أتت　　علىّ ليالٍ بالعقيق قِصَار

وقالت العيوف بنت مسعود أخى ذى الرمّة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة　　بجمهُو ر حُزْوَى حيث ربتنى أهلى

وصوت شمـال زعزعت بعد هجعة　　ألاء وأسْبَاطا وأرطى من الحبل

أحب إلينا من صيـاح دجاجة　　وديك وصوت الريح فى سعف النخل

وهى باقيه بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الصلب

ثم تطلع على الصلب ، وهذا الصلب ما بقى اسم الدهناء فهو باقٍ فى جهتها الشرقية ، متصل بها جنوباً وشمالا ، وهو الفاصل بين الدهناء والصَّمان ، إذا خرجت من الدهناء فأنت فى متن الصلب ، وهذا اسم له جاهلى ، وقد بقى به إلى هذا العهد ، وبه يوم من أيام العرب ، وفيه مَلاَزم ماء كثيرة : منها خسيفاء ، ومعقلاء ، والشملول ، قال ذو الرمة فى ذكر الصلب :

له واحف فالصلب حتى تقطّعت خلاف الثريا من أريب مآربه

وقال الشاعر :

كأن غدير الصلب لم يصح ماؤه له حاضر فى مربع ثم واسع

وقال جرير :

ألا رب يوم قد أتيح لك الصّبا بذى السدر بين الصلب فالمتثلم

فما حمدت عند اللقاء مجاشع ولا عند عقد تمنع الجار محكم

خسيفاء ومعقلاء

ثم تتجه إلى جهة القطب الشمالى فى الجهة الشرقية منه ، ثم تأتى خسيفاء ومعقلاء والشملول ، وفى الشملول مركز ومكينة أرتوازية يردها المشرق والمغرب ، وجميع الناس ، وذلك من إصلاحات جلالة الملك حفظه الله ، وهذا الموضع هو أعظم مضماً فى تلك النّاحيَة ، كما أنه أمَرَ بوضع مكينة أخرى أرتوازية فى روضة الحنى بين منهل أبى جفان وبين الأحساء ، وذكروا على معقلاء أنها سميت بهذا الاسم لأنها تعقل الماء عن الخروج ، ويبقى فى وسطها ، قال الأزهرى على ذكر معقلاء : وقد رأيتها وفيها خَبَارٍ كثيرة تمسك الماء دهراً طويلا ، وبها جبال رمال يقال لها الشماليل ، قال ذو الرمة :

جوارية أو عوهج معقليّة ترود بأعطَافِ الرِّمال الحرائر

وقال يصف الحمر فى شطر بيْت :

* وثب المسحج من عانات معقلةٍ *

ومركز الحكومة فى الشملول نفسه ، ومعقلاء باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والشملول باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو اسمه الجاهلى ، وفيهم من يقول له الشماليل ، قال ذو الرمة :

وبالشماليل من جلان مقتنص رثّ الثياب خفى الشخص منزرب

وخسيفاء على اسمها إلى هذا العهد .

ثم تشرق على قارعة الطريق المتجه إلى جهة الكويت ، ثم تدخل الصمان ، قال الأصمعى : الصمان أرض غليظة دون الجبَل ، قال أبو منصور : وقد شَتَوْتُ بالصَّمان شتوتين ، وهى أرض فيها

غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ، وخَبَارٍ تنبت السِّدر عذبة ، ورياض معشبة ، وإذا أخصبت ربعت العرب جمعا ، وكانت الصّمان من قديم الزمن لبنى حَنْظَلة ومن والاها من بنى تميم ، والدهناء لهم ، هذه الرواية من روايات المعجم ، وقالوا فى غيره : إذا أخصبت الدهناء لم تَضِقْ بأعراب نجد ، وقال الآخر : إذا أخصبت الصمان لم تضق بالأعراب ، وقال الأصمعى : من شَتَّى فى الدهناء وتربَّع الصمان واصطاف الحمى فقد أصاب المرعى ، وقال : فى الصمان موضع يقال له : صمانة ، واستدل بقول ذى الرمة :

يعل بماء غادية سقته ... على صمانة وصغى فسالا

وقال حسان :

لمن الدار أقفرت بمعـــان ... بين شاطى اليرموك فالصمان

فالقريّات من بلاس فداريّـــافسكاء ... فالقصور الدوانى

والصمان باق على اسمه إلى هذا العهد .

ثم تتجه قاصداً أيسر الشرق وجميع مياه الشواجن على شمالك ، وهى : اللهابة ــ وفيهم من مياه الشواجن يقول لهاب ــ والقرعى ، واللصافة ــ وفيهم من يسميها لصاف ــ ووبرة ، واسمها فى الزمن القديم ثبرة ، وقرية ، واسمها فى الزمن القديم طويلع ، قال : ومن مياه الشواجن منهل طويلع ، وهو قريب المَنْزَع ، عَذْب الماء ، وليس هناك منهل قريب المنزع عذب الماء إلا ماءة قرية ، قال على ذكر اللهابة ــ وهذا حجة لمن سماها لهاب ــ قال أوفى بن مطير المازنى مازنِ تميم[1] :

فسلّ طلابها وتعزَّ عنها ... بناجية تخيل فى الركاب

طَوَت قرنا ولم تطعم خبيًّا ... وأظهر كشحها لقح الذباب

كأن مواقع الأنساع منها ... على الدفين أجرد من لهاب

وقال بعض شعراء بنى تميم :

منع اللهابة حمضها ونجيلها ... ومنابت الضمران ضربة أسفع

وقال حاجب بن ذبيان المازنى مازنِ تميم :

إذا ما التقينا لا هوادة بيننا ... فبئست أنى من قال من ألم مهلا

فإنَّ بفلج والجبال وراءه ... جماهير لا يرجو لها أحَدٌ تَبْلَا

فإن على جوف اللهابة حاضرا ... حرارا يسنون الأسنَّة والنَّبْلَا

ويكفيك شاهداً على لصاف وثبرة قول النابغة :

(١) معجم البلدان ٧/٣٤٤

وبالمُرْقِلاَتِ من لصاف وثبرة   يزرن ألالاً سيرهن التدافع

لصاف تسمى فى هـذا العهد اللصافة ، وثبرة يقال لها وبرة ، والقرعى : منهل بين اللصافة واللهابة ، واللصافة والقرعى واللهابة طولُهن من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، والقرعى على اسمها لم يتغير ، وقد غلط صاحب معجم البلدان فى ذكره القرعى حيث قال : هو منزل فى طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقصة ، إذا كنت متجها إلى مكة ، وبين المغيثة والقرعى الزبيدية ومسجد سعد والحبراء ، وبين القرعى وواقصة على ثلاثة أميال بئر تعرف بالمرعى ، وبين القرعى وواقصة ثمانية فراسخ ؛ هذه العبارة تحدث عن القرعى الواقعة فى أعلى القَصيم وما يليها من النواحى ؛ لأنه ذكر الحبراء ، وذكر مواضع كثيرة محيطة بالقرعى ، ثم استطرد فى عبارته ولم يُنبّه على شيء منها ، إلا أنه جعلها قرعى واحدة ، ثم قال : وفى القرعى بركة وركايا لبنى غُدانة وكانت بها وقعة بين بنى دارم بن مالك وبنى يربوع ، بسبب هيج جرى بينهم على الماء ، وهذه العبارة الأخيرة التى ذكر فيها الواقعة فهى فى القرعاء الواقعة فى الشواجن التى تُعَد من مياه الصَّمان

فإذا تركت تلك المواضع المذكورة على شمالك بدا لك الحمار ، حمار قرية ، وهو معروف بهذا الاسم عند أهل تلك الناحية ، وهو جبل متصل به أبارق ورمال من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية ، غربى قرية ، يقال له الحمار ، ولا أعلم فى نجد من الجماد شيئاً بهذا الاسم ، إلا حمارين : حمار قرية الذى كنا فى ذكره ، والحمار الواقع بين جبل ظَلِم وبين البقرة .

طويلع

ثم تصل قرية وهى التى تسمى طويلعا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال ضمرة بن ضمرة النهشلى نهشل تميم :

فلو كنت حربا ما بلغت طويلعا   ولا جوفه إلا خميسا عرمرما

وقال الحفصى : طويلع منهل بالصمان ، وفى كتاب نصر : طويلع وادٍ فى طريق البصرة إلى اليمامة بين الدوّ والصَّمان ، والدوّ : هى الدبدبة والقَرْعَة المعروفتان فى تلك الطريق ، قال أعرابى يرثى واحداً :

وأىّ فتى ودّعت يوم طويلع   عشية سلّمنا عليه وسلما

وما بصدور العيس منحرف الغلا   فلم يدر خلقٌ بعده أين يمّما

فياجازى الفتيان بالنعَم أجزه   بنعماك نُعمْى واعف إن كان أظلما

وعندى دليل واضح على أن طويلعا هو الذى يسمى «قرية» اليوم ، كنا فى بلدنا ذاتِ غسل سنة ١٣٢٢ ﻫ وأنا حديث السن ، فنزل عندنا أعراب من عتيبة ، وفيهم شيخ كبير السن من ذوى زياد من

قبيلة النفعة ، يقال له « طويلع » فسأله والدى وأنا حاضر : لماذا سماك أهلك طويلعا ؟ قال : كنا مع مطير وأنا فى بطن والدتى ، وتربعنا الصمان ، ووضعتنى فى وادى قرية ، وذلك الوادى يقال له طويلع ، فسمونى باسمه ، فبعد ما كبرت وفهمت سألت والدى عن هـذا الاسم ، فقال : ولدت فى وادى طويلع الذى يصب فى قرية فسميناك باسم ذلك الموضع ، وفى هذا العهد لم أكن سمعت له ذكراً ، وقرية بها مركز وإمارة لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

الوريعة

فإذا خرجت متجهـا إلى الـكويت بين الشرق والقطب الشمالى بدا لك حزم مرتفع عن الأرض له منظر كمنظر الحمار الذى مر ذكره ، ولـكنه أصغر منه ، يقال له الوريعة ، وهذا اسمـه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال جرير :

أيقيم أهلك بالستار وأصعدت   بين الوريعة والمقاد حمول

قال فى معجم البلدان : الوريعة حزم لبنى فقيم بن جرير بن دارم ، وجميع تلك المواضع معروفة لبنى تميم ، قال شاعر تميمى اسمه ربيعة بن سفيان :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن   خرجن سراعا واقتعدن المناثما
تحملن من جو الوريعة بعد ما   تعالى النهار وانتجعن الصرائما
تحلين ياقوتاً وشَذْراً وصيغة   وجزعا ظفاريا ودرًّا توائمـا
سلـكن القرى والجزع تُحْدَى جمالهم   وورّكن قوا واجتزعن المخارما
فَآلَى جناب حلفة فأطعتـــــه   فنفسك ولِّ اللوم إن كنت لائما
كأن عليه تاج آل محرق   بأنْ ضرّ مولاه وأصبح سالما

لنا فى هذه الأبيات نظرة ، وذلك فى قوله :

* سلـكن القرى والجزع تُحْدَى جمالهم *

وذلك لأن موضع «قرية» ليس من شك أنه وادى طويلع ، ويمكن أن قرية اسمها قديم ولم نعثر لها على ذكر إلا فى هذه الأبيات فى قوله « سلـكن القرى » لأنها قريتان : قرية الشمالية ، وقرية الجنوبية ، وهما باقيتان بهذا الاسم إلى هذا المهد ، وأما الوريعة ففيها مركز مربوطة معاملته بمركز قرية ، وهذا المركز عن تهريب وغيره .

القتادية

ثم تتجه من الوريعة قاصداً الـكويت ، وترد القتادية ، وهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهذا اسمه الجاهلى ، قال فى معجم البلدان : وذات القَتَاد موضع وراء الفلج ، واستطرد على هذا الاسم إلى أن قال : قتائد ، ثم قال : قتائدة ، واستدل بقول الشاعر أنشده الأديبى :

حتى إذا أسلكوها فى قتائدة شَلاًّ كما تطردُ الجمَّالة الشُّردا

وذكر القتود ، واستدل بقول عدى بن الرقاع :

قريَّة حبك المقيط وأهلها يخشى مآب ثرى قصور قُراها

واحتلّ أهلك ذا القتود وغُرّبا فالصّحصَحان فأين منك نواها

وعندى أن العبارة الأولى وشاهدها أصح من هذه العبارة ، والمسافة الواقعة بين القتادية و بين قرية يقال لها فى هذا العهد الدبدبة ، والقرعة ، وكانت فى الزمن القديم يقال لها الدو ، واختلف أهل اللغة فى لفظ الدوّ وما يطلق عليه ؛ فمنهم من قال : إنه يطلق على كل أرض متسعة مستوية ليس بها جبال وكل أرض على هذه الصفة يقال لها الدو ، وقال آخرون : بل هو موضع بعينه فى شرقى الصمان ، يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال كامتداد الصلب فى غربى الصمان ، ما دام الصمان معك فالصلب معك ، فى جهته الغربية ، وما دام الصمان معك فالدوّ معك فى جهته الشرقية ، والدو هو الذى يسمى اليوم الدبدبة والقرعة ، قال فى أخبار القرامطة : لما وردوا حفر أبى موسى الأشعرى ، ثم صدروا منه وسلكوا الدو ثم وردوا ماءة يقال لها ثبرة ، فهلك لهم ركاب كثيرة من مائها ، فهم على هذا السير قاصدون عاصمة ملكهم القطيف ، وثبرة التى كانت تسمى بهذا الاسم فى الزمن القديم هى و برة اليوم ، وهى معروفة تبغر الإبل إذا وردتها على ظمأ ، و إذا بقى هذا المنهل لم يورد ، و بقى بصراءته قتل الرجال ، أعرفه قتل خمسة أشخاص ، كان إذا سقطت الدلو ونزل صاحبها فى البئر يريد إخراجها انعطف ومات فى الصراء ، فأما الذى يعلم حالها وليس جاهلا بها فإنه يترك دلوه ، وهى مجاورة لقرية المذكورة المعروفة اليوم ، ولم تفرد بلفظ قرية إلا فى هذا العهد الحديث بعد ما سكنها مطير جماعة الدويش ، ثم عمرها مركز الإمارة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لما أسست فيها هى ومركزها الرسمى ، والذى أعرفه عنها فى القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر أنها لم تكن تسمى عند جميع أهل نجد إلا باسم « قريات » على صورة الجمع ، وفى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر خرج محمد آل صباح ، وأخوه جراح أمراء الكويت ، ونزلوا قرية ومعهم خيام وخدم على صفة القنوص ، ولكنهم مكثوا فيها ، فقال شاعر من أهل نجد من شعراء النبط :

الْبَر لَلّى يَنْطَحُونْ الْمُوجْبَاتْ رَبْعى هَلْ الْعَوْجَا عَمى عَيْن اَلْخِرِيْبْ

وَيْشَ الّذِى جَابْ الْكوِيتِى لِقرْيَاتْ مَا قَادَهْ الْعَاقِلْ وَلاَ الراىْ الصليب

وأعرف شاعرا من أهل نجد فى أوائل القرن الرابع عشر ، قال قصيدة نبطية يذكر فيها

الجيش ، فقال :

يا راكِبً خَمْسْ مِنْ الموجْفَاتِ مَنْ نَسْلْ وَاحَد مَاخَلَطَهن حَذاتَهْ
هذا لهنْ خَمْس وَهَنْ حَائِلَاتِ ولا هجْر عَنْ لحويْر ذا كَراتَه
خَذَنْ مِنْ النَّعْمَهْ وَهَنْ منعماتِ فى ضَفْ شيخ تحتميها قنَاتَهْ
مَا طر خشم محقّبــــــهْ اقْريَاتِ لا ذكر وسْمى رعن فى نَبَاتَهْ

ولا تعرف هذه المناهل التى يقال لها قرية اليوم إلا بقولهم « قريات » على صورة الجمع ، وتلك النواحى من الدو إلى قريب الوشم هى بلاد تميم فى الزمن القديم فى جاهليتهم وفى إسلامهم ، وأما الـكويت [١] فظنى أنه اسم حديث ؛ لأنى لم أجد له ذكرا فى أشعار العرب ، لا فى الجاهلية ولا فى صدر الإسلام .

وهذا الطريق الذى سلـكناه هو طريق السيارات ، وأما طريق الإبل من نجد إلى الـكويت فأبعد منهل يرده السالك شمالا حَفْر أبى موسى الأشعرى ، وأبعد المناهل الجنوبية ماءة اللهـابة ، وجميع ماثبت لدينا أنه باق على اسمه الجاهلى على هذا الطريق الذى سلـكناه من جدة إلى الـكويت قد أثبتنا ذكره ، وأوردنا شاهده ، والاختلاف فى الأسماء قليل ، إما بنقص حرف واحد ، أو إبدال حرف مكان حرف .

* * *

ونرجع الآن إلى ما كنا فيه من المواضع :

٤٣ — قال عامر بن الطفيل يرثى ابْنَ أخيه عبد عمرو بن حنظلة بن الطُّفَيْل :

وهَلْ داعٍ فيَسْمَعَ عبدُ عمرو لأخْرَى الخيل تصرعُهاَ الرماحُ
فلا وأبيك ماأنْسَى خليلى ببدوةَ ما تحرّكت الرياحُ
وكنت صَفِيَّ نفسى دون قومى وودى دون حامله السـلاح

وقال تميم بن أبى بن مقبل :

هَلَ أنت مُحَيِّ الربع أم أنت سائله بحيث أفاضت فى الركاء مسـائله
وكيف تُحَيِّ الربْعَ قد بان أهلُه فلم يَبْقَ إلا أسُّهُ وجنــــادله
وقد قلت من فَرْط الأسىإذ رأيته وأسبل دمعى مستهلا أوائله

---

(١) ثبت لدينا أنه اسم حديث ، وكان أول من بنى فى ذلك الموضع ابن عريعر ، فقد بنى قصراً سماه الـكوت ، وكان يضع فيه أرزاقه ، ثم طلب منه ابن صباح أن يأذن له فى أن يبنى بجانبه قصراً ، فأذن له ، فبنى وسماه الـكويت ، فبقى الـكويت ، وذهب الـكوت مع ذهاب ملك آل عريعر .

ألا يا لَقَوْمى للديار ببـدوة وأنَّى مَرَاحُ المرء والشيب شامله

بدوة

ذكر الشاعران بدوة ، وقد مررنا على ذكرها فى قول الأعشىٰ عند ذكره للسخال وبادولىٰ ، وهى قريبة السخال ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد « بدوة » هضبات خارجة من الهضب فى جهته التى تلى مطلع الشمس ، فمنهم من يفردها ويسميها بدوة ، ومنهم من يسميها بدوات ، واقعة عن الحمل مما يلى مطلع سهيل ، وزاد ابنُ مقبل فى قصيدته فذكر الركا ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهو من أعظم أودية نجد ، وهو المتاخم لتلك الناحية التى فيها بدوة ، وقال أعرابى جاهلى :

ومرّ على ساقى مرنخة فالتمس به شَربة يسنيكها أو يبيعها

قال الأصمعى : إنها ماء إلى جنب المردمة ، وهذا غلط ، فإن مرنخة فى الزيدى تقع فى جنوبيه وهى بئر جاهلية انهدمت فلم تُبْعَثْ إلاَّ فى هذا العهد الحديث ، بعثها ابنُ ثابت من الشيابين ، استدل عليها بآثارها ، وأعلاها لم يتهدم ، والزيدى فى القطعة الجنوبية من نجد ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها مرنخة .

* * *

٤٤ — وقال جرير :

يا أيها الراكب المزْجى مطيتَهُ بلغ تحيتنا لقيت خِلاَّنا

نهدى السلام لأهل الغور من ملح هيهات من ملح بالغور مهدانا

أَحْبِبْ إلىَّ بذاك الجزع منزلة بالطلح طَلْحا وبالأعطان أعطانا

وقال شاعر آخر يقال له أبو الغنائم المدائنى :

حَنَنْتِ وأين من ملح الحنينُ ؟ لقد كذبتكِ يا ناق الظنونُ

وشاقَك بالغُوَيْر وميضُ برقٍ يلوحُ كما جَلاَ السيفَ القُيُونُ

فأنت تَحَنَّنِينَ له شمـالا ودون هواك من ملح يَمِينُ

ملح

ملح : منهل قريب من الكويت لايزال على اسمه إلى هذا العهد ، وهو معروف بهذا الاسم عند جميع العرب ، وكان به يوم عظيم بين الإمام عبد الله بن فيصل والعجمان ، وكانت النصرة فى ذلك اليوم للإمام عبد الله بن فيصل ومَنْ معه من المسلمين على العجمان . فقتلوهم قتلا ذريعاً وانهزمت جميعُ قبائل العجمان ومن عاضدهم من أعراب تلك الناحية .

* * *

عَوْدٌ على بَدْءٍ :

الوريعة التى مر ذكرها هى التى قال فيها جرير :

أيقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريعة والمقاد حمول

وقال أيضا مروان بن أبى حفصة :

قطع الصرائم والشقائق دوننا ومن الوريعة دوّها فمَقَادُها

وظنى أن المقاد هو الذى يسمى حمار قرية اليوم ، والدو معروف أنه الدبدبة والقرعة ، والوريعة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد على طريق الكويت، بها مركز لحكومة جلالة الملك عبد العزيز تمر بها وأنت خارج من قرية .

* * *

وقد انتهى الحديث عن الطريق السالك من الحجاز إلى الكويت ، وأوردنا ما ورد فيه من الشواهد ، وذكرنا بقاعه وأوديته ومياهه وجباله ، وبقى جبل صغير يقال له «وارة» يقع قريبا من الكويت ، يجاور ماء الصبيحية المنهل المعروف ، وهذا اسمه الآن ، وقد كان يقال له فى الزمن القديم « أوارة » ذكر فى معجم البلدان موضعين بهذا الاسم : موضعاً ذكّره ، وموضعاً أنثه ، قال على أوار وهو المذكّر مستدلا بشعر ابن أبى خازم :

أوارة

كأن ظباء أسنمة عليها كوانس قالصاً عنها المغار

يفلجن الشفاهَ عن أُقحوانٍ جلاه غب سارية قطار

وفى الأظعان آنسة لعوب تيمم أهلها بلداً فساروا

من اللائى غذين بغير بؤس منازلها القصيمة فالأوار

وأما المؤنث الذى كان يقال له « أوارة » فى الزمن القديم وهو وارة اليوم فهذه عبارة صاحب معجم البلدان بعينها ، قال : أوارة : جبل لبنى تميم ، قيل بناحية البحرين ، وهو الموضع الذى حرق فيه عمرو بن هند بنى تميم ، وهو عمرو بن المنذر بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم بن عدى بن مرة بن أدد ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أمه هند فهى بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة الكندى الملك ، وكان من حديث ذلك أن أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند كان مستودَعاً فى بنى تميم ، فقتل فيهم خطأ ، فخلف

عمرو بن هند ليقتلن به مائة من بنى تميم ، فأغار عليهم فى بلادهم بأوارة ، فظفر منهم بتسعة وتسعين رجلا ، فأوقد لهم ناراً وألقاهم فيها ، ومر رجل من البراجم ، فشم رائحة حريق القتلى ، فظنه قتارَ الشِّواء ، فمال إليه ، فلما رآه عمرو بن هند قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم ، فقال : إن الشقى وافد البراجم ، فأرسلها مثلا ، وأمر به فألقى فى النار ، و برت يمينه ، فسمَّت العربُ عمرو ابن هند «محرقاً» والبراجم : خمسة رجال فى بنى تميم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكلفة ، والظليم ، بنو حنظلة بن مالك بن زيد مَناَة بن تميم ، اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف ، فغلب عليهم الاسم ، قال الأعشى :

ها إن عجزة أمه بالسفح أسفل من أواره

وقال ابن دريد فى مقصورة :

ثم ابن هند باشرت نيرانه يومَ أوارة تميما بالصلا

وقال أبو عبيد البكرى فى كتابه معجم ما استعجم على ذكر أوارة : و بأوارة قتل عمرو بن هند من بنى دارم تسعة وتسعين رجلا ، ووفَّى بالبرجمى مائة ، وكان نذر أن يقتل منهم مائة بابنه أسعد الذى كان بَنَّاه زرارة بن عدس ، فلما ترعرع مَرَّت به ناقة كوماء سمينة فرمى ضرعها وشدَّ عليه ربُّها سويد أحد بنى دارم فقتله ، وقال الأعشى فى ذلك :

وتكون فى السلف الموا زى منقراً و بنى زراره
أبناء قوم قتلوا يوم القصيبة من أواره

وقال جرير يعير الفرزدق ذلك :

ولَسْنَا بذبح الجيش يوم أوارة ولم يستبحنا عامر وقبائله

وأوارة المذكورة هى وارة الواقعة فى جهة الكويت ، لا تزال باقية بهذا الاسم لم تتغير غير أنه سقط من اسمها همزة .

الجودى — ويخرج من هذا الطريق الذى ذكرناه طريق الأحساء قاصداً مطلع الشمس متجهاً إلى الأحساء ، ويقال له فى هذا العهد « الجودىّ » نسبة إلى « جودة » وهو منهل جاهلى معروف فى أشعار العرب وأخبارها ، إلا أن المتأخرين أسقطوا من اسمه الجاهلى ياء من أوله ، فقد كان اسمه الجاهلى يجوده ، وقد ذكرها صاحب معجم البلدان ، وقال : هى فى بلاد بنى تميم ، و هى قريب منتصف الطريق بين الدهناء و بين الأحساء ؛ إلا أن المسافة الواقعة بين الأحساء وجودة أقرب ، وقد أكثرت شعراء بنى تميم من ذكرها باسمها الجاهلى ، قال عبدة بن الطبيب :

لولا يجودة والحى الذين بها　　أمسى المزالف لا تذكو بها نار

وعبدة شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم ، وكان فى جيش النعمان بن مقرّن المازنى الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر هذه الغزوة فى قصيدة له أولها :

هل حبل خَوْلة بعد الهجر موصول　　أم أنت عنها بعيدَ الدار مشغول

إلى أن قال :

حلت خويلة فى دارٍ مجاورة　　أهْلَ المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية　　منهم فوارس لا عُزْل ولا ميل

قال الأصمعى : أرثى بيت قالته العرب بيت عبدة بن الطبيب .

فما كان قيس هلكه هلك واحد　　ولكنه بنيان قوم تهدما

وهذا البيت من مرثية له فى قيس بن عاصم المنقرى .

وقال جرير على ذكر « جودة » فى هجائه لربيعة الجوع :

فصبراً على ذل ربيعَ بن مالك　　وكل ذليل خيرُ عادته الصبْرُ

الأ تسألانى الجوجو متالع　　أما برحت بعدى يجودة والقصر

وقال جرير فى قصيدة له :

فأنت على يجودة مستذل　　وفى الحى الذين على لهابا

* * *

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا قسما من المواضع التى تكررت فيها المعارك مرتين فى الجاهلية والإسلام أو فى الإسلام فقط ، وهى فى القطعة المتوسطة من نجد ، وأطلت عليها الكلام ، ولكنى أحببت ذكرها هنا مجتمعة فى اختصار ليسهل تناولها .

الحرملية : كان بها وقعة فى الجاهلية ، وفى أول القرن الرابع عشر .

عرجاء : بها وقعة فى الجاهلية فى وادى النشاش ، ووقعة فى أوائل القرن الرابع عشر .

والضلفعه : آخر معارك البطاح فيها ، وقُبِر بها مالك بن نويرة اليربوعى ، وبها وقعة فى أوائل القرن الرابع عشر تقريباً .

والصّريف : به وقعة فى الجاهلية ، ووقعة فى أوائل القرن الرابع عشر .

والشريف : فى القطعة الواقعة بين مجيرات وحذنّة وسناف الطرار ، هذه المواضع تكررت فيها المعارك فى الجاهلية وفى القرون الأخيرة .

فأما المواضع التى تكررت فيها المعارك فى القرون الإسلامية فهى : طلال ، وجراب .

وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا هذا مفصلاً ، وفى شهر شعبان من سنة ١٢٢٨ كانت معركة فى « تربة » بين أهل نجد وأهل الحجاز ومن معهم من الناس ، وكان رئيس أهل الحجاز راجحا الشريف ، فانهزم الحجازيون هزيمة شنعاء ، وفى شهر شعبان من سنة ١٣٣٧ كانت الوقعة المشهورة فى تربة بين أهل نجد وأهل الحجاز ، ورئيس أهل الحجاز الشريف عبد الله بن الحسين ، فانهزم الحجازيون هزيمة أعظم من هزيمتهم الأولى ، وهناك موضع آخر قريب من « تربة » وهو « الطائف » دخله أهل نجد فى القرن الثالث عشر ، ودخلوه فى القرن الرابع عشر ، وموقعة تربة الأولى والأخيرة كل منهما كانت فى شهر شعبان .

وقد انتهينا من ذكر المواضع الوارد ذكرها فى أشعار العرب على الاختصار ، ولو أطلنا لضاقت المجلدات بذلك ؛ أنظر إلى قصيدة جرير الفائية التى وفد بها على الوليد بن عبد الملك ، وهى القصيدة التى مطلعها :

أنظر خليلى بأعلى ثَرْمَداء ضحىً والعيس جائلة أغراضها خنف

تجد أنه ذكر بها خمسةً وعشرين موضعاً ، وهى هذه :

ثرمدا ، السر ، كابة ، الخرج ، الدام ، الأدمى ، برقة الروحان ، الغرف ، أسنمة ، نجد ، الغور ، عسفان ، الجحف ، الشام ، السهباء ، فيحان ، الحزن ، الصمان ، الوكف ، بردى ، توماء ، الفرات ، دجلة ، جمع ، العقر ، فجميع هذه المواضع ذكرت فى قصيدة واحدة . وقد مر أكثرها فى كتابنا هذا ، وأسماؤها باقية إلى هذا العهد .

ثرمداء : مدينة واقعة فى جنوبى الوَشْم ، واسمها باقٍ على حاله ، وهى لبنى سعد من تميم فى الجاهلية .

السر : هو الكثيب المرتكم الذى يحيزه الطريقُ النافذ بين الدوادمى ومراة ، واسمه لم يتغير إلى هذا العهد .

كابة : فى القطعة الشمالية من بلاد بنى تميم غربى الدهناء ؛ لأنى رأيت لها ذكراً فى أشعار بنى نمير ، وقد اندرس اسمُها الجاهلى .

الخَرْج : من أودية اليمامة ، باقٍ على اسمه .

الدام ، والأدمى : موضعان فى اليمامة ، لا أعلم لهما ذكراً فى هذا العهد .

برقة الدوحان : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فى وادى الخرج ، وسألت عنها الشيخ محمد

ابن عبد العزيز بن هليل قاضى الدوادمى فى عهدنا هذا لأنه من أهل تلك الناحية ، فقال : معروفة عندنا ؛ فيهم من يسمّيها برقة الدوحان ، وفيهم من يسميها أبرق سارة .

الغرف : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أسنمة : معروفة بهذا الاسم فى جهة الزلفى .

نجد : معروف ، وشهرته تغنى عن تحديده .

الغور : هو غور تهامة .

عسفان : معروف بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من وادى فاطمة .

الجحف : معروفة بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من عسفان ، وهى الجحفة المعروفة اليوم .

السهباء : معروفة باسمها هذا فى وادى الخرج .

فيحانُ والحزن والصمان والوكف جميعُها فى القطعة الشمالية من الصمان ، وباقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد .

الشام : معروف .

بَرَدَى : هو نهر دمشق الشام .

توماء : لا تكون إلا فى جهة الشام ؛ لأنه ذكر الناقوس فيها ومنهم من قال : يعنى تيماء ، وأبدل الياء واوا .

الفرات : نهر معروف ، ودجلة كذلك .

جَمْع : هى منازل منى .

العقر : [1] ذكره الشاعر فى هجائه لآل المهلب فى آخر قصيدته ، ويقال له « عقر بابل » قتل عنده يزيد بن المهلّب فى سنة ١٠٢ هـ .

قال مصنّفُ هذا الكتاب : لقد سألنى بعض أهل الأدب : هل بقى من العرب قبيلة فى منازلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ؟ فأجبته : إن القبائل اليمانية لم تَخْلُ منازلها منها من العهد الجاهلى إلى اليوم ؛ فكل قبيلةٍ قد بقى منها قوم فى منزلها ، وأقربُ قبيلةٍ يمانية إلى جهة الحجاز بجيلة ، وقبيلة دَوْس فى منزلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد فى الحجاز الجنوبى الواقع فى بلاد

(١) العقر : موضع هزم فيه يزيد بن المهلب وقتل فيه . وقصيدة جرير أجمع أهل التاريخ أنه وفد بها على الوليد بن عبد الملك ، والذى قتل ابن المهلب جيش يزيد بن عبد الملك ، فذكر آل المهلب فى القصيدة لا يكون إلا زيادة صنعت ! أو يكون جرير إنما وفد بالقصيدة على يزيد بن عبد الملك .

زهران ، وكان عندهم ذو الخلصة الصنمُ الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهَدْمه ، ثم هدم فى عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وقبائل هوازن فى منازلها من العهد الجاهلى إلى هذاالعهد، ومنازلها حدُّها الجنوبى المعدن و بقران ، وحَدُّها الشمالى قَرْن المنازل ووادى العقيق من أعلاه إلى بلاد غطفان ، ومن ترك موطنه منهم انحدر إلى نجد و بقى بها ، وأطلق اليوم على تلك القبائل اسم عتيبة ، وما رأيت لهذه اللفظة أصلاً فى النسب ، وأما الأسماء القديمة فما يزال منها كثير ينسبون إلى هوازن ، منهم بنو سعد الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، و بطونهم باقية إلى هذا العهد يقال لهم بنو سعد ، وهم فى منازلهم التى كانوا ينزلونها فى العهد الجاهلى ، و بنو جُشَم ابن معاوية الذين كان يرأسهم فى الجاهلية دُرَيد بن الصمّة الذى قُتل يوم حنين وهذا نسبه : فهو دريد بن الصمّة بن الحارث بن معاوية بن بكر بن عاقمة بن خزاعة بن غزيّة بن جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور ، فهذا البطن العظيم لم يبق منه إلا قبيلة « القثمة » الذين يرأسهم « العبود » وهم فى منازلهم التى كانت لهم من العهد الجاهلى إلىهذا العهد ، وأكبر بطن من هوازن ثقيف ، وهم فى منازلهم من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، ومنازلهم فى الطائف وأوديته وجباله ، ومنهم بنو سفيان ، وهم يقيمون فى جبالهم الواقعة غربى الطائف ، وأبوهم سفيان بن عبد الله الثقفى روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى كتاب نصيحة المسلمين من مجموعة الحديث النجدية (ص ٣٤٦) عن سفيان بن عبدِ الله الثقفى قال : قلت لرسول الله : ما أخوفُ ما تخافُ على ؟ قال : فأخذ بلسان نفسه وقال « هذا » رواه الترمذى وصححه ، و بنو سليم بن منصور ، لا يزالون فى جبالهم وحِرَارهم من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وممن ينتمون إلى منصور أبى هوازن : قبيلة القثمة ، وهم بنو جُشَم بن معاوية ، وقبيلة الدعاجين ، وقبيلة الشيابين ، وقبيلة العصمة ، وقبيلة الدغالبة ، هؤلاء القبائل جميعُها يقال لها « أبناء منصور » ولاأعلم فى قبائل هوازن رجلاً يقالُ له منصور تنتمى إليه قبائلهم إلاّ منصورا الأكبر أبا هوازن وسليم .

أمّا هذيل فهى باقية فى منازلها من العهد الجاهلى إلى هـذا العهد ، فى وادى نخلة اليمانية وجبالها ووادى نخلة الشامية وجبالها ، وتمتد منازلهم إلى عسفان شمالاً ، وجنوباً إلى وادى حنين .

وأما بنو لِحْيَان فمنازلهم داخل الحرم من الأميال إلى مكة ، وما بين التنعيم ووادى فاطمة ، وهى منازلهم من العهد الجاهلى ، ومن أهل النسب من قال : إنهم من هُذَيل ، ومنهم من قال : إنهم من بقايا العماليق الذين هَلَكوا بتهامة وحالفوا هذيلا .

وكانتلهذيل صولة فى الجاهلية ، ونفوذ فى مكة وضواحيها ، لما خرج أبو بكر رضى الله عنه

من مكة بعد ما آذاه قومه ، قال ابن هشام : وسار عن مكة يوما أو يومين اعترضه ابنُ الدُّغُنَّة الهذلى ، فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذانى قومى ، فقال : ارْجِعْ إلى مكة ، وأنا لك جار ، فرده إلى مكة ، ومنهم من قال : إنه لم يرده إلا من بَرْك الغماد ، فرجع أبو بكر إلى مكة فى جوار ابن الدُّغُنَّة الهذلى ، وهذا دليل على أنه قد كان لهم سلطان ونفوذ فى مكة ، وابن الدُّغُنَّة : رجلٌ من القارة وكانوا قد حالفوا الأحابيش ، فإذا أردت أن تطلع على تغلُّب هذيل على المسلمين وتجبّرهم فراجع فى سيرة ابن هشام ما ذكره عن يوم الرجيع فى سنة ثلاث من الهجرة ، وقتلهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيعهم خُبَيْباً وزيد بن الدثنة على قريش بمكة . واللذان باعاهما زهير بن الأغر وجامع الهذليان ، وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه فى ذلك :

أبلغ بنى عَمرو بأنّ أخاهما شراه أُمرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعا يركبان المحارما
فليت خُبَيْباً لم تَخُنْه أمانة وليت خبيباً كان بالقوم عالما

وقال حسان أيضا يهجو هذيلا :

لعمرِى لقد شالت هذيل بن مدرك أحاديث كانت من خبيب وعاصم
همُ غدروا يوم الرَّجيع وأسلمت أمانَتهُمْ ذَاعِفَّةٍ ومكارم

وهى قصيدة طويلة .

وقال أيضا :

فلا والله ما تَدْرِى هُذَيل أصافٍ ماء زمزم أم مَشُوبُ
ولا لهمُ إذا اعتمروا وحَجُّوا من الحجرين والمَسْعَى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللُّؤم المبيّن والعيوب

ووقعة الرجيع فى أرض « لهدَةَ » الواقعة بين وادى فاطمة وعُسْفَان ، وهذا دليل على امتداد بلادهم فى الجهة الشمالية فى العهد الجاهلى ، وهذيل باقية فى منازلها القديمة لم تتغير .

وأما مُزَينة فكانت منازلها فى العهد الجاهلى قريبَ المدينة ، وهذا الاسم لم يتغيّر منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وهى باقية فى منازلها القديمة إلى هذا العهد ، وزادت تلك القبيلة بقبائل يقال لها « حرب » [و بلغنى عن بعض النسابة أن حربا بطن يمانٍ] والعنصر القديم مزينة كلفظة عتيبة فى هوازن ، ومزينة الموجودة فى الحجاز ونجد يرأسهم ابن نحيت ، وحرب تنقسم إلى قسمين : قبيلة مسروح ، وقبيلة بنى سالم ، وكل قبيلة تنقسم بطونا ، كما أن عتيبة تنقسم قسمين :

برقا ، والروقة ، وكل قبيلة تنقسم بطونا كثيرة ، وعتيبة وحرب انتشرتا فى البلاد النجدية ، وعنصر عتيبة هو العنصر الحجازى ، وهو هوازن ، وحرب عنصرها الحجازى مزينة ، ولها ذكر منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

وأما غطفان فغربى بلادها شرقى المدينة ، وشرقى بلادها غربى القصيم ، ومُعْظَم بلادها وادى الرمة ، ولكن بطون غطفان قد انقرض ذكرها إلاّ بنى عبد الله بن غطفان فإنها باقية فى تلك الناحية الواقعة بين حجاز المدينة والقصيم ، لم تتغير منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

وأما بطون ربيعة فكانت منازلهم فى العهد الجاهلى فى الجهة الشمالية فى بلاد العرب ، ولا يزالون ثَمَّةَ منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، إلا بنى حنيفة فقد مر ذكرها وذكر منازلها عند الكلام على بيت عمرو بن كلثوم الذى يقول فيه :

فأعرضت اليمامةُ واشمخَرَّتْ كأسْيافٍ بأيدى مُصْلِتِينا

وأما قبائل قحطان فهى فى العنصر اليمانى ، وكل قبيلة منها موجودة فى نجد لا تزال لها بقية عنصر فى البلاد اليمانية ، وثمةَ بطون صغار فى منازلهم منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد كباهلة فإن لهم عنصرا فى نفى والأثلة ، وهذه منازلهم فى الجاهلية ، ولو لم يكن فى باهلة إلا قتيبة بن مسلم لكفاهم فخرا .

وأما بنو أسد فلم يبق لهم ذكر فى بلادهم وادى سميراء ووادى بزاخة وجبل رمان ، وربما كان سكان تلك الناحية اليوم منهم ، ولكن هذا الاسم قد انقرض .

وأما جبلا طيىء فسكانهما شمر منذ العهد الجاهلى ، وشمر اسم جاهلى قديم ، قال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

سما بك شوقٌ بعد ما كان أقْصَرَا وَحَلَّتْ سُليمى بطن قو فعرعرا

إلى أن قال :

فهَلْ أنا ماشٍ بين شرط وحَيَّة وهل أنا لاقٍ حى قيس بن شمرا

وشمر هذا هو أصل هذه القبيلة التى يُطْلَق عليها لفظة شمر اليومَ.

وقبائل قُضَاعة على اختلافها تسكن ينبع والشمال إلى قريب من حدود مصر وفلسطين والشام ولعل العرب الذين فى تلك النواحى يرجعون فى نسبهم إلى هذا الأصل ، وكثير من العرب قد دخلوا الديار المصرية والشام والعراق مع الفتح الإسلامى ، و بقوا فيها إلى هذا العهد .

* * *

يعلم قارىء هذا الكتاب أنى قد استشهدت بأبيات من الشعر النَّبَطى فى ذكر بعض المعارك ، وهى أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية ، فأهل الأشعار العربية عربٌ على فطرتهم ، وهؤلاء ـ أعنى أهل الأشعار النبطية ـ عرب على فطرتهم ، حَذَوا فى كلامهم حَذْوَ قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب فى بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التى بين العراقين : العراق العربى ، والعراق العجمى ، وقد كانوا معروفين باسم النبيط أو النبط ، منذ العصر الجاهلى إلى اليوم وقد جاء فى شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطَوَّفْتُ للمـال آفاقَهُ عُمَانَ لحمصَ فأورِيشَلَمْ
أتَيْتُ النجاشى فى دارِهِ وأرضَ النبيطِ وأرضَ العَجَمْ

ويُرْوَى عن ابن القِرِّيّة ـ وهو من رجال العصر الأموى ، وكان فى زمن ولاية الحجاج على العراق ـ أنه كان يقول : « أهل عُمَان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا » وقد قال أبو العلاء المعرى فى إحدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعَذَارَى إذ مال من تَحْتِهِ الْغَبِيطُ
اسْتَعْجَمَ العُرْبُ فى الْمَوَامِى بعدك ، واستعرب النَّبِيطُ

وهو يشير فى بيته الأول من هذين البيتين إلى قول امرئ القيس بن حجر الكندى فى معلقته :

ويوم عقرتُ للعَذَارى مطيتى فيا عَجَبًا من كورها المتحمل
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عَقَرْتَ بعيرى يا امرأ القيس فانْزِلِ

وإذ قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هى طريقة الحياة عند العرب ، فلا عجب أن تجد توافقا عظيما فى المعانى التى يذكرها هؤلاء وهولاء فيما يتغنون به من أشعارهم ، ولا عجب أن تجد هؤلاء النبيط يلتزمون الأوزان فى حدائهم وأشعارهم كما يلتزمها العرب ، وإن اختلفت الأوزان بعض الاختلاف فليس فى ذلك من عجب ، وكما اختلفت ألفاظهم وعباراتهم ولهجاتهم فإن أوزانهم تختلف ، وقد تتفق ألفاظهم بعض الاتفاق ، وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق ، ثم اختلط هؤلاء بالعرب فى بواديهم بحكم الفرار من الحروب ، وزارهم فى بلادهم عربٌ من خلص العرب ، فانتقل إلى هؤلاء العرب شىء من لسانهم وطريقهم فى التحدث عما فى أنفسهم من خوالج فكان من أثر ذلك أن انتقل إلى كثير من العرب فى نجد وغير نجد من بلاد العرب أسلوبهم فى الشعر فقالوا على مثاله، والغرض الآن أن نَدُلك على أن أشعار النبيط أشعار مستقيمة المعانى ، قريبة أو متحدة مع المعانى التى يطرقها العرب ، وأنا أورد لك مما احتذاه عرب نجد من الشعر النبطى شيئاً

تعرف منه صحة هذه الدعوى واستقامتها

قال طرفة بن العبد فى مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثَهْمَدِ   تلوحُ كباقى الوَشْمِ فى ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هَلِّ الدارْ يَا عوّادْ الَّا مَنَازِلْ   سَبَاريت يَاعَوّادْ خَفْيَةْ رُسُومْها

يَلُوح السَّنا فِيهَا كَمَا لَاحْ زَرْقَة   عَلَى خَدْمِيً مَنْ بقَايَا وشُومْهَا

فإذا أنت تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ، وإذا تأملت فى قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد .

* * *

قال زُهَير بن أبى سُلْمىٰ فى معلقته :

تَبَصَّرْ خليلى هل ترى من ظعائن   تحملن بالعلياء من فوق جُرْثم

وقال محمد بن لعبون :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرى مَنْ ظَعَائِنْ   تَقَافَتْ عَلَى حَد الشَّفَا مَن خرومْهَا

تَنَحَّتْ عَنْ الحَزْمْ اليَمَانِى وَقَوَّضَتْ   عَلَى شاطِي الجَرْعَا تَقَوَّتْ اعْزومْهَا

انظر تجد زهيرا يسأل خليله هل رأى الظعائن وتجد هذا المعنى بعينهو بألفاظه فى قول ابن لعبون

* * *

قال عبد الله بن رواحَةَ رضى الله عنه يخاطب راحلته فى غزوةِ مؤْتة :

إذا بَلَّغْتِنِى وحملتِ رحلى   مَسَافة أرْبَعَ بعد الحساء

فشأنك والخلا وخَلَاكِ ذمّ   فلا أرجع إلى أهلى ورائى

وقال محمد بن لعبون ، وجميع هـذه الشواهد له من قصيدة واحـدة ، قال وهو يخاطب راحلته وصاحبه

إذا جيتْ فى وادى سْدَير فخَلّهَا   تَذَبْ العَنَى مَا فَوْقهَا إلاَّ وُسُومْهَا

قَضَتْ لَازْمى فِى قَطْعهَاالسير والسّرَا   و نبى البرْ وَالْمرعىٰ وَ بَاقصى اَزومْهَا

عبد الله بن رواحه يقول : إذا أنت بلغتنى مقصدى فشأنك والخلا ، يعنى أنه يتركها ترعى كما تريد ، وابن لعبون لا يزيد عن هذا المعنى ولا يتخلف عنه

* * *

وقال حاتم الطائى :

خلقت أحبُّ السيفَ والضيفَ والقِرَى وورْدَ حياض المَوْتِ والموتُ أحمر

وقال تركى بن حميد :

بَاللَّيلْ أَصَالى حَمْيَاتْ الْمحَامِيْس(١) والصَّبْح أصَالى كَـلْ قَبّاً قَحُوم

ذكر حاتم فى كلامه الضيف والقرى وورود حياض الموت ، وتركى بن حميد ذكر المحاميس لقهوة الضيف وذكر قبا قحوم للقتال

* * *

وقال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قد تَوَّجُوه بتاج الملك يحمى المحجرينا

تركْنَا الخيلَ عاكفةً عليه مُقَلَّدة أعنتها صفونا

وشبه ذلك قول تركى بن حميد يذكر الخيل :

حَرْدْ وَهَنة كَنَّهَنْ الْقَرانيْس(٢) عَلَى الطَّرِيحْ مْصَوبرَاتً كظُومِ

معنى كلام عمرو بن كلثوم أن الخيل على الطريح مقلدة أعنتها ، ومعنى كلام ابن حميْد مصوبرات على الطريح كاظمة على الأعنة ، أعنى الخيل .

* * *

قال غَيْلان ذو الرّمة العدوى :

عهدتهم وقد جعلوا فتاخا وأجرعه المقابلة الشمالا

وقد جعلوا السبية عن يمين مقاد الْمُهْرِ واعْتَسَفُوا الرمالا

وشبه ذلك قول بصرى الوضيحى :

يَا عَلِي وَاخَلّ وردْ جَبُو جَدْلا وُشَعَاعْ وَالْغرّا نَسَفْهَن يَمِيْنَه

الشَّمْسْ طَاحَتْ وَالْمظَاهِيْر تَدْلاَ وَحَالْ النبطْ يَا عَلِي بَيْنِي وُبَيْنَه

ذكر ذو الرمة فتاخ وهو دحل فى شرقى الدهناء ، وذكر السبيّة وهى قطيعة رمل فى الدهناء ، وفتاخ والسبية معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وذكر أن الأظعان سكَنّ بينهما ، وذكر الوضيحى جبو جدلا وهو دحل فى الحجرة ، وشعاع والغراء ، وهما جبيلان صغيران ،

(١) المحاميس : آنية من الحديد تحرق بها القهوة ، القباء : الضامرة من الخيل .

(٢) القرانيس : نوع من الصقور

سلكت الأظعان عن شماليهما ، ومعنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال عمر بن أبى ربيعة :

مَنْ رسولى إلى الثريا فإنى ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِها والكتابِ

وشبه ذلك قول محسن الهزانى :

بَيْنى و بيْنَ صُوَيْحِبى وَقْفَةْ أخوالْ يا مَنْ يَدِيرْ الصّلحْ بَيْنَهْ وَبَيْنى

عمر بن أبى ربيعة يلتمس رسولا يحمل كتابه إلى الثريا معشوقته ، والهزانى يلتمس رسولا يمشى بالصلح بينه و بين صاحبته .

* * *

قال جرير بن عطية :

إن الذين غَدَوْا بلبك غادَرُوا وشَلاً بعينك ما يزال مَعينا

وشبهُ ذلك قول فهيد بن عويد المجماج راعى الأثلة :

الشَّيْخْ شَدّْ وراح قدمْ الصلاةِ وَالّى رَحَلْ ما يَلْتَفَتْ لَلمْقُيمينْ

مَنْ عَقَب ما قفَّوا وَرا واردْاتِ غَدوا بقَلبى وابقَوا الدَّمع بالعَيْنْ

جرير ذكر أنهم أبقوا وشَلاً بعينه مَعينا ، وابن عويد يقول : غدوا بقلبى وأبقوا الدمع بالعين .

* * *

قال ابن مقرب :

فَمَنْ لم يَقُدْها ضامراتٍ إلى العِدى تُقَدْ نحوهُ عوجُ البرى والشكائم

وشبيه ذلك قول ابن عريعر :

مَنْ لا يقُودْ الخيْلْ يَمْ حَفِيْفَه إن قادَها وَالاّ عَايْه تقْاد

كلام الشاعرين العربى والنبطى معناه واحد : إن لم تصل العدو فى أرضه وصَلك فى أرضك .

* * *

قال ذو الأصبع العَدْوَانى :

وإنّ الذى بينى و بين بنى أبى و بين بنى عمى لمختلف جدا

وشبيه ذلك قول عبيد بن رشيد :

أنَا عَلَى لانْ وَرَبعي عَلَى لانْ   مَتْخَالفًا راى وَرَاىْ الْجمَاعَهْ

معنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم :

فلما رأيت القومَ لا وُدَّ فيهمُ   وقد قطَعوا كلَّ العُرَى والوسائل

صَبَرْتُ لهم نفسى بسمراء سَمْحة   وأبيض عَضْبٍ من تراث المقاول

وشبه ذلك قول تركى بن عبد الله آل سعود :

يَوْم كل مَنْ خَوِيَهْ تَبرّا   حَطَّيْتْ الجَرْبْ لِى خَوِى مْبَارِى [(١)]

نَعْمْ الخَوِى إلَى سَطَا ثَمْ قَرَّا   يُودَعْ مَنَا عير النَّشَامَا حبَارِى [(٢)]

المعنيان متقاربان ، معنى قول أبي طالب : لما عادتنى قريشٌ رجعت إلى نصرة السيف ؛ ومعنى قول تركى بن عبد الله آل سعود : إنه لما اختلفت عليه رعيَّته من أهل نجد رجع إلى نصرة سيفه الأجرب وهو سيفه الخاص .

* * *

قال أبو ذؤيب الهُذَلى :

وإذا المنية أنْشَبَتْ أظفارها   ألْفَيْتَ كلَّ تَميمة لا تنفع

وشبيه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر الذى هلك عشقا :

إذَا جَاء حِمَامْ المَوْتْ مَا يَنفَعْ الدَّوا   يمُوتْ الطَّبِيبْ وَلا يفِيدْ دْوَاهْ

المعنى واحد ، وهو أن الموت لابد منه .

* * *

قال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفى :

لَيْتَنى كُنْتُ بعد ما قد بدَا لى   فى رُؤوس الجبال أرْعَى الْوُعُولا

وشبيه ذلك قولُ الزناتى خليفة وهو من زناتة المغرب :

هَنى نَفْسْ مَا ولَتْ مال جير   وَلا فرّقَتْ بيْنَ الْيَتَامَا نوالهَا

يَالَيْتَنى مَنِيبْ شَيْخْ لْقَابَسْ   هَنى نَفْسْ مَا عَليْها وَلا لْهَا

---

(١) الأجرب : سيف تركى بن عبد الله الذى قتل به أعداءه ، وهو باق إلى هذا العهد فى خزانة آل سعود .   (٢) الحبارى : نوع من الطير التى تصطادها الصقور .

المعنى واحد ، كل يطلب الانفراد بنفسه .

* * *

قال عنترة بن شداد فى معلقته :

فِيها اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُودًا كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

وشبيه ذلك قول بعض الأمراء :

ثَمَانِ لَيَالٍ نَلْطِمُ الْعُوصَ [1] بالعَصَى وَادْنى مَوَارِدْهَا سَجَا وَعَفِيفْ

وَأَخَذنَ ذْيَالْ [2] الخيْلْ مَنْ ضمن فَودنا سوداً براطْمَهَا تِهِفْ هَفِيْفْ

المعنى واحد ، كل منهما يذكر سواد الإبل .

* * *

قال امرؤ القيس بن حجر الكندى :

كأن حدُوجَ الحيِّ حين تحملوا سَحَابٌ أراقته الرياحُ فأمطرا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل راعى نفى :

يامَل قَلْبٍّ طارْ عَنهْ الْيَقِين مَنْ يَومْ قَفَّنْ الظَّعَايَنْ زَهَازِيمْ

أَوَّلْهَمْ الّى مَنْ وَرا الْقَنَّتَيْنْ وأتلاهم الّى بالشفَا كِنَّهْ الْغَيْمْ

معنى قول الشاعرين واحد ، فى تشبيه الأظعان بالغيم .

* * *

قال أعشى قيس راعى منفوحة :

وبلدةٍ مثلِ ظهرِ التُّرْس مُوحِشَة للجنِّ فى الليل فى حافاتها زَجَلُ

وشبيهُ ذلك قول محمد بن لعبون :

فى صَحْصَحٍ كِنَّهْ قَفَا التُّرْسْ مَقْلُوبْ طَرْبْ بَهْ الْجِنّى عَلَى فَقْدَهْ الذّيبْ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر زجل الجن ، والزجل : الصوت ، وفى قول ابن لعبون ذكر المَهْمَه وشبهه بالترس ، وذكر أن الجنى طرب فى هذا المهمه على فقده للذيب ، والذيب لايقيم إلا قريب ماء ، فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء فى المفازة التى قبلها .

(١) العوص : هى الإبل ، سجا وعفيف : ماءان فى عالية نجد . (٢) ذيال الخيل : اسم لإبل خونان بن عقيل من رؤساء الدعاجين من عتيبة ، سميت ذيال الخيل لسرعة عدوها ، إذ لا تلحقها الخيل .

قال امرؤ القيس :

أصَاح تَرَى بُرَيقاً هبَّ وَهناً كنار مَجُوسَ تستعر استعارا
فلما أن دَنَا لقفاَ أضاخ وَهَتْ أعجازُ رَيِّقه لحارا

وشبيه ذلك قول محسن الهزانى :

كَرِيمْ يبارْقَ سَرالَهْ تلالاَ طَافحْ رَبَابَهْ فِيهْ مثل المهى زَرْقْ
لاَجَا عَلَى الْبَكْرَيْن بنا الخْلاَلاَ مَعَادْ مَيِّز فِيهْ رَعْدً وَلاَ بَرْقْ

المعنى واحد ؛ فالشاعر الأول لما دنا لقفا أضاخ أفرغ ماؤه ، والثانى لما أتى على البكرين أفرغ ماءه ، وأضاخ والبكران : موضعان باقيان على اسميهما إلى الآن .

* * *

قال سُحَيْمْ عبد بنى الحسحاس :

فبت وباتت وسدنا علجانة وحقف تهادَتْهُ الرياحُ تهاديا
توسِّدُنى كفًّا وتثنى بِمِعْصَمٍ علىَّ وتلوى رِجْلَهَا من ورائيا

وشبيه ذلك قول محسن الهزانى من مربو بعاته :

رَقَدْتْ انَا وايَّاهْ فَوْقْ الْمْخَدَّهْ(١) وبَاحْ العزى من بَيْنْ سَدِّى وَسَدَّهْ
وَشْدَّيْتْ مَجْدُولَهْ وجيتْ خَدَّهْ وَخَلّيتْ حَجْلَهْ ناشبْ فى الْعَكاريشْ

ومعنى قول سحيم وقول الهزانى متطابقان ، أنظر أين ذهبت رجل المعشوقة فى القولين

* * *

وقال عمر بن أُذَيْنَة :

لقد عَلِمْتُ وما الإسراف من خُلُقِى أن الَّذِى هو رزقى سَوْفَ يأتينى
أسعى إليه فيُعْيِينِي تطلبُه ولو جلست أتانى لا يُعَنِّينِى

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

إذَا نوالكْ الرّزَقْ جَامَنْ تُواليكْ لَوْمَا لَقيتَهْ يافَتَى الْجُودْ يَلْقَاكْ

المعنى واحد ، إن التعب لا يُجْدِى ولا يوصل إلى الرزق ، بل يرسله الله إليك من دون تعب

• • •

قال ابن أبى عُيَيْنة :

---

(١) المخدة : هى الوسادة فى لغة أهل نجد القديمة .

وأنفسنا خَيْر الغنيمة إنها تؤوبُ وفيها ماؤها وحياؤها

وشبيه ذلك قول البريمى :

إذَا رَجَعْنَا سَالِمين عَلَى خَيْر كم مَطْمعٍ منه السَّلاَمَهْ غَنِيَمهْ

المعنى واحد ، أن السلامة غنيمة

. . .

قال جرير بن عطية :

يا حَبَّذا جبلُ الريَّان مِن جبل وَحَبَّذَا ساكِنُ الرَّيان مَنْ كانا

وشبيه ذلك قول بخيت بن ماعز أخو شليويح العطاوى :

قَلْبِي يَحَبْ الْمَرْدَمهْ وَالْيَنُوفى (١) أحِبَّهَا مَنْ حَبْ حَيٍّ وَراهاَ

المعنى واحد ، جرير أحبَّ جبل الريان لحب معشوقته ، وبخيت أحب جبل المردمة والينوفى من أجل معشوقته .

. . .

قال الأسود بن عبدود حين قُتِل بنوه فى بدر مع المشركين ، وقد كانت قريش منعت النياحة ، فسمع نائحة تبكى على بعيرٍ لها قد أضَلَّته ، فأرسل ابنةً له فقال : اذهبى وائتينى بخبر هذه النائحة ، لعل قريشاً أن تكون قد أذنت بالنياحة ، فأتته بالخبر ، فقالت : إنها امرأة ضل بعيرها فهى تنوح عليه ، فاندفع ينشد :

أتبكى أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود

على بكر فلا تبكى ، ولكن على بَدْرٍ تقاصرت الجدود

وشبيه ذلك قول شالح بن هدلان القحطانى لما قتل ابنه ذيب ، فسمع رجلا من قومه يقال له الهويدى وقد ضاع له طير ينادى ويصيح ويسأل عنه ، فقال :

الطير مَا هُو خَلْفَةً لَوْ غَدا طير الطير وَاللهِ يالْهُوَيْدِى غَـدالِى

طيرى عَذَابْ مُعَسْكَرات الْمَسَامِير وَزَبن الْحُصَانْ إلىٰ جَذَنْ التَّوالى

المعنى واحد ، بعث حزنَ الأسود بن عبدود امرأةٌ تنوح على بعير وبعث حزنَ شالح بن هدلان رجلٌ ينوح على طير .

* * *

(١) المردمة والينوفى : جبلان فى عالية نجد قرب سجا .

قال ابن مقرب العيونى :

فبتَّ حبالَ الوَصْلِ ممن تودُّهُ إذا لم يَرِدْ كلَّ الذى أنت وارد

وشبيه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر :

الْأَقْفَا جَزَى الْأَقْفَا وَلاَ خَيْرَ فى فَتى يريد هَوَى مَنْ لا يريد هَواه

وَمَن باعَنا بالْبَعد بعْنَاه بالنِيَا وُمَن جَذ حَبلى ما وَصَلْت رُشَاه

المعنى واحد ، كل منهما يطلب تقطيع العلاقات ممن لا يسلك طريقه .

. . .

قال كثير عزة :

فما رَوْضة بالَحزن طيبةُ الثَّرى يمجُّ الندى جَثْجاثُهاَ وعَرارها

بأطيب من أرْدانِ عزه مَوْهِناً إذا أوقدت بالمْندَل الرطب نارها

وشبيه ذلك قول بصرى الوضيحى :

لَه رِيحة طَلَق وَلاهى مُصَنَّة مثْل النَّفَل [1] مْطَمْطَمَات الْفياضِ

والمعنى واحد ، كل وصف ريح معشوقته وفضلها على رائحة روضة ، إلا أن كثيرا قال « إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها » وقد عابت هـذا المعنى على كثير سكينة بنت الحسين فقلت : لو أوقد المندل على زنجية لطاب ريحها ، وعابته عجوز من العرب وقالت : لو أوقدت المندل على حمار لطاب ريحه ، فقالت له : ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم ترَ أنى كلَّما جئتُ طارقا وجَدْتُ بها طيباً و إن لم تطيب

ومعنى الوضيحى مستقيم ؛ لأنه ذكر رائحة معشوقته قبل ذكر الروضة ، حين قال « له ريحة طلق ولا هى مصنة » .

. . .

قال النابغة الجعدى :

فَسِرْ فى بلاد الله والتمس الغنى تَعِشْ ذا يسَارٍ أو تموت فتعذرا

ولاترض من يمشى بدون ولاتنم وكيف ينام الليل من بات معسرا

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

موت الفتى فى وسط دوسملّق خلى من الاوناس قفر جوانبه

---

(١) النفل : نوع من النبات رائحته طيبة

هو عندى اشوى من قعاده بقريه　　يموت بها والفقر فيها مطانبه

المعنى واحد ، الشاعران يَحُثَّان على طلب الرزق ، و يتعوذان من الفقر والخمول .

. . .

قال الشيخ حسين بن على آل الشيخ :

فكل جناء طيب مثل أصْلِه　　وإنَّ جناء الحنظلية حنظل

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

والحروه انك ما تجى دون اهاليك　　ولا شجرة الورد تنبت بتنباك

المعنى واحد ، كل منهما ذكر الأصول الطيبة وأن فروعها تماثلها ، والأصول الخبيثة وأن فروعها تكون مثلها .

. . .

قال مجنون ليلى :

تَدَاوَيْتُ من ليلى بليلى من الهوى　　كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمر

يقولون مجنون يهيم بذكرها　　ووالله مابى من جنون ولا سحر

وشبيه ذلك قول محمد القاضى راعى عنيزة :

يقولون مجنون خلى من الذكا　　لانيب مجنون فلا شك أناخالى

خلى من الخلان اقاسى شكيتى　　رفيق الوغى من بين شامت وعذالى

المعنى واحد فى ذكر العشق وجنونه .

. . .

قال جرير فى الوليد بن عبد الملك :

أعْطَوا هنيدة يَحْدُوها ثمانية　　وليس فى بذلهم مَنٌّ ولا سَرَفُ

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

إلى عطو بعطون روس البعارين　　وان فات منهم شى ما حسبوبه

المعنى واحد ، ذكر جرير أنهم يعطون الهنيدة ، وهى الإبل الكثيرة ، وذكر ابن سبيل أنهم يعطون رؤس البعارين ، والبعارين : الإبل

. . .

قال أبو نواس يخاطب أبا العتاهية :

أتراني يا عتـــاهي تاركاً تلك الملاهي
أو تراني مفسدا بالنســـك عند القوم جاهي

وشبيه ذلك قول محمد بن معجل راعي سدير :

قالو لي النّاس ديّن قلت ادَيّن فَالـكم شَين يالّي تَبُون المَوده تنطلق منها يَديَّه

المعنى في كلام الشاعرين واحد ، يظنان الدّين والنسك يفسدان لذتهم في حياتهم

* * *

قال زهير بن أبي سُلْمى :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسِمِ

وشبيه ذلك قول ابن سبيّل :

لا تأخذ الدنيا خراص وهقوات يقطعك من نقل الصميل[1] البراد
الى عزمت لخط للرجل مرقات من قبل يدرى بك حسود رباد

المعنى واحد

. . .

قال المبرد في الـكامل : قال بعض المُحْدَثين :

كتمت الهوى حتى إذا نطقت به بوادر من دمع تسيل على خدى
وشاع الذى أضمرت في غير منطق كأن ضمير القلب يرشح من جلدى

وشبيه ذلك قول خليف بن بليهد راعي ضرية :

عسى الله يعينك ياعيُوني عَلَى الصَّبر وعسى الله يبجح كل حيّ بمظنُونَه
أنا دَمع عيْنِي كلَّما هَل من شَهر هَماليل واغضى عن هَلِي لا يشوفونه

كلام الشاعرين واحد ، كلاهما كتم عشقه وأفشاه دَمْعُ عينه .

. . .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

خَلَتْ ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلُها خلاء
ديار من بَنى الحسحاس قَفْر تعفيها الروامسُ والسماء

وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

(١) الصميل : نوع من القرب الصغار التى تستعمل لنقل الماء فى السفر وغيره

خَلاَ ٱلسفْح ياعَوّاذ مَا فيه مَنْ هَلَة   عَقَبْ عَلِمنَا بَهْ غَيْرِ راكٍ وَصَفْصَافِ
مَرابيع مَىَّ غَـــيَّرَ البين رسمها   دْيَارً عَفَتْ يالَيْتَنى مَثْلها عَاف

معنى قول الشاعرين واحد ، ذكر كل منهما خلو الدّار واندراس الآثار ، إلا أن ابن لعبون تمنى أنه عفى مع الدار لما عفا أثرها ، وأبو عبد الرحمن عفى الله عنه لم يتمنّ أنه يموت .

. . .

قال عروة بن حزام :

فنى عسى أو على أو فى إلى ومتى   ألقاه فى بَلَدة قفر ويلقانى

وشبيه ذلك قول محسن الهزانى :

ربما لِي أوْ عَسَى لِي أوْ قمين   يرَجعَنَّ اعْصُورَهَنْ المَاطَيات

المعنى واحد ، كل منهما يتمنى الاجتماع بحبيبه ولو بعد حين .

. . .

قال عمر بن أبى ربيعة :

كفنانى إن مُتُّ فى دِرْع أرْوَى   وامْتَحَالى من بئر عروة مائى

وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

عَنْ دار مَنْ لاَ يرْحَمُون انقْلُونى   لَديَار من لى عَنْدَهُمْ قَابلِيّه
وُفِي ثَوب مَزْمُوم النَهْد كفنُونِي   مَعَاذلِى عن دار لْحَبَابْ نِيّه

المعنى واحد ، كل منهما يحبُّ أن يكفن فى ثوب حبيبه .

. . .

قال ابن مقرب العيونى :

وعَدّ عن الماء الذى ليس وِرْدُه   بصافٍ ، فما تعمى عليك الموارد

وشبيه ذلك قول جبر بن سيار راعى القصب[1] خال رميزان التميمى :

إذا جيْت قوْم وَاغْلَقو عنَكْ بَابَهمْ   سَجْ المْطَايَا يفْتَحْ الله بَابْ
والما الى منّه تَـكَدّرْ شَرابَه   تَرى فِي المْيَاهُ الثّانيات شَرابْ

المعنى واحد ، كل منهما يقول : إذا تـكدّر الماء فالتمس ماء غيره .

. . .

(١) بلد فى مقاطعة الوشم .

قالت ميسون بنت بَحْدَلٍ الكلبيّة زوجُ معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحَبُّ إليّ من قَصْرٍ منيف

وشبيه ذلك قول شلشا البقمية ، وهى من بلد الدوادمى :

لَو اهَنيكْ بَالْهَنِى يَبُو مَرداسْ مَا وَلْعُوكْ مدرَهمِيْن الْمَطِيَّه

الْقَلْب كنَّه يَشْعَرونَه بالمَواس من طيْن حضر حَجّرُوَبه عليّه

المعنى واحد ، كل منهما تمنت العودة إلى ما ألفَتَاهُ ؛ فميسون تتمنى البادية على قصور الشام ، وشلشا تمنت البادية على قصر الدوادمى .

• • •

قال عروة بن حزام :

ألا قاتل الله الوشاة وقولَهُم فُلانَةُ أضحت خُلَّةً لفلانِ

وشبيه ذلك قول شلشا البقمية :

لَيْتَكُمْ يَاهْل النقيلى[1] تذهَبُون مَالَكُمْ مَصْلُوح مارانها قَراده

حَالَفَه لَوْ عنْدْ مَتَلَع هَاوَشُونِى وَاللهِ إِنِّى لمتثل بَه حَسَادَه

المعنى واحد ، عروة دعا على الوشاة ، وشلشا تدعو على أهل النقيلى ، وأهل النقيلى هم الوشاة

• • •

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

ومأكمة يَضِيق البابُ عنها وكَشْحاً قد جُنِنْتُ به جنونا

وساريتى بلنط أو رخام يرنُّ خشاش حليهما رنينا

وشبيه ذلك قول محسن الهزانى :

اعفَر مَترِقَي فِي يَدِي مَنه عَضَّه وَمْدَنْدَش مَا بين شَاخ وَفَضَّه

تُوحى الجدران الحوى منه جَضَّه إلى انحدَرْ من عالى الْبيت لدناهُ

المعنى واحد ، ابن كلثوم ذكر أن لحليها رنينا ، والهزانى ذكر بحليها جضة ، والجضه والرنين كلاهما بمعنى الصوت .

• • •

قال لبيد بن ربيعة فى معلقته واصفاً الأظعان :

(١) أهل النقيلى هم الوشاه لنقلهم الكلام بين الناس .

زجلا كأن نعاجَ تُوضِحَ فوقها وظبـاء وَجْرَةَ عطفا آرامها
حفزت وزايلهـا السَّرَابُ كأنهـا أجزاع بيشَةَ أثلُها ورضامها

وشبيه ذلك قول عبد الرحمن بن ناصر راعى القرائن :

كن الظّبَا من بين عُوج الْحَنَايَا مَعْ جَنَبْ الْبَتْراوَهَنْ مَقْفيات
وَكَنْ الظُّعُون اغْروس بَعْض الْقَرايَا لاَ قَوَّضَتْ ووثُولَهَا الْبَيِّنَات

المعنى واحد ، الشاعر الأول قال : كأن الأظعان تحمل نعاج توضح ، ووصف الأظعان على أثل بيشة ورضامها ، والثانى قال : كن الظباء بين عوج الحنايا

والحنايا : هى الهوادج أو الغبطان ، وكلها يستعمله العرب ، وذكر صفة الأظعان على غروس القرايا وأثلها .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

تذكرت الصِّبَا واشتقْتُ لمَا رأيت حُمُولَهَا أُصُلاً حُدِينا

شبيه ذلك قول ابن سبيل :

يَاتل قَلْبى تلت الْغَرب لَرشَاه عَلَى زَعَاعَ شَاحَمَ صَدّرت بَه
مَظْهُورَهَم كَن الطامِيع تَشعَاهُ يتلى سَنَف خَيّال مَن قربت بَه

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم تذكر الصِّبا لما رأى أظعانهم تحدى ، وابن سبيل اتل قلبه لما رأى مظهورهم كأن الطاميع تشعاه ، والمظهور : هى الأظعان ، والطاميع : القوم إذا شنوا الغارة

* * *

قال ابن يسير :

قدِّر لرجلك قبل الخَطْو منزلَهَا فمن علاَ زَلَقًا عن غرة زلقا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

إذا عزَمْت لحط للرجل مرقَات مَن قبل يدرى بك حَسُود ربادى

المعنى واحد ، مراد الشاعرين أنك لا تضع رجلك فى موضع لا تعرف عاقبته .

* * *

قال امرؤ القيس فى معلقته :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هى نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّل

وشبيه ذلك قول التهامى الروقى :

ياحَلِيّ من المْهَا تَلْعْ الرّقَابِ حَازْ بيْنَ امْثَلَتَهْ والشَّبْرَمِيَّةْ[1]

المعنى واحد ، امرؤ القيس وصَف جيد معشوقته وشبهه بجيد الريم ، والتهامى وصف معشوقته وفضلها على كل مهاة تلعاء الرقبة ، والمهى : بقر الوحش تشبه بها النساء كما تشبه بالظباء .

* * *

قال المبرد فى الكامل : قال الشاعر :

اذكر مجالس من بنى أسد بَعُدُوا وَحَنَّ إليهم القلب

الشرقُ منزلنـا ، ومنزلهم غَرْبٌ ، وأنَّى الشرقُ والغرب ؟

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

يَالْعَيْنْ وين أَحْبَابَكْ الّى تَوَدّيْنْ الّى الّى زافْ الَخْيـا رَبعُوبَهْ

شَدّت جهامَتْهُمْ من الجْوْ قَسْمين الزّمَلْ حَدّر والظّعْن سَنَدُوْبه

المعنى واحد ، قال الشاعر الأول : قد افترقنا فسار فريق منا إلى الشرق وسار فريق إلى الغرب ، وابن سبيل يقول : فريق حدر وفريق سند ، والحدار فى لغة أهل نجد كنية عن الشرق والمساد كناية عن الغرب .

* * *

قال لبيد بن ربيعة فى معلقته :

وهُمُ ربيعٌ للمجاور فيهمُ والمرملاتِ إذا تطاول عامُهَا

وشبيه ذلك قول التبيناوى :

مرْوِى خْشُومْ الفيس مَنْ شَمّخَ النِّيبْ الّى يعيشونْ العرب فى حَلِيبَـهْ

والمعنى واحد ، قال لبيد : إنهم غيث للمجاور فيهم والمرملات ، والتبيناوى يقول فى الممدوح : إنه يروى خشوم الفيس فى شمخ النيب ، الفيس : معلومة ، والنيب : الإبل ، تجد خشوم الفأس ريان فى دم الإبل من كثرة ما يذبح ، ثم قال « إنهم يعيشون العرب فى حليبه » .

* * *

قال كعب بن زهير فى لاميته المشهورة يصف الخمر :

(١) مثلثة : هضبة سوداء ، والشبرمية : ماء فى وادي الشبرم ، وهو ومثلثة فى عالية نجد ، قريب بعضها من بعض ، قرب عفيف البلد المشهور فى طريق الرياض .

شُجَّتْ بذى شبم من ماء مَحنيـة صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه من صَوْب سارية بيضْ يعاليل

وشبيه ذلك قول غالب بن فتنان القحطانى فى وصف القهوة :

بَرِّيَّةً (١) يَشْهَيْلْ وَبْهَارَهَا هَيْل والّى مسَوِّيها يمينه طَرِيَّه
ماها قَراح هجال شَهاليل مَنْ هَضْبَةْ بْنْ حَوَيلْ والاَّ الْوَجيه

المعنى واحد ، لما ذكر كعب الخمر ذكر أنها خُلِطت بماء محنية قد أراقه المُزْن ، وابن فتنان لما ذكر القهوة وذكر مجْنَاها وبهارها قال : ماؤها قراح من هجال شهاليل ، والهجال لا تـكون إلا من المطر .

. . .

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

قريناكم فعَجَّلْنا قِراكم قبيلَ الصبح مردات طحونا
بسمر من قنا الخطىِّ لُدْنٍ ذَوابِلَ أو بِبيضٍ يختلينا

وشبه ذلك كلام راكان بن حتلين العجمى :

نِبي نسَوَىّ للَمسيّر كرامَه شَلف عَلَى قب سَريعات الأولامْ
وكم سَيف هَنَّد نَمشَعه مَن بلاَمه بأيمَانِنا تَشدِى مقابِيس الأظلام

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم وضع الأعداء موضع الأضياف ؛ وجعل قراهم ذوابل من الخطى وهى الرماح ، أو بيضا وهى السيوف ، وراكان بن حثلين وضع العدو موضع الضيف المسيّر إليه ، فقال : نبى نسوى له كرامة شلف ، وهى نوع من الرماح ، وكذلك السيف ، القرى فى كلام الشاعرين الرماح والسيوف.

. . .

قال كعب بن زهير فى لاميته :

أرجو وآمل أن تدنو مودَّتها وما إخال لدينا منك تنويل

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

---

(١) البرية نوع من القهوة الطيبة، وشهيل : مولى من أهل بلد الحريق ، هضبة ابن حويل : هى الحصاة المشهورة فى عالية نجد الجنوبية ، والوجيه : قلتة ماء فى أرض اليمامة فى أعلى وادى نساح الذى يصب فى وادى الخرج .

أمَّا يجِئ حَوْلْ رَجَيْتَه بعَدْ حَول   أمَّا عَنيْت أوْجَتْ ركا به مقَابِيل

معنى كلام الشاعرين واحد ، يؤملان الاجتماع .

. . .

قال عمرو بن كلثوم :

وما منع الظعائن مثل ضرب   ترى منه السواعد كالقلينا

على آثارنا بيض حسان   نحاذر أن نقسم أو تهونا

وشبيه ذلك قول شليويح بن ماعز العطاوى الروقى :

لَكَن نَطْل الزَّلْم قدام سَابْقِى   نَطْل الْهَشِيم بْوادى سنَاوِى

كلَّه لْعَيْن إلىِّ تَهِل ادموعها   تَبْكى وُفى تَالى الْبكا نَخَاوِى

تقول يالْصَّبْيَان وَلكم عَادَه   هُو شو عَسَى يبْقى لْنَا شلاَوِى

معنى كلام الشاعرين واحد ، قال عمرو بن كلثوم : ما منع الظعائن إلا ضرب تقطعت منه السواعد ، والداعى لذلك البيض الحسان اللاتى على آثارهم ، وكلام شليويح يقول : نطل الزلم وهى الجنائز لنطل الخشب فى الوادى الممحل ، والباعث لذلك النساء التى تهل دموعها وتندبهم

. . .

قال زهير ، يمدح هرم بن سنان المرى والحارث بن عوف :

يميناً لنِعْم السيدانِ وُجِدْتما   على كل حال من سحيل ومبْرَم

كرام فلا ذو الضغن يدرك تَبْلَه   ولا الجارم الجانى إليهم بمُسْلِم

وشبيه ذلك كلام فجحان الفراوى ، وهو يمدح الإمام عبد الله بن فيصل وطلال بن رشيد :

أخَذْت لى من بَيْن الأثْنَين سَجَّه   من بَيْنْ أبو بَندرْ وَوَلْد الإمام

تَرى الْكرَم ما فيه سجَّه ولجه   محدٍ امْنَا حيهم جَنُوب وشَام

المعنى واحد .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

ترانا بارزِين وكل حى   قد اتَّخَذُوا مخافتنا قرينا

وشبيه ذلك قول ابن ربيعة فى عبد المحسن السعدون :

وهو الذى خلا الصَّوَيطى عدا الكوم   والشَّمَّرى للشام يَطْرَد ظعينه

وصفوق من كون المقير إلىِ اليوم   متقلد قلب النعامة قرينه

معنى قول الشاعرين واحد ، كلام ابن كلثوم مخافتهم قرينة العدو ، وكلام ابن ربيعة قال : إن صفوق الجربا قد تقلد قلب النعامة من الذعر

. . .

قال متمم بن نُوَيرة فى رثائه أخاه مالكا :

فما وَجْدُ أظآر ثلاثٍ روائم رأينا مجرا من حوار ومصرعا
بأوْجَع منى يَوْم فارقْت مالكاً ونادى به الناعى الرفيع فأسمعا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

كَنّي خَلَوج تَرْفَع الصّوت وتْهيت وحْوارَهـا الراعى تَعَشّى شواتَه
وتَكسر عَلَى الملْحَاق وَيقول يابْخيْت ولا تْرايَع لَيْن تاصَل تمـاتَه

المعنى واحد ، شبه كل منهما وجده بوجد أظْآر الإبل ، الأول ذكر الْحوار ومصرعه والثانى كذلك .

. . .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه بعد وقعة بدر يحرض بنى عبد شمس على بنى مخزوم :

غدا أهل حِضْنَىْ ذى المجاز كليهما وجار ابن حَرْب بالمغَمّس ما يغدو
كساك هشامُ بن الوليد ثيابه فَأَبْلِ وَأَخْلِقْ مثلها جُدَداً بعدُ
فلو أن أشياخا ببدر تتابعوا لبلّ نعال القوم معتبط ورد

وشبيه ذلك كلام محمد بن نمر بن مسعود حين أجلاهم الزير عن بلد الشعراء ، وكانوا فى جبل نهلان :

يا دارنا حَقّك عَلَى سَيف بَصْبَاه والأعَلَى نَاصر صبى الخَاسير
والاسَعَد لَو تَقضب السيف يمناه ما كان يَلْعَبك بْليهان وَالزير

معنى كلام الشاعرين واحد ، كلام حسان فيه ذكر المقتولين فى بدر ، وابن نمر ذكر أشياخا قد أبادهم الدهر.

. . .

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

وأما يوم لا نخشى عليهم فنمع غارة متلبّبينا
برأسٍ من بين جُشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا

وشبيه ذلك قول شالح الحمق من قبيلة المقطة من عتيبة فى ابن هندى :

فى ضفْ بنْ هندِى حمى دقلة الخيل   يمْهل ولا يهمل حمى كل تالى

معنى قول الشاعرين واحد ، ابن كلثوم ذكر أنه يقتل الأعداء برئيس جشم بن بكر ، والحمق ذكر أنه يقتل الأعداء بابن هندى رئيس قبائل المقطة وهو من أكبر رؤساء عتيبة .

. . .

قال المبرد فى الكامل : قال الشاعر :

وتفرقوا بعد الجميع لنيَّةٍ   لا بد أن يتفرق الجيران

لا تصبر الإبل الجلاد تفرقت   بعد الجميع ويصبر الإنسان

وشبيه ذلك قول جرى الشاعر فى قصيدته اللامية المشهورة :

يحَنْ الْجمل من حر فرقا وَلايفه   وَيحَن وَاقول إن الْبعير هبيل

وَتَرَى هَبيْل القلْب من لايهمه   فَرْقى الأخلا والزَّمان طَوِيل

معنى قول الشاعرين واحد ، كلاهما ذكر ائتلاف الإبل والتفاتها لإلفها بعد التفرق .

. . .

قال امرؤ القيس :

أجارتنا إن الخطوبَ تنوبُ   وإنى مقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

أجارتنا إنا غريبان هٰهنا   وكل غريبٍ للغريب نسيب

وشبيه ذلك كلامُ ضيف الله بن حميد :

انا بَلاَىْ الْعذب جالى تنَايَاه   إلّى سكن مَذْروبْ عَرْوا خلَاَوى

يَالَيْتنِي مجْضُوع بَالْقبْر وِيَاه   وَلاَ لنايم الْجمَاعه منَاوى

المعنى واحد : أمرؤ القيس ذكر القبر الذى تحت جبل عسيب ، وعسيب ليس فى بلاد الروم بل فى عالية نجد فى ضفة وادى الجريب الجنوبية ، وهو المنفرد فى الجهة الشمالية ، من جبال العسيبيات ، وابن حميد ذكر القبر الذى فى قاعة مذروب عروا ، وهو جبل فى عالية نجد الجنوبية .

* * *

قال النابغة الذبيانى فى وَصْفِهِ للمتجردة زوج النعمان بن المنذر :

سَقَطَ النصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه   فتناوَلَتْهُ واتقتنا باليد

وشبيه ذلك قول محمد القاضى :

كَشَمْعَت مُولَعٍ فى جَوْف صَافٍ مِنَ الْبَلُّور مُجْلىً الْياجِى
تميـل وتنثنى عنى بعطفه إلى مال الغطاء عنها وطاحى

معنى كلام الشاعرين واحد ، النابغة لما سَقَطَ النصيف اتَّقَتْهُ بيدها ، والقاضى لما طاح الغطاء اتقته بعطفها .

* * *

قال امرؤ القيس فى معلقته :

وفَرْع يزين المتن أسود فاحمٍ أثيثٍ كقِنْوِ النخلة المتعشكل

وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

إلى قَلْت هَاتى حَاجَةلى وُدنقَّتْ تنزّلْهـا مَثْل الشّمَاريخ ميَّالِ

معنى كلام الشاعرين واحد ، كل منهما وصف شَعْرَ معشوقته وشبهه بعذق النخل ، إلا أن امرأ القيس قال « قنو النخلة » وابن لعبون قال « الشماريخ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت :

عدمنا خيلنا إن لم تَرَوْهَا تُثير النَّقْع موعِدُها كداء
يعالجن الأعِنَّة مُصْعِـداتٍ على أكتافها الأسَلُ الظماء

وشبيه ذلك قول العونى :

لاَ بَد مَا تاطأ بِرِيدَه خيُولنَا وَمَنْ عقْبهَا تَشْرَبْ مِيَاه وثَال
نجر الْعَـوالى وَالْمعَالى وُعَجّنا يبنى عَلَى روس الْجبَال جبَال
وُنحَف بَالّسمْرا مَشَاهير خَيلنَا وُنَشْرَبْ سَمَاحَ وَالْحسُود نعال

معنى كلام الشاعرين واحد ، حسان رضى الله عنه يهدد أهل مكة ويتوعدهم بتوجه الخيـل إليهم إلى أن قال « موعدها كداء » بعد إثارة النقع .

والعونى يهدد أهل حائل بتوجُّه الخيل إليهم إلى أن قال « وعجنا يبنى على رؤس الجبال جبال » وقال « نحف بالسمرا مشاهير خيلنا » وحسان ذكر كداء ، وهى ثنيه فى مكة ، والعونى ذكر السمراء ، وهى هضبة حائل المشهورة :

* * *

قال المبرد فى الـكامل : قال قيس بن معاذ :

ولو لم يَشُقْنى الظاعنون لَشَاقنى حمائم وُرْقٌ فى الديار وُقوعُ

تجاوَبْنَ فاستبكين مَنْ كان ذاهوى　　نوائح ما تجرى لهن دموع

وشبيه ذلك قول التميمى بن عبد الرحيم راعى بلد أشيقر :

الاَ يَا حَمَامَات بعَالى أشيقر　　وَراكَنْ فراق وَالحمامِ اجْمُوع

أنا أبْكِي وعَينى حرّق الدّمع خَدّها　　وتَبْكى وَلاَ يجرى لَكُنْ دْمُوع

معنى قول الشاعرين واحد ، أُنظر بعينك جميع العبارة .

. . .

وقال مهلهل أخو كليب بن ربيعة :

كيد النساء سَيُلْقِى الناس فى عدم　　فخيب الله مَنْ يسمع كلام مرا

وشبيه ذلك قول شالح الحمقى :

أبُوىْ طَاوَع فى غالَبْ وَشرْواه　　وهَذِى سوات مْخوتمَات ألصَابيْع

هى دودة الرجال بالهرج ترعاه　　والناقدة ترعى الخشب لو صراويع

معنى قول الشاعرين واحد فى مطاوعة النساء ، وتغلب كيدهن .

. . .

وقال جميل بن معْمَر :

فَلَوْ أن مَابى بالبحار لما جرى　　بأمواجها بحر إذا زخر البحر

ولو أن مابى بالحصى فلق الحصى　　وبالصخرة الصماء لانْصَدع الصخر

وشبيه ذلك قول ابن عقيل راعى المجمعة :

لَوْ أنْ مَابى يصيب طوَيق وَهْضَابه　　كانْ اصبَح الضلع هُو وَالْقَاع متْسَاوى

أوْ أنْ ما بى يصيْب رْكون حَطابه　　كانْ أصْبَحَت عَشقت يَرْعابهَا الشَّاوى

معنى كلام الشاعرين واحد ، ذكر الأول أن مابه عظيم لا يستطاع حمله ، ولو أنه أصاب الحصى لا نفلق أو الصخر لا نصدع ، والثانى يقول : لو أن الذى به أصاب طويقا ــ وهو جبل اليمامة ــ لاندك وساوى الأرض، أو أصاب ركون حطابه ، وهى هضبة مجاورة لطويق ، لأصبحت مستوية بالأرض ترعى بها الغنم .

. . .

وقال جرير بن عطية وهو وافد على الوليد بن عبد الملك بن مروان فى دمشق ، ووفادته من يبرين ، وهو منهل لبنى تميم فى القطعة الجنوبية من الدهناء :

أقول للعيس إذ جد المسير بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس

وشبيه ذلك كلام صالح بن سرحان ومعه وهق راعي الرويضة وقد وفدا على بعض الأمراء :

إن بدا لى قارة فى سد قاره والخفى بيدين سلسات القرينا

ياوهق يابعد اهالك من القواره والجمل يضلع برجله من يمينا

معنى قول الشاعرين واحد ، جرير يقول : يابعد يبرين من باب الفراديس ، وباب الفراديس من أبواب دمشق ، ويبرين كما ذكر منهل لبنى تميم ، وابن سرحان يقول : يابعد أهلنا من القواره وقد انتهيت من هذه النبذة الأخيرة .

قال مصنف هذا الكتاب : أوردت هذه الشواهد ، وقربت ما بين الشعر العربى والشعر النبطى ، وأوردت مُثلا تدل على ما بينهما من تطابق فى المعنى ؛ لأزيل الالتباس عن كل من يظن أنه لا يحتج بالشعر النبطى ، ولا يستشهد به ، فتجد فى هذه الشواهد بيتا نبطيا و بيتا عربيا ومعناهما واحد ، وصاحب البيت النبطى لا يعرف الأشعار العربية ولا يسمعها ، وابتكر المعنى من قريحته ، كما أن الشاعر الأول ابتكر معناه من قريحته .

ثم إن أهل العربية لا يلتزمون فى المعانى الاستشهاد بشعر طبقة أو طبقات معينة ، بل إنهم ربما استشهدوا بشعر العجم من الفرس وغيرهم ، فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر مَنْ قبل الدولة العباسية فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة وعلماء النحو والصرف ، فأما التاريخ والبلدان وعلوم البلاغة فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينة ، وكيف والحاجة ماسة إلى معرفة كلام شعراء كل جيل للدلالة على مواطنهم ومسارح لهوهم .

. . .

ولما انتهينا من هذا الكتاب وقد تم اكتشافنا لموضع سوق عكاظ بالدلائل الواضحة عزمنا على إيرادها برُمتها فى آخر هذا الكتاب مع ذكر الدلائل التى وقفنا عليها ، ونشر خريطة المكان وما به من الآثار ، والدِّمن البالية ، والأطلال الخالية ، وليس يعلم إلا الله تعالى كم بذلت من جهد وعانيت من متاعب فى البحث عن موضع سوق عكاظ ، والاستدلال على موضعه ، وقد كان يقول لى من سألت من أدباء الحجاز : إنه السيل الصغير ، وكنت أسألهم : هل عندكم دليل واضح ؟ فيقولون : لا ، ولكنا نسمع ذلك من أفواه الناس ، وقد أكثر أهل المعاجم وكتب التاريخ من ذكره على اختلاف رواياتهم ؛ فمنهم من قال : إنه على مرحلتين من مكة ، وعلى مرحلة من الطائف ، ومنهم من قال : إنه بين نخلة والطائف ، فلما وجد المتأخرون هذه الروايات

قالوا : إنه السيل الصغير ، أو السيل الكبير ، أو قريب منه ، ولكن هذه الأقاويل لا يقنع بها مَنْ أراد الوقوف على الحقيقة ، ومما يدل على أن هذا الكلام الذى يلقيه المتأخرون على عواهنه غير صحيح ، ولا يمكن أن يكون سوق عكاظ فى أحد هذين الموضعين ، أنه ليس فى كلام القدامى ما يدل على أنه يوجد فى أحد هذين الموضعين متسع يكفى لنزول العرب لشهود هذه السوق .

فما زلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم التى أظن أنى أجده فيها فإذا وجدت عبارة قريبة من الصواب عرفت موضعها من الكتاب ، وصُنْتُها فى حافظتى، حتى إذا اكتملت لدى الدلائل الواضحة ، ولله الحمد والمنة ، عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق عكاظ .

ومن كل ذلك ثبت عندى أن موضعه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلو ، وذلك عند المكان الذى يلتقى فيه الواديان : وادى شرب ، ووادى الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء ، وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها العبلاء من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وشماليه هو الفاصل بين وادى شرب ووادى قران ، المعروفين بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، والعجب من اندراس هذه السوق ، وهى من أعظم أسواق العرب فى الجاهلية وفى أول الإسلام ، وكان الناسُ ينتابونه من كل ناحية ، فلما كانت سنة ١٢٩ من الهجرة وظهر الخوارج الحَرُوريه مع المختار بن عوف بمكة نهبت هذه السوق فتقلص ظله شهرا بعد شهر وعاماً بعد عام ، حتى اندرس اسمه ، وعمى عن الأبصار رسمه ، وكثر التضارب والاختلاف فى تحديده ، وقد أجمع الكثيرون من الناس على أنه السيل الصغير أو السيل الكبير أو قريب ذلك . وهذان الموضعان كما قلنا لا يتسع أحدهما لمن كان يحضره من العرب لأنه لم يكن يبقى من العرب أحد فى مشارق أرضهم ومغاربها إلا حضر هذه السوق .

فأما التحديد الصحيح الذى هو صادر عن معرفة ويقين فهو الذى ذكرته فى أول هذه العبارة فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية فليذهب إلى هناك كما ذهبت إليها ورأيتها بعينى ، ووقفت على حقيقتها ، فأنا لم أذكر تحديد هذه السوق إلا مستنداً إلى خمسة أسانيد صحيحة .

أولها : ماذكره أحمد الرداعى اليمانى فى أرجوزة له رسم فيها طريق مكة من صنعاء إلى مكة وهو قاصد الحج ، ولست أذكر من هذه الأرجوزة إلا ما دعت الحاجة إليه ، وقد ذكرها الهمدانى

فى آخر كتابه « صفة جزيرة العرب »

ثانيها : ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى فى كتابه المسمى « جبال تهامة والحجاز ومحالها »

ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان على ذكر عكاظ .

رابعها : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى بأسواق العرب حين تعرض لذكر عكاظ وذكر أيام الفجار . وهى الحربُ التى وقعت بين قريش ومَنْ ساعدها من بطون كنانة و بين قيس عيلان و بطونها وذكر مواضع المعَارِكِ ، وكلها إما فى عكاظ نفسه وإما فى الأمكنة المحيطة به .

خامسها : ما ذكره الكميت بن زيد الأسدى ، وهو بيت واحد فى قصيدة من قصائده

وسنعود بالتفصيل والإيضاح إلى الأسانيد الخمسة التى أشرنا إليها .

أولا : ماذكره الرداعى فى أرجوزته ، وهو يخاطب راحلته :

قلت لها فى مطلخِمٍّ طاخ لدى مناخ أيما مناخ
يا ناق همَّ الشهر بانسلاخ فأزمعى بالجد لا التراخى
كأم أفراخ إلى أفراخ عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ
وأوقح ذى المنهل الوضاخ قاربة للورد من كلاخ

انظر أيها القارىء تجد أن الشاعر خرج من أوقح ووصل كلاخ ، وهما موضعان معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وهما يقعان فى الجهة الجنوبية من عكاظ ، ثم اندفع وهو يخاطب راحلته فقال :

قلت لها سيرى بلا توانى سيرى بمفضال على الإخوان
ليس بفحاش ولا منانِ وكل صَلْت ثابت الجنان
يا هند لو أبصرت عن عيانى قلائص يوضعن فى جلدان

وجلدان : موضع لم يتغير اسمه إلى هذا العهد ، بين عكاظ وكلاخ ، وهناك هضبة منفرة عن الجبال تسميها العربُ إلى هذا العهد « حلاة جلدان » .

انظر أيها القارى تجد الشاعر الآن عند الحلاة ، ثم اندفع وهو يتغنى وقد قرب من عكاظ :

فقلت لما ناب لى احتفاظى والقلب فيه شبه الشواظ
سَلِّ الهوى عن قلبك المغتاظ والعيسُ تطوى الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ مسهلة فى الأرض من عكاظ

الآن الشاعر فى عكاظ ، انظر أيها القارىء كلامه حين خرج منه ، فقال :

فانجردت بالرفق العصائب عيدية منعمة المناكب
بكل خف مستدير الجانب وحيث خط الميل كف الكاتب
تاركةً قران للمناقب وشربا فى جنح ليل واقب

أُنظر أيها القارىء كلام الرداعى لما خرج من عكاظ قال « تاركة شرب » وهو الوادى الذى يفيض على عكاظ و يشقه من الجهة الشمالية منه ، وقال « تاركة قران للمناقب » وقران : هو واد يأتى سيلُه بين السيل الصغير و بين عكاظ ، يصبُّ سيلهُ فى وادى العقيق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لا يزال يسمى « قران » والمناقب : معلومٌ أنها الريعان التى تقع بين السيل الصغير والسيل الكبير .

ثانيا : ماذكره عرام بن الأصبغ السلمى ، قال فى كتابه « جبال تهامة والحجاز ومحالها » قال لما مر على ذكر عكاظ : هو فى أرض مستوية ليس بها جبال ، وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، و بها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها فى جاهليتهم ، و ينحرون عندها ، انتهى : وقد رأيت بعينى الأرض المستوية التى ليس بها جبال ، ورأيت العبيلات البيض ، ورأيت الحرة السوداء ، وأنا فى صحبة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز لما آب من قنصه وما اُشتبه علينا شىء من ذلك .

ثالثا : الذى رواه ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان ـ لما ذكر ياقوت عكاظ وأكثر من الروايات عنه قال : وقال الأصمعى : عكاظ واد به نخل ، بينه و بين الطائف ليلة ، و بينه و بين مكة ثلاث ليال ، و به كانت أيام الفِجَار ، وكان هناك صخور يطوفون بهـا ، ويَحُجُّون إليها ،

أما تحديد الأصمعى فهو صحيح ، وقد سألت عن ذلك أعرابَ تلك الناحية عن المسافة ، ورواية الأصمعى تقارب رواية عرام حيث ذكر الصخور التى يطوفون عندها ، و يذبحون لهـا ، وتقارنت مع رواية سعيد الأفغانى حين قال : و به كانت أيام الفجار ،وأما الأثيدا فقد اندرس اسمها

رابعاً : ماذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى « أسواق العرب » فإنه لما مر على ذكر عكاظ وذكر أيام الفجار ، ذكر منها أربعة أيام وقعت فى نفس عكاظ ، والخامس منها فى بطن نخلة ، وهو أولها ، و بعده يوم شمطا ، وهو فى عكاظ ، وقد اندرس ذكرها ، و بعده يوم العبلاء ، و بعده يوم شرب ، و بعده يوم الحريرة ، و إليك عبـارة[1] صاحب « أسواق العرب » على يوم العبلاء : عاد الأحياء المذكورون من هؤلاء وأولئك ، فاقتتلوا فى قابل فى اليوم الثالث من أيام

---

(١) انظر كتاب أسواق العرب ص ١٥٥

عـكاظ فى العبلاء ، وهى إلى جانب عكاظ ، فاقتتلوا على التعبئة التى تقدمت ، وكان هذا اليوم أيضا لهوازن على قريش وكنانة ، فأصيبت قريش ، وقتل أحد صناديدها وهو العوام بن خويلد ، والد الزبير بن العوام ، قتله مرة بن معتب الثقفى . وقال فى ذلك رجل من ثقيف يفتخر بقتله لما له من الشرف والخطر فى قومه :

منا الذى ترك العوام منجدلاً تنتابه الطير لحماً بين أحجار

وفى هذا يقول شاعر هذه الحروب من هوازن ، وهو خداش بن زهير حين قال :

ألم يبلغـكمُ أنّا جـدعنا لدى العبلاء خندف بالقيـاد

ضربناهم ببطن عـكاظ حتى تولوا طالعـين من النجاد

أُنظر أيها القارىء ، تجد أن هذا الشاعر جعل العبلاء من عكاظ ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى ذكرنا أنها حَدُّ عكاظ فى الجهة الجنوبية منه .

ثم استمع إلى كلام صاحب الـكتاب على يوم شرب[1] : ثم التقوا على رأس الحول فى اليوم الثالث من عكاظ أيضـا بشرب . وشرب من عكاظ ، ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، وهَزَمت قريش هوازن ، وهـذا اليوم هو الذى قيد فيه رؤساء قريش أنفسهم وقالوا : لن نبرح حتى نقتل أو نظفر ، فسموا العنابسة بعد ذلك .

تأمل أيها القارىء كلام صاحب الـكتاب حين قال « شرب من عكاظ » وشرب باقٍ بهذا الاسم إلى هذا اليوم لم يتغير ، وقال أميّة بن الأسكر الـكنانى فى ذلك اليوم :

ألا سائل هوازن يومَ لاقَوْا فوارسَ من كنانة مُعْلمينا

لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب بالنفـير بنو أبينـا

وقال أيضا :

قومى الّذو بعكاظٍ طيروا شررا من رُوسِ قومك ضرباً بالمصاقيل

انظر هذا الشاعر جعل المعركة فى نفس عكاظ ، وصحيح أنها فى نفس عكاظ .

وقال على يوم الحريرة ، وهو آخر أيامهم[2] : ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهى حرة إلى جنب عكاظ ، ثم انهزمت قريش ، وقالت شعراء هوازن قصائد كثيرة منها :

الطاعنـين نحور الخيـل مقبـلة من كل سمراء لم تغلب ومغلوب

وقد بلوتم فأبلاكُمْ بلاؤهُمُ يوم الحـريرة ضرباً غير مكذوب

---

(١) ص ١٥٦ (٢) ص ١٥٩

وهذه الحريرة هى التى ذكر أبو الأصبغ السلمى أنها تطلع عليها الشمس إذا كنت فى عكاظ .

خامساً : بيت الكميت بن زيد الأسدى فى إحدى قصائده حين قال :

أهل الحنيفة فاسأل عن مكارمهم بالمسجدين وملقى الرحل من شرب

قال مصنف هذه الأحرف : قرأت هذه القصيدة التى منها هذا البيت على الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ونحن ببلد أشيقر ، وهو رجل علامة فى جميع الفنون ، وبالأخص فى تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم ، فلما مررت على هذا البيت أشكل علىّ منه : ملقى الرحل من شرب ، فسألته عن ملقى الرحل من شرب ، فقال لى : إن هذا الشاعر ذكر بنى هاشم ومكارمهم ، فقال : فاسأل عن مكارمهم أهل مكة وأهل المدينة وملقى الرحل من شرب : هو سوق عكاظ ، قلت له : شرب هو اسم سوق عكاظ ؟ قال : شرب وادٍ قريب من الطائف ينصب من الغرب إلى جهة الشرق ، وعنده واد يقال له الأخيضر ينصب من الغرب إلى جهة الشرق . وهذان الواديان ينصبان فى غرب عكاظ ، ويتجهان إلى الجهة الشرقية منه ، قلت له : من أين أخذت هذا التحديد الواضح ؟ قال : أخذته من كتاب فى مكتبة بالبصرة هو أحسن من معجم البلدان فى ذكر نجد وجبالها ومياهها . فقلت له : هذا الكتاب طبع أو خط ، قال : إنه خط ، انتهى .

وقد أوردنا على تحديد عكاظ الدلائل الواضحة التى لا تلتبس على أحد ، والذى أضل قوما من أهل الأدب فقال إن عكاظ قريب من مكة ، واستدل بقول خداش بن زهير حينما قال :

ياشدة قد شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وَلَّوْا سِلَالاً وعُظْمُ الخيل لاحقة كما تخبُّ إلى أعطانها النعم

وهى قصيدة طويلة ، هى حجة من استدل بهذا البيت على أن عكاظ قريب مكة ، وهو لايعلم موضع هذه المعركة التى ذكر هذا البيت من أجلها ، وأنا أعلمها ، وأعلم السبب الذى جرّها ، وأعلم أن موضع المعركة كان فى بطن نخلة بين لزيمة وبهيتة .

فأما السبب الذى من أجله نشبت الحرب ، وهو أول أيام الفجار ، فإنه لما اجتمعت العرب فى عكاظ ، وكان عُرْوَة الرحَّال سيد هوازن قد أجار لطيمة للنعمان بن المنذر كان يبعثها إلى عكاظ فى كل عام تباع فيه ، واللطيمة : إبل تحمل الطيب والبز وطرائف من طرائف الحيرة ، فلما انتصف فى طريقه تبعه البَرَّاض الكنانى ، فقتله قريب النقرة وأخذ اللطيمة ، ثم بعث إلى حرب بن أمية وهو سيد قريش فى ذلك الوقت رجلا يخبره أنه قتل عروة الرحال سيد هوازن ، فقال للرسول : ستجده فى عكاظ وهوازن محيطة به فأخبره سرا ، ولا تعلم بك هوازن ولا غيرها ، ففعل الرجل ،

وأخبره ، فاستشار حرب رؤساء قريش و بنى كنانة ، واتفق رأيهم على أن ينصرفوا إلى مكة ولا يحضروا عكاظا فى هذا العام ، و يعتذر للقيسية بعذر عن خروجهم ، ففعلوا ، فلما مضى يوم وليلة على القيسية علموا بمقتل عروة الرحال ، وكان سيد هوازن وقيس عيلان عامر بن مالك الذى يقال له ملاعب الأسنة وهو عم عامر بن الطفيل ، فنهض بقيس عيلان ولحقوا قريشا وكنانة فى بطن نخلة ، فدارت المعركة بينهم ، ثم انهزمت قريش ومن معها ، وقال خداش بن زهير هذا البيت :

ياشدة قد شددنا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم

وظن مَنْ سمعه أن المعركة فى عكاظ ، وقد أفرد لهذه المعركة يوم من أيام العرب يسمى يوم نخلة ، وهو من أيام الفجار ، وسميت أيام الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم ، والذى أوقعهم فى هذا الظن أن باقى أيام الفجار سوى هذا اليوم كانت تنشأ فى سوق عكاظ ، وتدور المعركة فى جهة منه ، فتسمى المعركة باسم تلك الجهة فيوم شمطا و يوم العبلاء و يوم الحريرة و يوم شرب كلها فى عكاظ ، فشمطا قد ذهب اسمها ، وأما العبلاء وشرب والحريرة فإنها كلها بعكاظ ، وهى باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميع ما ذكرناه عن تحديد عكاظ حاضر بأيدينا ، انتهى .

قد اطلعت على مصادر كتاب « أسواق العرب » والأسانيد التى اعتمد عليها ، فوجدتها من أعظم الكتب وأثبتها وأدناها لغرض المصنف : منها الأكليل والأمالى والأزمنة والأمكنة وأساس البلاغة والأغانى وتاج العروس وتاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام والعقد الفريد وصبح الأعشى وصحيح مسلم وعيون الأخبار وطبقات ابن سعد وتاريخ الأدب العربى وتاريخ التمدن الإسلامى ورياض الصالحين وخزانة الأدب وصحيح النسائى وفتح البارى لابن حجر والكامل لابن الأثير ولسان العرب ومجمع الأمثال للميدانى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى والنهاية لابن الأثير ونهاية الأرب للنويرى .

وليعلم قارىء هذه الأحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته عن عكاظ وتحديد موقعه ورأى بعينه الحرة التى تطلع عليها الشمس والعبيلات البيض والأرض المستوية التى تسع العرب عند اجتماعهم ووادى شرب ووادى قران والعبلاء وحلات جلدان ، وثبت لديه هذا التحديد الواضح بحث مع الكاتب الأديب البحاثة عن بلاد العرب وما بها من الآثار عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض فى جدة سابقا ، وقال له : إنى أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المندرسة ، وكان الوزير متأهبا للسفر إلى الرياض فاتَّعَدَا أن يذهبا جميعا إلى سوق عكاظ ، إذا رجع الوزير من الرياض ، فصادف عند رجوعه

أن كان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل فى جدة ، فأمر الأمير خادمه عبد المحسن العنقرى أن ينصب الخيام هناك ، ويرسل الخدم إلى ذلك الموضع لتحضير ماتدعو إليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام إلى جانب العبيلات البيض فى نفس عكاظ ، وأمرنى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل أن أقابل الوزير فى المطار أنا وخادمه عبد المحسن العنقرى ، ونذهب مع الوزير إلى سوق عكاظ فأخذت معى جميع الدلائل التى أشرت إليها ، فلما وصلنا إلى عكاظ قرأت على الوزير ماعندى من الدلائل ، وكلما مررت على ذكر موضع كالحريرة وشرب والعبلاء والعبيلات البيض وجلدان وقران يقول : أين هى ؟ فأريه إياها رؤية عين ، الحريرة أخذ عكسها ونحن على ظهرها ، والعبيلات البيض التى ذكرها أبو الأصبغ السلمى صورها ونحن إلى جنبها ، والعبلاء كذلك ، وتجوَّلنا فيه بالسيارة ، ورأى الآثار القديمة والأرض المتسعة التى تسع العرب جميعها ، وقد اعترف أنه عكاظ ، واقتنع وأبدى موافقته التامة ، وأخذ منى نسخة تحتوى على جميع الدلائل التى أشرتُ إليها ، والفضل فى ذلك يرجع إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل لأنه هو الذى أمر بهذا الاكتشاف وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصوره ، ورأيته فى أوبته من قنصه ، أدام الله بقاءه .

وإنى قد بدأت البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ هـ ، وانتهيتُ منه فى شهر شوال سنة ١٣٦٩ هـ . وفى الصفحة التالية خارطة رسم سوق عكاظ ، وأحببت أن أختم هذا الكتاب بهذا الأثر العظيم ، لأنه من شرط كتابنا هذا .

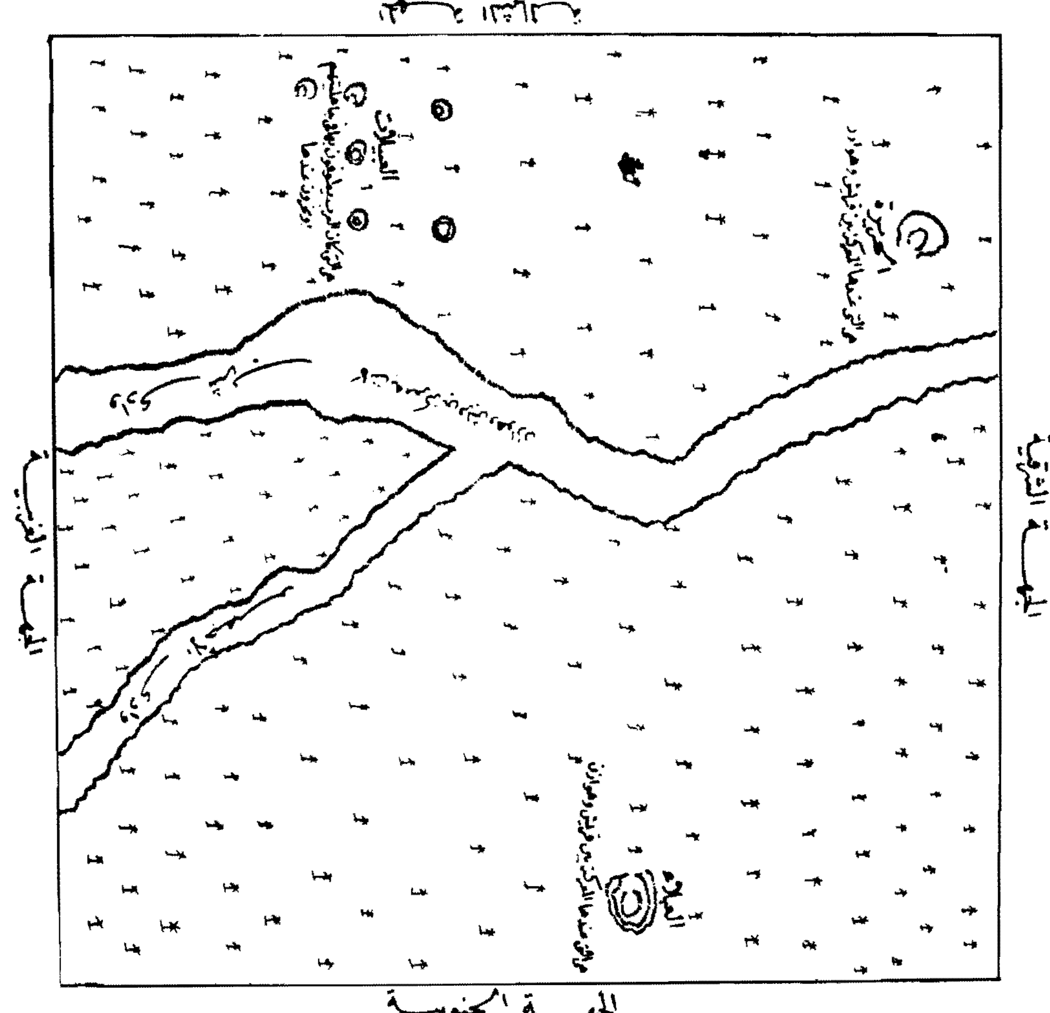
وقد نشر هذا البحث عن سوق عكاظ فى مجلة المنهل الغراء التى تصدر بمكة ، وذلك فى عددها الممتاز الصادر فى ذى الحجة من سنة ١٣٦٩ هـ (ص ٣٢٦ — ٣٣٤) .

* * *

وقد آن أن نُلْقِى عَصَا التَّسْيَارِ ، بعد أن طَوَّفْنَا بك فى جبال بلاد العرب وحِرَارها وقُرَاها ومدنها وأوديتها ومياهها ، وقطعنا فى ذلك شوطا بعيدا ، والله تعالى المسئول أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه إنه حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وآله وصحبه .

سوق عكاظ



الجهة الشمالية
الجهة الشرقية
الجهة الغربية
الجهة الجنوبية

اطلع سماحة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف بالمملكة العربية السعودية على الجزء الأول من كتاب « صحيح الأخبار » فتفضّل ـ حفظه الله وأمْتعَ بعلمه وفضله العربَ والعروبة ! ـ بكتابة هذا الكتاب الذى نثبته فى هذا الموضع من الكتاب مع عاطر التحية لسماحته وخالص الشكر ، قال أمتع الله به دولة الأدب :

إلى حضرة الأمجد الأكرم الأخ الشيخ محمد بن بليهد الموقر ، حرسه الله تعالى !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد فقد تشرفت بورود كتابكم ، وسرنى نبأ صحتكم وسلامتكم ، وإننى أشكر لكم هديتكم القيمة ، وهى الجزء الأول من « صحيح الأخبار » والديوان . ولقد أعجبنى ما اشتملا عليه من التحقيق والتدقيق ، وإنكم فى تأليف صحيح الأخبار أفدتم العالم العربى بفوائد جسيمة كانت غائبة عن الأنظار أعواماً طويلة ، فلقد حققتم ودققتم عن مشاهدات صحيحة وأخبار موثوق بها ، فصح تسمية التاريخ صحيح الأخبار ، وإن كتابكم هذا سيكون عمدة فى بيان المواضع التى حررتموها ، وسينبه المؤلفين فى الأدب على التحفظ والاحتياط اللذين التزمتموهما عند كتابتكم عن بلاد العرب وذكر الأسماء التى وردت فى الأشعار العربية . فجزاكم الله خيراً وبارك فى حياتكم وأمدكم بعون منه ! وإننى أقول أيها الفاضل : إن صحيح الأخبار كتاب سيكون له أكبر شأن عند الأدباء ، وستقرأ ما يكتبه أدباء الأقلام عن هذا الكتاب من التقريظ والثناء ، وهذا ما لزم . وسلامى على العيال ، ومَنْ لدينا جميعا يسلمون ، والسلام .

محبكم

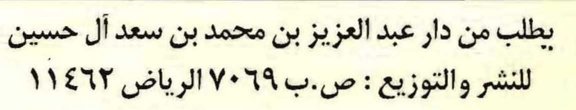
محمد بن عبد العزيز

ابن مانع

فهرس الموضوعات الواردة فى كتاب

« صحيح الأخبار ، عما في بلاد العرب من الآثار »




يطلب من دار عبد العزيز بن محمد بن سعد آل حسين
للنشر والتوزيع : ص.ب ٧٠٦٩ الرياض ١١٤٦٢

